

حَضْرَمُوتُ الثَّقَافِيَّةِ

ربيع الأول ١٤٤٥ هـ - September - 2023 - Hadhramaut AL-Thaqafiah

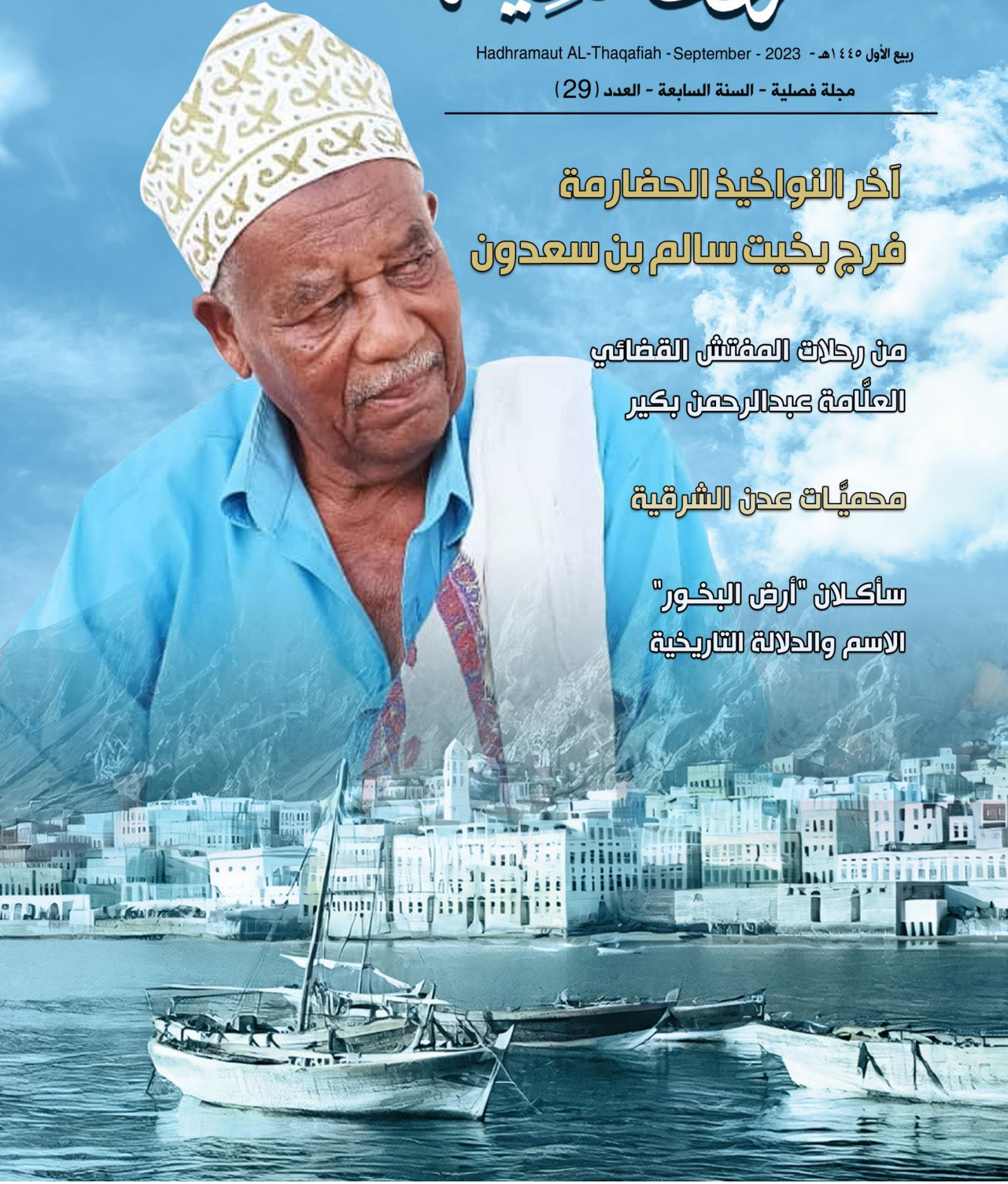
مجلة فصلية - السنة السابعة - العدد (29)

آخر النواخذ الحضارمة فرج بخيت سالم بن سعدون

من رحلات المفتش القضائي
العلامة عبدالرحمن بكير

محميات عدن الشرقية

سأكلان "أرض البخور"
الاسم والدلالة التاريخية





الأسناذ/ سالم محمد عبدالعزيز

(1939 – 2005م)

- ولد في مدينة المكلا، حضرموت عام 1939م.
- في سنة 1960م تحصل على منحة لدراسة الأدب الإنجليزي في الجامعة الأمريكية في بيروت التي حصل منها على درجة البكالوريوس (B.A) سنة 1964م.
- عُيِّن ضابطاً للمعارف في حضرموت، وتم تكليفه بالسفر إلى السودان لوضع مناهج الثانوية العامة بالتنسيق مع مكتب بخت الرضا.
- في سنة 1975م، انتخب رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية - جامعة عدن، وظل في هذا المنصب عشر سنوات، نجح خلالها في اعتماد اللغة الإنجليزية تخصصاً مفرداً، واستقطب إليه عدداً من كبار الأساتذة المتخصصين في تدريس مدرسي اللغة الإنجليزية.
- له ثلاثة دواوين شعرية لم ينشر منها إلا (200 Closed Couplets مائتا كوبليه مقفلة) باللغة الإنجليزية. وتم إيداع الديوان في مكتبة الكونجرس الأمريكي.
- توفاه الأجل يوم الأحد، الموافق 3 يوليو 2005م.

محتويات العدد

حديث البداية

- التسامح وأهمية البعد التاريخي فيه د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرير .. 5-4

أضواء

- دولة ابن مقيم في حضرموت (في مصادر ووثائق تاريخية تُنشر لأول مرة) ... أ.د. علي صالح الخلاقي 16
- الحلف والاتفاق بين الدولة عوض بن عمر القيعطي وإخوانه وبين قبيلة آل بن عمر باعمر حسين محمد بن همام 24
- مدينة سهمم الأثرية بظفار .. ساكلان "أرض البخور" .. الاسم والدلالة التاريخية سالم الكثيري 30
- من رحلات المفتش القضائي العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير
- الرحلة الأولى .. رحلتي مع الوزير إلى حضرموت الداخل أحمد بن محمد بن عوض بكير 34

حوار

- حوار مع آخر النواخيد الحضارمة فرج بخيت سالم بن سعدون حاوره/ خالد أحمد القحوم 44

ترجمة

- أرض بلا ظلال (الفصل العاشر: في أوساط البدو النّهابة) ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن 57
- محميات عدن الشرقية ترجمة د. مسعود عمشوش 63

شخصيات

- جهود الشيخ سيد إبراهيم البخاري في مجال العلم واللغة العربية في الهند أحمد جدير 70

نقد

- اتساع المحبة وصوفية التناول
- قراءة في قصيدة الشاعر عبدالقادر الشعيبة: (هام قلبي وضاع العقل من با يرده) .. أ.د. أحمد سعيد عبيدون 72
- تشكيلات الحزن في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي وأبي فراس الحمداني، مرحلة الأسر أنموذجاً
- شفيق علي القوسي 77

دراسات

- أسلوب البناء فالهدم في رسم ملامح الصورة الحضرمية (أرضاً وإنساناً) ..
- قراءة في سياق الوصف التصويري للمجتمع الحضرمي عند (مايبل بنت) د. زهير برك الهويل 85
- التناقل البحثي في مجال الأبحاث (ج ٢) م. محمد سالم مصباح 94

كتابات

- الذي يتزوجك... ما له جزاء غالب صالح بن علي الحامد 101
- ليلة غالب هلسا بالمكلا علي سالم اليزيدي 104
- يا أرضاً مرصعةً بالجواهر إيمان العولقي 106

إبداع

- الكنه! (قصيدة) د. أبوبكر محسن الحامد 109
- نقش (قصيدة) عمر علوي بن شهاب 110
- يوميات الفارس الجديد (سرد) عبدالله سالم زين 111
- الوحش (سرد) علي سالم الشرفي 112

توقيع قلم

- " لا تروى البدوي دارك " أ. د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي 113

حَضْرَمُوتُ الثَّقَافِيَّةُ

مجلة فصلية

السنة السابعة العدد (29)

يوليو - سبتمبر 2023

تصدر عن مركز حضرموت

للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار
أ. د. عبدالله صالح بابعير
أ. د. ناجي جعفر الكثيري
أ. د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. حسن صالح الغلام العمودي
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتزعم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية
www.hadramout.center

لغنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشراف سابقاً) - ت. ٥٠١٣٥

التسامح

وأهمية البعد التاريخي فيه



د. عبد القادر علي باعيسى - رئيس التحرير

العدد (29)
يوليو
سبتمبر
2023م

كثيراً ما نغرق في التجريد والمثالية مما يبعدنا عن ملاحظة كثير من مفاصل الصراع، فنخسر تحت وهم المثاليات، وبعض هذه المثاليات عبارة عن أفكار مغلوطة لأن الذين وضعوها غير مخلصين لمصادقيتها إذ لا تخلو من رغبة في الاستبداد والتسلط، وتقوم على رؤية الذين وضعوها لذواتهم من الداخل ومحاولة تعميم هذه الرؤية قسرياً على الخارج، ومثل هذه الأفكار موجودة في التاريخ، وما زال بعضها ينمو تاريخياً، ومن ثم تدخل -لتاريخيتها- في إطار القيم الاعتبارية، وهي مغالطات بالأساس مما يتورث عنه مزيد من ردود الفعل العنيفة على مر التاريخ.

وفي أثناء هذا يحدث -وعلى مر التاريخ أيضاً- مصالحات شكلية تتم على مستوى الظاهر، وفي هذه الحالة لا يكون التسامح هو الحالة الثابتة في المجتمع، بل الحروب والصراعات. والتسامح مفهوم ديني وإنساني عظيم، لكنه يشتغل وفق طبيعة المراحل التاريخية وصراعاتها، فليس له معيار معين، ولا يتجلى التسامح في المصافحات والقبلات الإعلامية، فتلك شكلية، بل في تأثيره الفعال وازدهاره على مستوى الواقع، فالفرقاء قد يتصافحون في وقت يكون فيه عدم التسامح مشتتلاً في أعماقهم، وفي قوة أوجه وتوقده، وهذا جزء من إشكالية القول والفعل الماثلة في الوجود الإنساني بشكل عام.



ومن المهم أن ننظر إلى المجتمع في كيفية تأطير مفهوم التسامح فيه تاريخياً بوصفه جزءاً من التكوين الاجتماعي والنفسي المعقد للجماعة أو الفرد، وقد يكون عدم التسامح جزءاً من الضرورة الوجودية للجماعة معينة، كما في حال القبيلة العربية في الأخذ بالثأر، فيأتي الإعلان عن التسامح بتأثير ضغط معين، أو مصلحة معينة، لكنه سرعان ما ينهض عدم التسامح من تحت السطح، فإذا ما اتسم التسامح بالاطراد في تاريخ جماعة معينة، فذلك مؤشر جيد على إمكانية تواصله مستقبلاً، أما إذا كان بعكس ذلك فالنتيجة مختلفة.

ويتصل التسامح بسيادة مفهوم العدل في المجتمع، وتاريخه في ذلك، كما يتصل بطبيعة تصورات الجماعات عن ذواتها التي تغدو أشبه بالمعايير الثابتة لرؤية الآخرين والحكم عليهم والتي لا تتفق مع أي معايير موضوعية للتفاهم وتقارب وجهات النظر، ففكرة عدم التسامح تنطلق أساساً من فكرة المواجهة، والرغبة في الانتصار للذات على الآخر، وعادة ما تبرز فكرة التسامح مع الأزمات والمنعطفات التاريخية الخطيرة لأن كل طرف من الأطراف المتصارعة يضطرب وجوده فيها فيحاول أن يبرز التسامح كوجود أمثل، فالمفاهيم التي تتولد في الأزمات لا تملك من المصدقية مثل أن تكون سارية في إطار تطور الوعي التاريخي للجماعة، فيأتي التسامح في إطار مرحلة التحشيد في مواجهة خطر أكبر، ولكنه سرعان ما يقفز إلى عدم التسامح عند بروز المواجهات الخاصة، ذلك لأن المفهوم غير مؤصل تاريخياً في سياق التحولات التاريخية التي مرت بها الجماعات المتصارعة، ومن هذا المنطلق يتم التعامل المسطح مع فكرة التسامح، وتتم المواجهات، ويتم ترحيل مفهوم التسامح إلى مراحل تاريخية قادمة عند انتهاء دوره المؤقت.

إن خطر إبراز المفاهيم عند الضرورات وتحويلها إلى مراحل قادمة عند انتهاء الصراعات يعني أنها لا تتأهل التأهيل الكافي الذي يدرجها في وعي الجماعة تاريخياً، فلا تغدو في هذه الحالة كونها شكلاً تعبيرياً مؤقتاً، أو ظاهرة اجتماعية مؤقتة في أحسن الأحوال.



المحافظ بن ماضي يشيد بدور مركز حضرموت للدراستات التاريخية في حفظ تاريخ حضرموت وتوثيقه



المكلا ٣ أغسطس ٢٠٢٣م، إعلام حضرموت:

اطَّلَعَ محافظ حضرموت الأستاذ مبخوت مبارك بن ماضي، اليوم بالمكلا، على خطة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في مجالات الدراسات والبحوث التاريخية والترجمة والتوثيق والنشر.

وناقش المحافظ مع مدير عام المركز البروفيسور عبدالله سعيد الجعدي، ونائب مدير المركز ومدير إدارة الإعلام والثقافة الدكتور عبدالقادر علي باعيسى، الفعاليات والنشاطات الثقافية المدرجة في خطة المركز الذي يخصص حيزاً كبيراً من نشاطه العلمي لدراسة تاريخ حضرموت وحضارتها وأعلامها، إلى جانب تنظيم المؤتمرات العلمية، وتبني الإصدارات العلمية، والأوراق البحثية، التي تُعنى بحفظ تاريخ حضرموت وتوثيقه.

وأشاد المحافظ بالجهد الكبير الذي تبذله إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر في سبيل توثيق تاريخ حضرموت والحفاظ عليه، والإسهام في رفد المكتبة الحضرمية بعدد من الإصدارات القيمة، وتنفيذ عدد من الندوات التاريخية

والثقافية، مُوجِّهاً بدعم استمرار إصدار مجلة حضرموت الثقافية الصادرة عن المركز بشكل فصلي، مؤكداً مساندة المركز لأداء دوره الثقافي المهم.

وشكر مدير عام المركز أ.د. عبدالله الجعدي، دعم المحافظ ومساندته لجهود المركز، التي من شأنها أن تعزز رؤية المركز، ونجاح رسالته بشكل أكبر.

مشيراً إلى أن مركز حضرموت للدراسات التاريخية تأسس في العام ٢٠١٥م.





رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية يواصل زيارته في وادي حضرموت ويلتقي إدارة جامعة الوسطية

إعلام المركز / خاص:



زار رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر أ.د. عبدالله سعيد الجعدي جامعة الوسطية، وكان في استقباله القائم بأعمال نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي أ.د. أحمد محمد السقاف، والأمين العام للجامعة الأستاذ أحمد محمد السري.

وتمحور اللقاء في الحديث عن الجانب الأكاديمي وأهميته في تعزيز دور الرسالة التي يقوم بها للحفاظ على التاريخ بأطر مدروسة، وفق منهجية علمية واضحة، مما يساعد على الحفاظ على التاريخ بتوثيقه برسائل علمية، وندوات ومحاضرات، تساعد على نشر المعلومة الصحيحة، التي يحتاج إليها المهتم بالتاريخ والثقافة بشكل عام.

حضر الزيارة أستاذ التاريخ الإسلامي وحضرته بكلية الآداب بجامعة حضرموت أ.د. محمد يسلم عبد النور، ومدير دائرة الآثار والمتاحف بساحل حضرموت الأستاذ أحمد الرباكي.

وفي خلال الزيارة عبر رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر أ.د. عبدالله سعيد الجعدي عن سعادته بهذه الزيارة لجامعة الوسطية الشريفة، مقدماً نبذة مختصرة عن المركز، وما يمارسه من نشاط في مجالات الدراسات والبحوث التاريخية والترجمة والتوثيق والنشر، واهتمام المركز بتاريخ حضرموت وحضارتها وأعلامها، مؤكداً على أهمية إنشاء تعاون وشراكة مع الجامعة، وإعداداً بتزويد الجامعة بإصدارات المركز، مبدياً إعجابه بما أنجزته الجامعة في جوانبها العلمية والبنى التحتية رغم حداثةها؛ آملاً تنظيم أنشطة علمية ومحاضرات وندوات يتم تنظيمها بالشراكة بين الجامعة والمركز.



مركز حضرموت يبدأ التجهيزات للمؤتمر العلمي الخامس (التاريخ والمؤرخون الحضارة في القرن العشرين)



إعلام المركز / خاص:

بدأ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في التجهيز للمؤتمر العلمي الخامس "التاريخ والمؤرخون الحضارة في القرن العشرين"؛ إذ قابل رئيس المركز أ.د. عبدالله سعيد الجعدي وكيل الوادي والصحراء أ. عامر سعيد العامري وأطلعهم على كامل التجهيزات، ووثيقة المؤتمر؛ لتنفيذه في مدينة سيئون هذا العام ٢٠٢٣م.

ورحب الأستاذ العامري بالمؤتمر معتبراً إياه ذا قيمة كبيرة بحضور الأكاديميين والأساتذة الباحثين الذين سيبحثون في أوراق تخص تاريخ حضرموت والمؤرخين في فترة زمنية معينة، وبدوره أبدى استعداده لتقديم التسهيلات والدعم اللازمين من قبل السلطة؛ لإنجاح المؤتمر، وتلبية الهدف الذي يسعى إليه.

من جانبه شكر أ.د. الجعدي للسلطة المحلية بوادي حضرموت اهتمامهم بالمؤتمر خاصة، وبالنشاطات التي ينفذها المركز في



وادي حضرموت، معبراً عن حرصه على أن يكون المؤتمر نوعياً، ويخرج بأبحاث قيّمة.

حضر اللقاء أ.د. محمد يسلم عبدالنور عضو اللجنة العلمية بالمركز ورئيس لجنة الإعلام بالموسوعة الحضرمية، ود. حسين العيدروس، وأ. أحمد صالح الرباكي.



9

العدد (29)

يوليو
سبتمبر
2023م

نائب رئيس مجلس النواب يزور ويشيد بنشاطات مركز حضرموت للدراسات التاريخية



إعلام المركز / خاص:

زار نائب رئيس مجلس النواب المهندس محسن باصرة مركز
حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، فأشاد بمستوى
العمل الذي يقدمه المركز في نشر التاريخ الحضرمي، والحفاظ
عليه بتوثيقه المخطوطات، وإصدار عدد من الكتب ذات القيمة
العلمية الكبيرة، التي باتت مرجعاً علمياً لكثير من الدراسات.



أهمية في الحفاظ على الموروث التاريخي والثقافي وتدوينه؛
ليبقى أزماناً لأجيال متتالية.

من جانبه قال أ.د. عبدالله الجعدي: إن هذه الزيارة الثانية
للمهندس محسن باصرة تمثل لنا الكثير من التشجيع والدعم؛
للاستمرار في الرسالة، التي يقدمها المركز للوطن، شاكرًا له
هذه الزيارة، ومُثنيًا على إشاداته بالمركز ونشاطاته.

وأضاف أن المركز يحتاج إلى لفئة الجميع من الحكومة
والسلطة المحلية والجهات ذات العمل الثقافي؛ لما يمثله من

مدير خزانة ظفار للكتب والمخطوطات بصلالة يجدد زيارته لمركز حضرموت للمرة الثانية

إعلام المركز / خاص:

والكتاب بمحافظة ظفار سابقاً زيارة ثانية لمركز حضرموت
لِلدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

ويعدُّ أ. سالم الكثيري أحد المساهمين في الأبحاث والمقالات

جدد الأستاذ الباحث سالم بن أحمد الكثيري، مدير خزانة
ظفار للكتب والمخطوطات بصلالة، ومدير فرع الأدباء

بمشاركته في بعض
الندوات التي
نقّذها المركز،
وبكتاباته في مجلة
حضرموت الثقافية.



مركز حضرموت في زيارة ميدانية لمدينة الحامي التاريخية

إعلام المركز / خاص:

زار وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر برئاسة رئيس المركز أ.د عبدالله الجعيد وعدد من الأكاديميين وإدارة المركز مدينة الحامي التاريخية لما لها من رمزية حضارية ارتبطت بالملاحة البحرية.

وبدأت الجولة الميدانية بزيارة متحف الحامي الذي يعد أحد واجهات المدينة ولكن تعرض للإهمال ويحتاج إلى العناية من قبل الجهات المعنية.

وعلى سفح جبل الحامي القديمة زار الوفد مسجد باهارون بنمطه المعماري الحضرمي التقليدي.

وفي ختام الجولة تم زيارة عدد من الشخصيات الاعتبارية، والرابنة القدامى وتوثيق حياتهم وذكرياتهم في فترة عملهم في عصر السواعي الشراعية.

يذكر أن هذه الزيارة الميدانية تأتي لتنفيذ فعالية ثقافية بالتعاون والشراكة مع جمعية إحياء التراث والثقافة والآثار بالحامي ومركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بعنوان (الحامي والبحر البعد الثقافي والامتداد التراثي).





مركز حضرموت ينفذ فعالية ثقافية بمدينة الحامي بالشراكة مع جمعية إحياء التراث والثقافة والآثار

وفي الفعالية تحدث الباحث عبدالله صواط عن الفنون البحرية وأقسامها وتداخل كذلك الباحث محمد باهارون في موضوع عن ميناء الحامي مستودع رابنة حضرموت ومهوى الباحثين، وأشار الدكتور محمد بلعفير إلى دور الكتاب في تعزيز قوة المعلومة البحرية واستعرض عدداً من الموضوعات ذات العلاقة



إعلام المركز / خاص:

نفذ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر فعالية ثقافية بمدينة الحامي بعنوان (الحامي والبحر.. الامتداد الثقافي والبعد التراثي) بالشراكة مع جمعية إحياء التراث والثقافة والآثار بالحامي وبحضور مدير عام مديرية الشحر أ. عادل باعكابة، وفي مستهل الفعالية رحّب رئيس الجمعية أ. محمد علوي باهارون بالحضور الذي قدم من مدينة الشحر والديس الشرقية، وأكد على أهمية إبراز المواقع التاريخية لما تمثله من بعد ثقافي وتراثي يجب المحافظة عليه وتوثيقه عن طريق الأبحاث والمقالات والندوات والاستفادة من الشخصيات التي عاصرت الفترة الزمنية الماضية.

في ذات السياق تحدث رئيس مركز حضرموت أ.د عبدالله الجعيد عن إيلاء المركز الاهتمام بمدينة الحامي وغيرها من المدن والمعالم التاريخية والأثرية.



بالمرور البحري التي نُشرت في مجلة حضرموت الثقافية، وكذلك تداخل أ.د خالد بلخشر عن المساعي والتجارب التي حدثت في فترات زمنية متفاوتة لتعزيز مكانة الحامي ودورها المميز في صناعة السفن ومهنة البحارة، وفي ختام اللقاء تداخل الأستاذ عمر خريص والدكتور عبدالباسط الغرابي مؤكدين على أهمية مدينة الحامي وارتباطاتها مع الموانئ الحضرمية الأخرى.





رئيس الهيئة العامة للكتاب يزور مركز حضرموت



إعلام المركز / خاص:

زار رئيس الهيئة العامة للكتاب أ. يحيى الثلايا مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر، مُثنيًا على الجهد الكبير، الذي يقدمه المركز من توثيق للتاريخ والحفاظ عليه إلكترونياً، وتنفيذ عدد من الندوات التاريخية والثقافية، وتنفيذه لمؤتمر دولي كبير في أندونيسيا. وقال أيضاً: إن مركز حضرموت رغم السنوات القليلة التي ظهر فيها فإنه يُعد الآن من أهم المراكز في الوطن، التي تهتم بالتاريخ والثقافة والكتاب، وإنني متابع لمجلة (حضرموت الثقافية)، وأقرأ كل أعدادها أولاً بأول، شاكرًا للمركز هذه النوعية من المجلات الثقافية التي كتب ويكتب فيها الكثير من الأساتذة والكتاب.



وفي السياق ذاته شكر أ.د. عبدالله الجعدي هذه الزيارة، التي ستعمل على ربط أواصر الشراكة والتعاون مع الهيئة العامة للكتاب التي من شأنها أن تعزز من رؤية المركز، ونشر رسالته ووصولها إلى مدى أبعد.

أكاديميون من جامعة شبوة في زيارة لمركز حضرموت

إعلام المركز / خاص:

استقبل رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية أ.د. عبدالله الجعدي عدداً من الأكاديميين بجامعة شبوة وهم د. مهدي راشد القباص مدير عام إدارة القبول والتسجيل بالجامعة والدكتور محمد أحمد لصور نائب العميد لشؤون

الطلاب بكلية التربية والمدرس بقسم التاريخ سعيد عمر الحداد، وتم اللقاء لمناقشة أوجه التعاون المستقبلي وربط أواصر العلاقة بين المركز والجامعة. من جانبه رحّب رئيس المركز بهذه الزيارة الأولى التي من شأنها أن تزيد فرص التعاون بين الجانبين في قادم الأيام.





مركز حضرموت في زيارة معايدة للدكتور المؤرخ عبدالعزيز بن عقيل



إعلام المركز / خاص:

زارت إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر منزل العالم الأثري د. عبدالعزيز بن عقيل (المدير الأسبق للهيئة العامة للآثار والمتاحف بالمحافظة) بمناسبة عيد الأضحى المبارك، حيث رحّب بن عقيل بالزيارة، ثم دارت في الجلسة بعض الأحاديث الودية والتاريخية حول حضرموت.

وفي اللقاء ذاته قال أ.د عبدالله الجعدي، رئيس المركز:

نحن في مركز حضرموت نحرص على أن نكون قريبين من الشخصيات ذات الأثر الكبير لحضرموت، ونهتم بذكر مآثرهم وإنجازاتهم، والقرب منهم.

وأشار د. عبدالقادر باعيسى مدير دائرة الإعلام والثقافة إلى أن المركز سيعمل على ترسيخ الصورة النمذجية لرموز حضرموت في مجلة حضرموت الثقافية، بحيث يكونون واجهة المجلة، وفي الصفحة الأولى منها.

أ.د سالم رموضه يزور مركز حضرموت

إعلام المركز / خاص:

زار أ.د. سالم عوض رموضه نائب رئيس جامعة حضرموت السابق، ورئيس جامعتي الأندلس والأوائل السابق، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وكان في استقباله رئيس المركز أ.د. عبدالله سعيد الجعدي، حيث جاء اللقاء للتعرف على آخر المستجدات للمركز، والتعرف على

أنشطته الجديدة؛ بوصفه واجهة ثقافية، ومركزاً علمياً، يجمع عدداً من الأساتذة والمهتمين بالثقافة والتاريخ. وفي اللقاء تحدث أ.د. الجعدي عن المركز وآخر الأنشطة والاستعدادات للمؤتمر الجديد الذي سيقام نهاية هذا العام ٢٠٢٣م بعنوان (التاريخ والمؤرخون الحضارم في النصف الأول من القرن العشرين)، وكذلك عن آخر إصدارات مجلة (حضرموت الثقافية) ونوعية الموضوعات التي احتوتها المجلة.

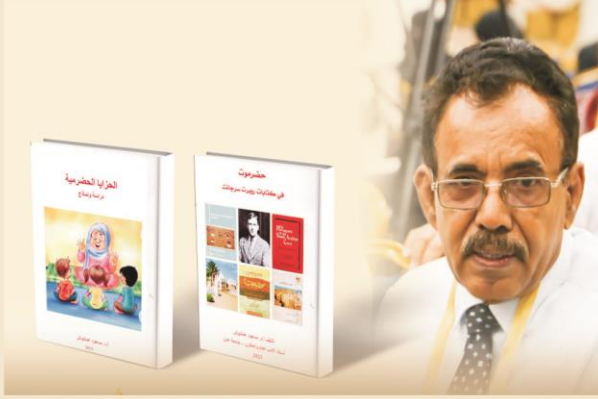
من جانبه شكر أ.د. سالم رموضه المركز على حسن الاستقبال، آملاً له التوفيق في مهامه والنجاح في كافة الأنشطة المستقبلية التي تصب لمصلحة الحفاظ على موروث حضرموت التاريخي والثقافي.





مكتبة مركز حضرموت تستقبل كتابين جديدين للبروفيسور مسعود عمشوش (حضرموت في كتابات روبرت سرجانت) و (الحزايا الحضرمية)

إعلام المركز / خاص:



استقبلت مكتبة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر كتابين جديدين للكاتب أ.د. مسعود عمشوش، أستاذ الأدب العام والمقارن بجامعة عدن كتاب (حضرموت في كتابات روبرت سرجانت) وكتاب (الحزايا الحضرمية)؛ إذ يصف في الكتاب الأول رحلة روبرت سرجانت التي بدأت من المكلا، ثم مكوثه في تريم فترة، ثم رحلته إلى كثير من مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، وبالأخص حضرموت، وصياغته عدداً من الكتب، التي فصّلت مظاهر الحياة في حضرموت؛ لتصبح كتاباته مرجعاً موثقاً لشؤون حضرموت. وفي كتابه الثاني يصف نوعاً من التراث الأدبي السري الحضرمي، وما يعرف بالحزايا، وهي مجموعة من الحكايات موجهة للأطفال، وغالباً ما يتولى سردها الأمهات والجدات؛ وذلك لتنشئة الأطفال وفق المعايير المعتمدة في مجتمعهم.

من جانبه ثمن مدير إدارة الإعلام والثقافة د. عبدالقادر باعيسى إسهامات أ.د. عمشوش المستمرة للمركز، ومشاركته في الندوات والمؤتمرات التي ينفذها، وإسهاماته المتميزة في مجلة حضرموت الثقافية.

يذكر أن مكتبة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر تحتوي على عدد من الكتب، التي تم طبعها لعدد من الكتاب بعناوين مختلفة.

صواطر يهدي كتابه (نسمات نسائية من تراث المحتمية) لمركز حضرموت

إعلام المركز / خاص:

كتابه: (نسمات نسائية من تراث المحتمية)، الذي يوثق أصوات الزواج والتجارب والصراخ النسائية، هدية منه للمركز.

استقبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق



والنشر الأستاذ محمد علوي باهارون مدير دار الحامي، ورئيس جمعية إحياء التراث والثقافة والآثار بالحامي، ومعه المسؤول الثقافي بالجمعية الأستاذ عبد الله أحمد صواطر. وخلال الزيارة قدم الأستاذ عبد الله صواطر



الصحفيان الشاحت وبو عابس يزوران مركز حضرموت



إعلام المركز / خاص:

زار نقيب الصحفيين في حضرموت أ. سالم الشاحت والصحفي المعروف أ. صلاح بو عابس مركز حضرموت للدراسات التاريخية للاطلاع على المستجدات للمركز مشيدين بنوعية الأنشطة التي يقدمها المركز في الجوانب التاريخية والثقافية وبمجلة حضرموت الثقافية باعتبارها مرجعاً ثقافياً مهماً تتخللها

الكثير من الموضوعات في جوانب عديدة ودراسات ومقالات ذات عمق وأثر يستفيد منه الأكاديمي والقارئ.

منظمة سائس تبدأ التعاون مع مركز حضرموت

والتوثيق والنشر، وذلك لبحث أوجه التعاون بين المركز والمنظمة وبناء حلقة مشتركة لتنفيذ عدد من الأنشطة بين الجانبين.

من جانبه رحّب رئيس المركز بالمنظمة وأعضائها الشباب، متمنيا لهم التوفيق في عملهم ورسالتهم التي من شأنها أن تؤهل وتعزز دور المهتمين في الجوانب السياسية والحقوقية والدبلوماسية.



إعلام المركز / خاص:

زار عدد من أعضاء منظمة سائس للتنمية الدبلوماسية وحقوق الإنسان مركز حضرموت للدراسات التاريخية

الباحث طاهر المشطي يهدي كتابين جديدين لمركز حضرموت



إعلام المركز / خاص:

أهدى الباحث أ. طاهر ناصر المشطي كتابين جديدين لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، أحدهما بعنوان (السفينة ما قبل المكيّة) لمحمد قاسم الكلدي والثاني بعنوان (المعالم الحضارية العسكرية في الديس الشرقية) لطاهر ناصر المشطي.

من جانبه شكر أ.د عبدالله سعيد الجعدي رئيس المركز هذا الاهتمام للباحث المشطي ونشاطه المستمر في كتاباته وأبحاثه التي تعزز المكتبة الحضرمية.

ويعد هذان الكتابان نوعين في رصدتهما تاريخ مدينة الديس الشرقية في جانبي التاريخ البحري والعسكري.

دولة ابن مقيص في حصر موت

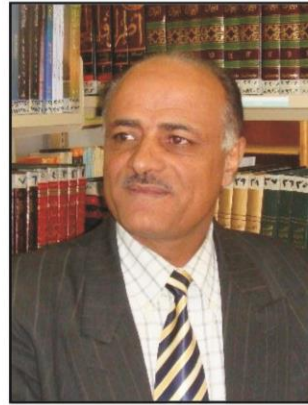
(في مصادر ووثائق تاريخية تُنشر لأول مرة)

(٢ - ٢)



إيقاف الباطل عند حده، إلى رفع لواء العدل... إلخ. ولكن مجهوداتهم ذهبت سدى. ولسنا ندرى السبب الحقيقي خلف هذا الإحجام الفاضح، ولكن التاريخ يذكر أن هذا التعثر وذلك الإحجام كان بسبب ما حل بقلب المقدم من التردد والاضطراب، وما حل بقلوب قبيلته من التمرد والخور^(٢٧).

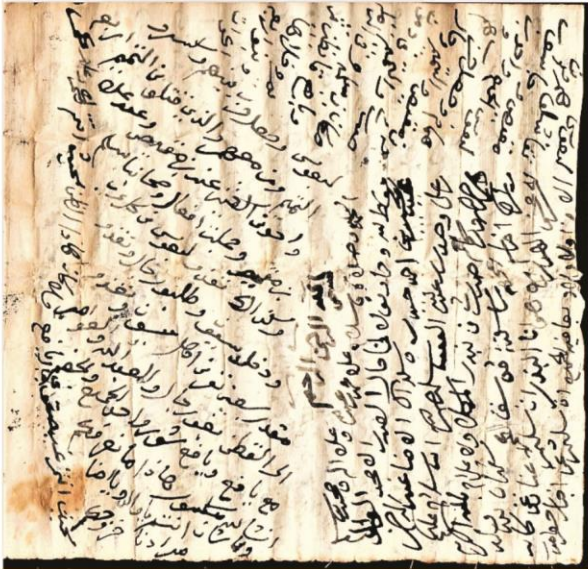
وفي ظل ذلك التردد والاضطراب ساءت علاقة ابن مقيص مع يافع، وبشكل خاص مع لبعوس المسيطرين على تريم، وتبين أن وصولهم إليه منذ البدء حال إعلان دولته لم يكن برغبة منهم أو طوعية، إذ وصل إليهم "أنّ عمر بن مقيص استولى على سلطنة تريم، وأنّ يافع أذعنت له بالطاعة، وألقت إليه أزمّة الرياسة عن طوع واختيار". بل الأقرب إلى الصواب أنهم قبلوا به كأمر واقع في عز قوته، التي هوّل أمرها وبالع في العلويون حال ظهوره، اتقاءً لشره وتجنباً لعداوته "وطمعاً في الراحة على يده من المشاغبات الداخلية، مع شيء من خشية الموقع الذي جاء به، وما كان ليصعب على يافع الانقياد لواحد



أ.د. علي صالح الخلاقي*

سوء العلاقة ونشوب الحرب بين يافع وابن مقيص:

لم تستمر هيبة دولة ابن مقيص وقوتها طويلاً التي هوّل وبالع فيها العلويون حال ظهورها، بل إنها تعثرت منذ يومها الأول لقيامها، وحاول القوم جهدهم أن يدفعوا بأمرها المستجد إلى الأمام، إلى الغزو، إلى الفتح، إلى قهر الظالمين، إلى



الوثيقة الثالثة

من غير جلدتها، مع هذه الدواعي بعد انقيادها، ومع قوتها، ومنعتها لأمرآء آل كثير... وإنما ضحكت يافع على ابن مقيص، كما ضحك آل عبدالله وآل كثير على الشاوش بدر حتى أفقره، وركبوا ظهره حتى أدبروه" (٢٨).

وبمرور الأيام أخذت هذه الهيبة تتقلص تدريجياً وتقل، وربما كان ذلك لاستنفاد موارد ابن مقيص المالية، التي كانت وراء (سلطنته)، كما بدأت مهابته العسكرية التي كان يخشاها الناس في الثلاثي والاضمحلال بعد أن أقدم على الرمي من المدفع الذي كان معه دون أن يؤثر شيئاً، وبدأ يفقد سيطرته على الأمور، الأمر الذي دفع بابن غرامة، صاحب تريم، أن يرسل أحد السماسرة يحبس له نبض ابن مقيص، فسار إليه، وناداه باسم السلطنة فخفَّ للغاية إلى باب الحصن، فقال الدلال في نفسه: هذه الأول، ثم قال للدلال تقدم في الدرج لما سره من مبالغته في مدحه، وقال في نفسه: وهذه الثانية، ثم أدخله إلى منزله الخاص، وزوجته من وراء الستر، حباً في أن تسمع ما يجازف به الدلال من الثناء عليه، ولما عاد إلى ابن غرامة قال له: ما قدأمك حد، فلم يكن منه إلا بعث عبيده إليه فاستولوا على جميع ما كان معه (٢٩).

وما يؤكد سوء العلاقة وتدهورها بين لبعوس وابن مقيص وصولاً إلى نشوب حرب بينهما، ما جاء في الوثيقة المؤرخة ١٦ شعبان ١٢٤٣ هجرية؛ إذ ورد فيها بالنص (٣٠): "وإن سألتهم عن أخبار حضرموت لبعوس تفاسلواهم وابن مقيص، وجاء شور لبعوس الجميع واحد وابن همام، وحصل حرب هم وابن مقيص وآل تميم، وحال صدرت وآل تميم في دمون مكان بن سلمة وفي الرملة، ويافع قابضين تريم وخلاها، وبنوا أربعة أكوات لبعوس، وحصل حرب بينهم، وكسروا آل تميم ومن معهم، والذي قتلوا من آل تميم أربعة، وواحد من آل كثير عند ابن مقيص، وعبد على بن مقيص وجملة أفعال، وأصحابنا سلم، وكذلك نفذوا البعوس في كل عرب، ودخلوا

سيئون، وطلبوا رجال، ونفذوا مقدار سبعين نفر من أهل سيئون، ونفذوا إلى القطن بغوار رجال وآل عبدالله والعوامر مع يافع ويافع شور واحد الجميع والخصم إن شاء الله مكسور".

تفيد الوثيقة حسب النص أعلاه ما يأتي:

- أن لبعوس وابن مقيص اختلفوا (تفاسلوا)، ووحد هذا الاختلاف لبعوس الجميع، ابن غرامة، وابن عبد القادر، وابن متاش، ومعهم ابن همام في الرأي، والموقف ضد ابن مقيص ومعه آل تميم.

- أن هذا الاختلاف قاد إلى نشوب حرب بين الطرفين، الطرف الأول: يافع، والطرف الآخر ابن مقيص وآل تميم.

- أن آل تميم ظلوا في دمون مكان ابن سلمة وفي الرملة، فيما كانت يافع مسيطرين على تريم وضواحيها (خلاها).

- أن يافع لتأمين تريم وتحصينها شيدت أربعة أكوات كنقاط حراسة ومراقبة متقدمة، لمواجهة أي اختراقات وكسرها للحيلولة دون تقدم الطرف الآخر.

- حدثت الحرب بين الطرفين، وكُسِر فيها آل تميم ومن معهم، وقُتل خلال الاشتباكات أربعة من آل تميم، وشخص من آل كثير ممن عند ابن مقيص، وعبد على ابن مقيص، وجملة أفعال، وهناك خسائر مادية أخرى من سلاح وعتاد ونحوه.



الوثيقة الرابعة

- حسب الرسالة لم يُصب أحدٌ بأذى من يافع، وهو ما يقصده المرسل بقوله: (واصحابنا سلم).

- وضعت يافع خطة انتشار بإرسال سبعين شخصاً من سيئون إلى القطن؛ لمواجهة أي طارئ هناك، بالتنسيق والتشاور مع حلفائهم آل عبد الله والعوامر، الذين اجتمع شورهم على رأي واحد لمواجهة خصمهم وكسره، كما تمتنى ذلك صاحب الرسالة.

وهناك أخبار خاصة وعامة في بقية الرسالة، لكن ما يهمنا منها إشارتها إلى موقف حاكم المكلا حينها وهو النقيب عبد الرب بن صلاح الكسادي، الذي ساءته أخبار سلطنة ابن مقيص، وأنه (متعور)^(٣١)، أي: مستنكر ما حدث لأنه - كما جاء في الرسالة - عمل وقدم الكثير، ولا هو طارح قليل وحضر موت اليوم خير له جم والخصم ضعيف.

رسالة عينات وفرجة النصر على ابن مقيص:

سبق أن عرفنا أن سادة عينات لم يكونوا متحمسين لسلطنة ابن مقيص، بل غير راغبين أو فرحين لقيامها؛ لأنهم أكثر المتضررين من ظهورها، على عكس بقية السادة العلويين، الذين كانوا الداعمين والمؤازرين لابن مقيص؛ ليكون حاكماً عادلاً منصاعاً لهم، يعمل بما يشير عليه أعيان العلويين وعلماءهم. وما أغاض سادة عينات أكثر فقد انهم لتصف موارد مطبخهم، من النذور والهبات بالإكراه لصلاح سلطنة ابن مقيص، واهتزاز مكانتهم الروحية، ووضعهم في موقف لا يحسدون عليه أمام أتباعهم، ولذلك كانوا فارين منها وغير فرحين بها.

ومع اقتراب العد التنازلي لأفول نجم سلطنة ابن مقيص تنقّس سادة عينات الصعداء، وأزيح كابوس جثم على أنفاسهم، خاصة بعد أن توحدت يافع مع قبائل حضرمية أخرى ضد ابن مقيص وآل تميم، ودخول الطرفين في حرب، أضعفت ابن مقيص وألحقت هزيمة بأتباعه من آل تميم، وعودة تريم إلى قبضة يافع، والأهم بالنسبة لسادة عينات هو عودة توافد يافع مجدداً إلى حوطة عينات؛ إذ جاء تطور الأحداث لصالحهم،

ولعودة مكانتهم الروحية، وكانوا أكثر ابتهاجاً وفرحاً من غيرهم، كما تفصح عن ذلك الرسالة المهمة لصاحب عينات التي أرسلها إلى بني بكر - يافع إلى كل من: الشيخ الفقيه عبد الحبيب بن أحمد حيدر والشيخ عبد الله بن عوض دينيش وكافة المحبين بني بكر والمحب محمد صالح، وهي بدون تاريخ، ومختومة برسم (الواثق بالرب العالم أبو بكر بن أحمد بن سالم) (٣٢)، وهو أبو بكر بن أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن سالم، خلف والده سنة ١٢٤٢ هـ، وتوفي سنة ١٢٦١ هـ.

الرسالة مكتوبة بورقة مستطيلة وبصفحتين أمامية وخلفية، وأصابعها تلف في نهاية صفحتها الأمامية أفقدها بعض الكلمات، وقد كتبت بخط واضح، لعل كاتبها الفقيه عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن باوزير الذي خص المرسل إليهم بالسلام في نهايتها، مع سالم شقيق المنصب، ونجله سقاف. ولأن الرسالة طويلة، وتشمل عبارات التبجيل، ودعاء مسجوع، وأخبار متنوعة أخرى منها، خبر حصول الرخاء بخيره العميم، واستلامه ١٢ قرشاً منهم بيد المحب الخلاصة حيدر عبد الله، وخبر مخرج



تكمن أهمية هذا البحث في كونه يقدم معلومات وحقائق تاريخية جديدة، استناداً إلى وثائق تاريخية أصلية، تنشر لأول مرة، تعود إلى زمن الحدث، تكشف تفاصيل مجهولة، وتميط اللثام عن كثير من الغموض واللبس الذي ساد عن دولة ابن مقيص - حنظلوت، ذات العهر القصير

معهم والآخرين بن شمالان وابن محمد وابن زيدان شق، ولما علموا أن المحب علي بن أحمد المساوي مع ابن مقيص طلوعوا وعصبوا البعوس وشق على رتبة سيئون مسير علي أحمد المساوي إلى عند ابن مقيص وجاب معه حملة من آل كثير وقبائل إلى عند ابن مقيص وخرجوا البعوس إلى الخلا ووقعت حروب وقاتل المحب علي أحمد المساوي وناس من آل كثير وعبيد ومصاويب من الجانبين والمحب علي أحمد أجلا رجال ونقض على يافع جم جم، ونحن اشتغلنا عليه إلى غاية حيث نقض يافع علينا فعسى الله يهديهم ويصلح نياتهم ويجمع كلمتهم ولا يفرق بينهم بحق طه وياسين وجاه السلف المكين آمين.. وحال الرقم والفتن قائمة هذا مما لدينا".

ورغم أن الرسالة عامة وشاملة لأخبار عدة، لكن أهميتها تكمن في أن مصدرها أرفع مقام في عينات، المنصب نفسه حينها الحبيب أبوبكر بن أحمد بن سالم، وأن الجزء المهم والرئيس فيها كشف لنا بوضوح ما كان غامضاً من مواقف عينات إزاء ابن مقيص منذ بدء ظهوره على مسرح الأحداث وتأسيس دولته، وصولاً إلى فرحتهم الطاغية بتطورات تلك الأحداث المتسارعة التي سحبت البساط منه وأضعفته

سلاطين يافع، وهي غزوات خارج يافع، ربما مع الزيود، وخبر مرض صادق بن هادي ووفاته في غيل ابن يمين قبل وصوله إلى بني بكر وترجمه كثيراً عليه لأنه من يقوم بجمع النذور والأموال للمنصب، وخبر (عرضته)، أي الصلح أو الهدنة، على المحبين الجميع، وفرحهم بها، مع التهويل من نتائجها إيجاباً وسلباً (فمن قبلها سعد وظفر ونال كل مطلوب ومقصود ومن خالف كلامنا فيا ويله منا ويخسر ويندم ولا يبلغ لا مطلوب ولا مقصود)، والتخويف ممن يخالف كلامه وكأنها يخالف القدرة الإلهية (وكلامنا ما يخرج من لساننا إلا وقد أخرجه قدرة الله ربنا، ويا ويل من خالف القدرة، فالله الله عرفوا المحبين في الإخلاص لنا والاعتماد على كلامنا تناولوا جبرنا ورضانا ودعانا بملككم الله دنيا وآخرة آمين).

وما يهمننا من هذه الوثيقة المهمة ما له صلة بموضوع بحثنا فقط، حيث ورد فيها بالنص (٣٣):

"أخبار جهتنا حسب ما قد بلغكم مقام ابن مقيص وطابقنا جبراً للبعوس لسكون البلاد وأمان العباد وأعطينا الوقت حكمه حال الساعة، ومن بعد صار الخلاف بين لبعوس [تلف في الأصل...] وقبائل فلما رأوا ذلك لبعوس علموا أن ذلك بقدرة الله ربنا وسببه سخطنا وغضبنا فأخلصوا معنا بالنية الخالصة [.....] ونصرهم الله على ابن مقيص وقبائله، ومن بعد أعطاه [.....] طلبوا رسول [.....] وأخرج دفعة على الجهة فشق علينا [.....] ولبعوس وشكينا عليهم عطل الجهة بالدفاع والخراج فشلوا لنا كل وافية إلا علي أحمد المساوي خالفت نيته فينا وتبعوه أهل الشرف ورجعنا إلى عينات وحال وصلنا إلى عينات خلع السلطنة ابن مقيص، ووردوا جميع يافع موسطي وضبي وبعسي إلى عينات زائرين وطالبين الدعاء والرضا وحصل الأنس الكبير والجبر الكثير دون الشرفي. ومن بعد قامت الفتنة عند ابن مقيص وابن قرموص وبالقصير شق، وعصبوا المحب علي أحمد المساوي



ومع اقتراب العد التنازلي لأفول نجم سلطنة ابن مقيص تنفس سادة عينات الصعداء، وأزيح كابوس جثم على أنفاسهم، خاصة بعد أن توحدت يافع مع قبائل حضرمية أخرى ضد ابن مقيص وآل تميم، ودخول الطرفين في حرب أضعفت ابن مقيص وألحقت هزيمة بأتباعه من آل تميم، وعودة تريم إلى قبضة يافع

وتزامن رجوعه مع خلع سلطنة ابن مقيص، بدليل قوله: "ورجعنا إلى عينات، وحال وصلنا إلى عينات خلع السلطنة بن مقيص". - ما أفرح صاحب عينات وسره أكثر هو توافد يافع جميعاً إليه طلباً للدعاء والرضا، (ووردوا جميع يافع موسطي وضبي وبعسي إلى عينات زائرين وطالبين الدعاء والرضا وحصل الأئس الكبير والجبر الكثير) واستثنى الشرفي، الذي لحق بالمساوي مع ابن مقيص. - لم تنته الأحداث أو تتوقف بما تحقق من نصر على ابن مقيص وقبائله، ولا بخبر خلع سلطنة ابن مقيص، بدليل قوله: "إنها قامت فتنة من بعد، كان ابن مقيص وابن قرموص وبالقصير طرف أو جهة (شق) فيها، واستقطبوا معهم علي أحمد المساوي. والآخرين ابن شمالان وابن محمد وابن زيدان طرف آخر (شق)، ولما علموا أن علي بن أحمد المساوي مع ابن مقيص طلوعوا وعصبوا البعوس، وشق على رتبة سيئون مسير علي أحمد المساوي إلى عند ابن مقيص، وجاء معه بحملة من آل كثير وقبائل إلى عند ابن مقيص، وخرجوا البعوس إلى الخلا، وحدثت اشتباكات (حروب)، قُتل فيها علي أحمد المساوي وآخرون من آل كثير وعبيد، وجرحى (مصاويب) من الجانبين".

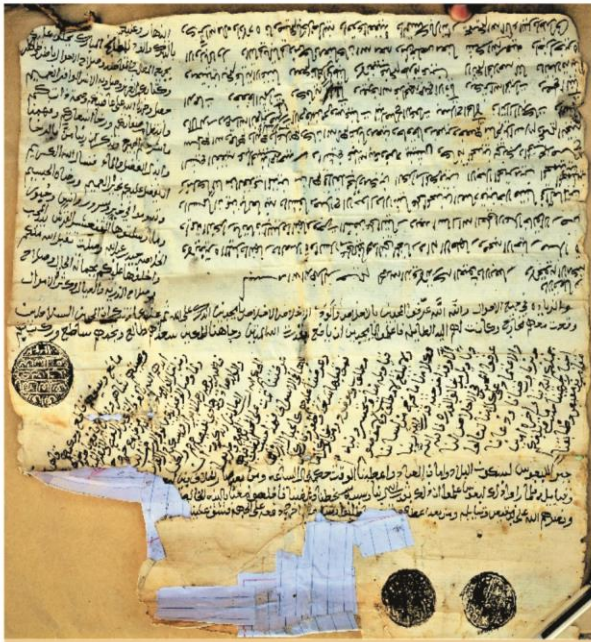
تدريجياً، وأعادتهم لمكانتهم وتأثيرهم لدى أتباعهم. وهو ما نوضحه فيما يأتي:

- أوضحت الرسالة أن عينات لم تكن مرحبة ولا مباركة لدولة ابن مقيص، وأن موقفها إنَّما جاء مطابقاً وجبراً لموقف لبعوس - يافع، وعلى رأسها حاكم تريم القوي بن غرامة وغيره، ولا سيما أن معاناتهم منه لم تُنس حينما غدر بهم وسلمهم لحملة ابن قملا، التي عانوا منها الأمرين، ولم يريدوا أن يتكرر ذلك معهم في الموقف من ابن مقيص، فقبلوا بالأمر الواقع، طبقاً لموقف ابن غرامة ولبعوس، بغية (سكون البلاد وأمان العباد)، وترثوا في الإفصاح عن مواقفهم المعارضة، وأعطوا الوقت حُكمه حال الساعة.

- أسعد عينات وسرها الخلاف الذي صار بين لبعوس ومن معهم وبين ابن مقيص ومن معه من القبائل، وازدادت بهجة صاحب عينات وفرحته بما تحقق من نصر (على ابن مقيص وقبائله)، وأرجع سبب ذلك كما جاء في رسالته إلى أنه (لما رأوا ذلك لبعوس علموا أن ذلك بقدره الله ربنا، وسببه سخطنا وغضبنا، فأخلصوا معنا بالنية الخالصة... ونصرهم الله على بن مقيص وقبائله)، وفي هذا القول تهويل ومغالة لدى أنصارهم بتأثيرهم الروحي، ولو كان لهم مثل هذا التأثير لدفعوا به الضرر الذي لحقهم من ابن مقيص في حينه.

- نفهم من نص الرسالة - رغم ما أصابها من تلف أفقدها بعض الكلمات - أن هناك خروجاً كان على جهة عينات وخللاً (عطال) بخطوط الدفاع والخراج، فشق الأمر عليهم فاتجهوا بالشكوى إلى لبعوس وتجاوبوا معهم، وهذا ما يفهم من قوله: "وشكينا عليهم عطل الجهة بالدفاع والخراج فشكوا لنا كل وافية". واستثنى من ذلك علي أحمد المساوي الذي خالفت نيته فيهم، وتبعوه أهل الشرف، وهم من آل الضبي.

- بعد إصلاح الخلل في خطوط الدفاع تم رجوع صاحب عينات، ويبدو أنه كان خارجها، ولا نعرف أين كان بالضبط، هل في سيئون أو القطن بين أنصاره، ولم يعد إلا بعد أن تم تأمينها،



الوثيقة الخامسة

نجمها بالأقول التدرجي، وحاول العلويون جهدهم أن يدفعوا بسلطانهم إلى الأمام ويحملوه على الفتح والغزو، ولكن مجهوداتهم ذهبت سدى لـما حل بقلب المقدم من التردد والاضطراب، وبقلوب قبيلته من التمرد والخور، وتحطمت آمال العلويين، ومن كان يشاطرهم تلك الآمال من الحضارم، في استتباب الأمن ونشر العدل بين الناس على يد ابن مقيص.

والواقع أن العلويين في غمرة العجلة على الإصلاح قد أساءوا وتقدير الموقف الحضرمي السياسي، ولم يحسنوا الاختيار، وأساءوا وتقدير القوى الفاعلة على الأرض، التي يمكنها أن تسنده، ثم أن موقفهم لم يكن مؤحداً؛ إذ إن سادة عينات ومعهم يافع لبعوس وقبائل أخرى لم يقبلوا به عن رضا واقتناع، وإنما جاء قبولهم به خشية هيئته حال ظهوره بالمدفع والمال، وتجنباً لشره أو عداوته، وبمرور الوقت انفضوا من حوله، بل دخلوا معه في صراع وحروب، كما كشفت عن ذلك الوثائق التاريخية التي تنشر لأول مرة، وهو ما يتفق مع ما ورد في "بضائع التابوت"، في مكاتبة من الشيخ الكبير محمد بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار، بعث بها للحبيب محمد بن عيدروس بن عبد الرحمن الحبشي بتاريخ الأربعاء من صفر

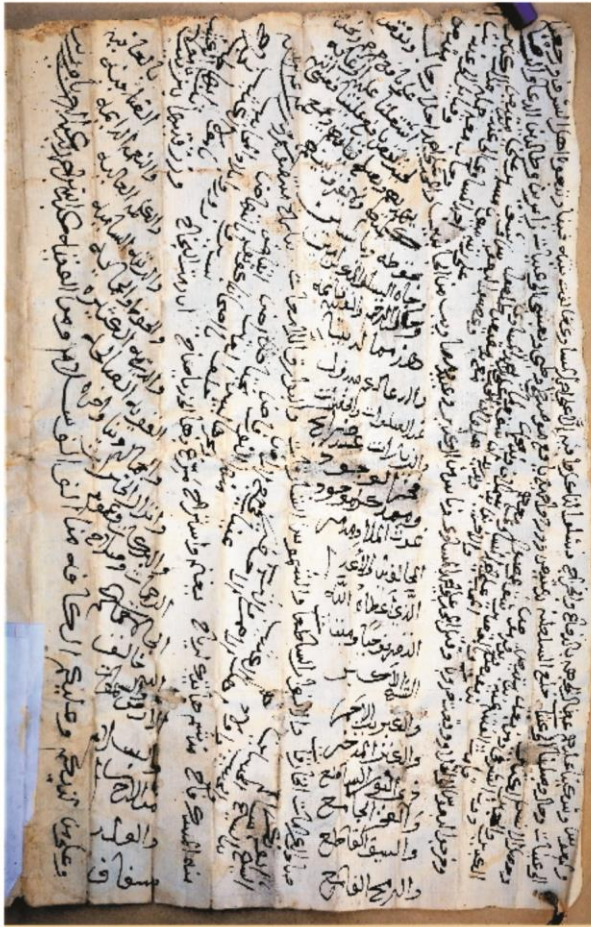
- نعرف من الرسالة تأسف صاحب عينات على مقتل علي أحمد مساوي، بدليل وصفه بالمحب، لكنه نقض على يافع كثيراً (جم جم) واشتغل عليه المنصب إلى غاية نقض يافع عليه.

- ما تزال الفتن قائمة حتى كتابة الرسالة.

- ويختتم الرسالة بالدعاء التقليدي المسجوع، الذي يقدس فيه مؤسس عينات سلفه الجد، الشيخ أبوبكر بن سالم، معدداً صفاته وكراماته المزعومة، بقوله: "هذا مما لدينا والدعاء لكم مبذول عند الصلوات والحضرات والزيارات، عند ضريح فخر الوجود، ومهد كل موجود، غوث الملا، ومدمر المخالفين الأعداء، الذي أعطاه الله النصر حياً وميتاً، الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، والكنز المدخر، ذي النور الساطع، والفخر الجامع، والسيف القاطع، والرمح القامع، صاحب الكرامات الخارقات، والأنوار الساطعات، والشموس الشارقات، والبوارق اللامعات، الشيخ أبوبكر بن الشيخ سالم، والحبيب الحسين وأولادهم، أهل الكتيب الأحمر، والثريب الأخضر في عينات، حيث الأرض منها النور فاض، وبحرها ليس يختاض، خلوا الاعتراض، يا أصحابنا كونوا أنفاض، سيروا بانتهاض، زوروا ببلاد الحبائب، يا مولى الكتيب تراها طب لجراح، منه المسك فاح، من شم هاتيك الأرياح، يغنم واستراح، مرغ بها الخديا صاح، إن رمت النجاح، وزر قبها بترتيب، يا مولى الكتيب، بالعافية الضافية، والنعمة الدائمة، والكلمة العالية، والرتبة السامية، والحفظ والحماية، والذرية الكثيرة القوية، الصالحة، والجمالة دنيا وآخرة، وإنزال الخيرات والبركات وعموم الرحمت، وصلاح الحالات، حماكم الله خالق السموات والأرض".

نهاية دولة ابن مقيص:

وهكذا تجمعت عوامل متعددة أدت إلى اضمحلال دولة ابن مقيص ونهايتها، فلم تستقم بالكاد على أرجلها، وتفرض هيمنتها بقوة السلاح والمال، ودعم العلويين وإسنادهم، حتى بدأ



الوثيقة السادسة

سنة ١٢٤٤ هـ، يقول فيها: "وما ذكرتم من قيام يافع الفئدة الباغية بحضر موت، ومخالفتهم على السلطان عمر بن مقيص، فالله تعالى ينصره عليهم (أ.هـ). وفي هذا ما قد يؤيد ما رواه زربادي من خبر غرامة معه، ومن أخرى منه إليه بتاريخ ١٤ محرم ١٢٤٥ هـ، وتريم ذكرتم أن عسكري يافع فيها نكثوا العهد على بن مقيص وهو في مكانه، إلى آخر ما ذكر" (٣٤).

وهناك من يضيف إلى أسباب انهيار دولة ابن مقيص حيلة القبائل المسلحة التي لم تستطع أن تواجهه عسكرياً؛ لأنها لم تمتلك السلاح مثله فسالته، ثم اتفقت على أن تأتي ضيوفاً تصابحه وتماسيه قبيلة بعد أخرى؛ استغلاً منها لسخائه وكرمه، فأهدر أمواله الكثيرة في الضيافات والعطايا، وبدأ الاضطراب يعصف بدولته، ولم يعد يمتلك حينها المال الكافي لدوام استمرارها فانهارت دولته الفتيه تدريجياً (٣٥). وكانت "أقصر من ظمء الحمار حتى لقد صارت مضرب المثل في قصر المدة" (٣٦).

ومهما يكن من أمر فقد أصبح ابن مقيص مضرب المثل في قصر مدة حكمه، وفي هذه الدولة، وفي أميرها، قال وزيرها السيد عبدالله بن أبي بكر عديد من قصيدة طويلة كلها تأسّف وتحرق:

ولما رأيت لهاة الهياج

حسبتك فحلاً وأنت خصي

تبرقع فإنك مثل النساء

وصنع لك عقدين من بصبص

لقد هانها الله من دولة

تربت على الدجر والحنص

إلى قوله:

فخلوا البنادق لأربابها

وشلو بديل البنادق عصي

وقولوا عسى الله ينصف لنا

ويرجم أعداءنا بالحصي

ومات السيد عديد، تغمده الله برحمته، ولم يذكر مصادر التاريخ هل كان يعني ببيتيه الأخيرين العلويين ببناء الدولة،

أو كان يعني أميرها ابن مقيص ورجاله؟! وببدو أن الشاعر كان ذا روح فكاهية باسمه، تضحك في وجه المكاره، وعندما يرين الفشل على النفوس. لقد كان له، على أي حال، نصيب من (دولة الدجر والحنص) بحكم وزارته لها.

وهال الزمان التراب على ابن مقيص ودولته، وبقي شعر السيد عديد يشيع البهجة في النفوس المكومة، وينفس عن الناس كربتهم وضيقهم من تذكر تلك الأيام السوداء (٣٧).

الخلاصة:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يقدم معلومات وحقائق تاريخية جديدة، استناداً إلى وثائق تاريخية أصيلة، تنشر لأول مرة، تعود إلى زمن الحدث، تكشف تفاصيل مجهولة، وتميط اللثام عن كثير من الغموض واللبس الذي ساد عن دولة ابن مقيص - حضر موت، ذات العمر القصير. ومن ذلك أن ظهورها ليس في ١٥ / ٤ / ١٢٤٣ هـ كما ورد في كثير من المراجع،



التاريخ الحضري المعاصر، ومثلما ظهرت فجأة، دون تمهيد كافٍ على الأرض أو إعدادٍ لكامل مقوماتها، فقد دخلت في دوامة الاضطرابات وانتهت سريعاً، قبل أن تحقق المرجو من قيامها في وقف الفتن وإشاعة العدل والأمن والأمان، كما حلم مؤسسوها العلويون، وأصبحت مع حاكمها في ذاكرة الحضارم موضوعاً للسخرية والتندر وضرب الأمثال بقصر مدة الشيء.

هكذا أفلت دويلة ابن مقيص والناظرون إليها ينشدون قول التهامي^(٤٠):

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار
وبعد أن يتسوا وعادوا فولّوا وجوههم مرة ثانية شطر منصور
بن عمر الكثيري وإذا هو لا يزال منهمكاً في إيقاد نيران الفتن،
وارتكاب المناهج العمياء في سلوكه السياسي المذبذب.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة عدن.

الهوامش:

٢٧. المختصر في تاريخ حضر موت: ص ١٠٦.
٢٨. بضائع التابوت: ٢ / ٢٧٧.
٢٩. بضائع التابوت: ص ٢٧٩.
٣٠. انظر صورة الوثيقة رقم (٢)، رسالة عبد الحبيب بن صالح بن محمد سعيد الجحوشي الضبي، التي بعث بها من المكلا إلى فقهاء بني بكر.
٣١. متعور: من العار، أي مستنكر، وكأن ما حدث عارٌ لحق به وجب محوه.
٣٢. انظر صورة الوثيقة رقم (٣).
٣٣. انظر صورة الوثيقة رقم (٣).
٣٤. بضائع التابوت: ٢ / ٢٨٠.
٣٥. تاريخ حضر موت: ص ٩٠.
٣٦. إدام القوت، ص ٨٤٥. الظَّمُّ والجَمْعُ الأظْمَاءُ: حبسُ الإبلِ عن الماء إلى غايةِ الورود؛ فما بينَ الشَّربِينِ ظِمٌّ. وظَمٌّ. وظَمٌّ الحِمَارُ أي يسيرُ لأنه ليس شيءٌ أقصرَ ظمناً منه.
٣٧. بالمختصر في تاريخ حضر موت، ص ١٠٦. المعلم عبدالحق، ص ١٣١.
٣٨. انظر صورة الوثيقة رقم (١).
٣٩. بضائع التابوت: ٢ / ٢٧٧.
٤٠. تاريخ الدولة الكثرية: ص ١٩٥.

بل في الأرجح يعود إلى العام السابق له ١٢٤٢ هـ، وشاهدنا على ذلك الرسالة المؤرخة قبل ذلك التاريخ بشهرين، وتحديدًا في ١٥ / ٢ / ١٢٤٣ هجرية^(٣٨)؛ لأنها تصف هبة الدولة ونفوذها القوي حينها، بما يعني أنها كانت قائمة قبل ذلك التاريخ بفترة زمنية لا تقل عن أشهر عدة، وهبتها دون شك سابقة لنشأتها بفترة كافية، ومع ذلك تظل معرفة يوم وشهر نشأتها مجهولاً، وقد تكشف عنه وثائق مماثلة تظهر في المستقبل. ورغم أن الرسائل الثلاث لم تذكر الاسم الكامل لابن مقيص واكتفت بكنيته، ولم تشر إلى نسبه هل من يافع أو تميم، ويظل ذلك محل تنازع بين يافع و تميم، لكنها أشارت بوضوح إلى دخوله الحرب مع تميم ضد يافع وعينات وحلفائهم حينما تطورت الخلاف إلى حرب بين الطرفين، وهذا في تقديرنا يرجح فرضية نسبه إلى آل أحمد التميميين، ولو كان من آل أحمد القعيطيين أو من يافع عامة، لكانوا آزره ووقفوا معه.

وخلص البحث وفقاً لما بيّنته الوثائق أن ابن مقيص لم يكن رجل دولة، ولا ذا طموح للحكم، وإنما خضع للظروف ولرغبة العلويين، الذين اقنعوه بتقبل دور الحاكم، السلطان، وأنه على غير الشائع مما روج له العلويون (في أن عمر بن مقيص استولى على سلطنة تريم، وأن يافع أذعن له بالطاعة، وألقت إليه أزمّة الرئاسة عن طوع واختيار)^(٣٩)، لأن يافع، كما أفصح عنه الرسائل وما وأوردته من أحداث وما بيّنته من خلافات قادت إلى نزاعات وحروب، لم تقبل بدولة ابن مقيص عن رغبة وقناعة ومثلها عدد من القبائل، وإنما قبلوا بها خشية لما أشيع من قوتها لحظة ظهورها لتجنب عداوتها. بل بيّنت الرسائل أن العلويين لم يكونوا جميعهم متفقين على دعم دولة ابن مقيص وإسنادها، كما يُشاع، بدليل موقف سادة عينات المعارض لاستئثار ابن مقيص بنصف مواردهم إجباراً، وبدون وجه حق يروه، فظلوا يترقبون الفرصة لاستعادة حقهم ومكانتهم بين اتباعهم.

وخلاصة القول إن دويلة ابن مقيص كانت حدثاً عابراً في

الحلف والاتفاق بين الدولة عوض بن عمر القعيطي وإخوانه وبين قبيلة آل بن عمر باعمر سنة (١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م)



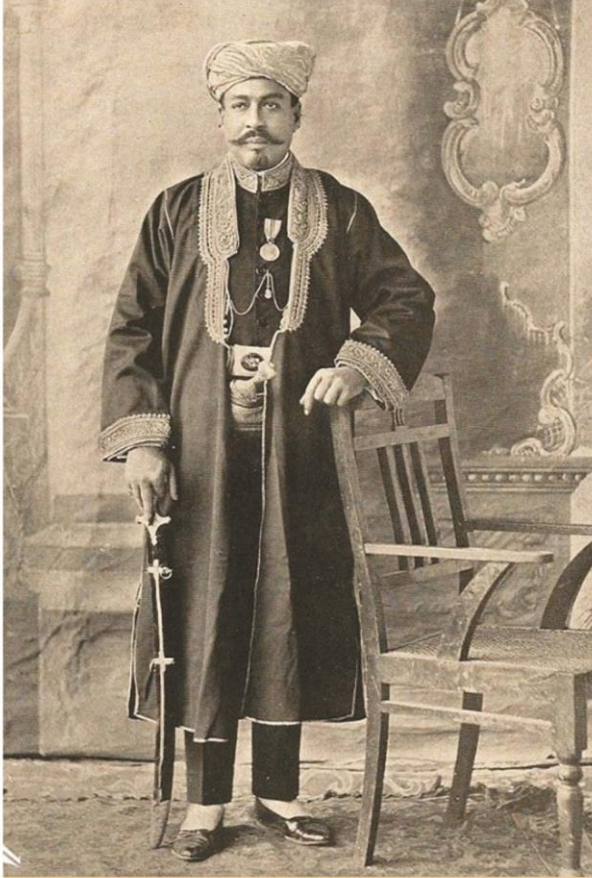
مقدمة:

لقد كانت الوثيقة التاريخية وما زالت مصدراً مهماً تستند عليه الدراسات والبحوث؛ كونها شاهداً قوياً على مجريات الفترة التاريخية التي وثقتها وكتبت فيها. ومن خلال الوثائق يستنبط الباحث معلوماته التي يخرجها بعد دراسة مادة علمية صحيحة المصادر وقوية المعلومة وتمحيصها. ولا عجب أن كانت الوثيقة التاريخية الواحدة مصدراً يسهم بقوة في إخراج عدد من الدراسات المختلفة في اتجاهاتها ومناهجها البحثية.

وخلال الصفحات القادمة سوف نحاول بكل يسر تسليط الضوء والوقوف على واحدة من أهم الوثائق التاريخية التي تحاكي تاريخ الدولة القعيطية وبداياتها، بل تمثل جزءاً مهماً من



حسين محمد بن جابر بن همام



السلطان عوض بن عمر القعيطي

التاريخ السياسي للمنطقة، حيث سلمت الراية مجدداً للدولة الكثيرة. وتمثل مدينة الشحر ونواحيها بالنسبة لهم أهمية كبيرة؛ كونها ميناء ذا خصوصية من بين الموانئ المتفرقة على الشريط الساحلي للبحر العربي^(٢). وبعدما تمكن آل كثير من هزيمة آل بن بريك وسيطرتهم على الشحر، توجهت أنظارهم مباشرة نحو غيل باوزير، التي كانت بالأمرس هي الأخرى داخلية في نفوذهم وسلطتهم قبل استقلال يافع بها. وأول خطوة اتخذها آل كثير بعد وصولهم إلى غيل باوزير أنهم جددوا علاقتهم مع قبيلة (آل بن عمر باعمر)^(٣). لكن ذلك لم يدم طويلاً؛ حيث دارت الدوائر، وتمكنت يافع من استعادة الشحر من قبضة آل كثير بعد الهجوم عليها بقيادة القعيطي في ٢٤ من ذي الحجة من السنة نفسها^(٤).

تاريخ حضر موت والوطن، وهذه الوثيقة هي وثيقة الاتفاق والحلف بين الدولة المكرم عوض بن عمر القعيطي وإخوانه وقبيلة آل بن عمر باعمر. وبدورنا سوف نحاول القراءة بين سطور الاتفاقية، والوصول إلى فائدة، نحسب من خلالها أن نخرج بمعلومة، تسهم في تبسيط المشهد لتلك الحقبة التاريخية المهمة من تاريخ حضر موت.

ومن خلال هذا المقال سوف نعرض الدور التاريخي الذي شهدته مدينة غيل باوزير، من خلال تطورات الأحداث بعد سقوط إمارة آل بن بريك في الشحر؛ إذ إنه من المعلوم تبعية غيل باوزير - وقتذاك - للسلطة التي تحكم الشحر، وذلك من خلال الوقوف على وثيقة الحلف والاتفاق الذي جمع بين السلطان عوض بن عمر القعيطي وإخوانه وآل بن عمر باعمر، تلك الوثيقة المهمة التي تم صياغة حروفها في مدينة غيل باوزير، وقد شهد على بنودها مناصب آل باوزير أصحاب السلطة الروحية والكلمة الفاصلة في المنطقة.

أولاً: لمحة حول الأحداث التي سبقت الاتفاق بين الدولة القعيطي وقبيلة آل بن عمر باعمر:

١ - سقوط إمارة آل بن بريك وسيطرة آل كثير

على مدينة الشحر سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م:

لقد سبق أن حاول آل كثير استعادة الشحر لملكهم، وبذلوا من أجل ذلك الغالي والنفيس، وجرّت أحداث تجرّعوا خلالها الكثير من الخسائر، ولكنهم بهجومهم عليها سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م تمكنوا من السيطرة عليها بقيادة (السلطان غالب بن محسن الكثيري، الذي حاصر مدينة الشحر من كل مداخلها البرية^(١))، وتحقق لهم النصر بعد أن لحقت الهزيمة بالأمراء آل بن بريك الذين لم يجدوا بداً من الرحيل عبر المكلا ومنها إلى خارج حضر موت، وبذلك أسدل الستار على مرحلة من مراحل

نص الوثيقة

((الحمد لله، لما كان يوم الخميس وسبعة وعشرين في شهر ربيع أول سنة ١٢٨٦ هـ الستة والثمانين ومائتين وألف اتفقوا الآتي ذكرهم: دولة بندر الشحر المحروسة بالله تعالى الدولة المكرم عوض بن عمر بن عوض بن عبدالله القعيطي وإخوانه عبدالله وصالح أو من يقوم مقامهم، وآل عمر باعمر، وهم: بوبكر بن أحمد بن محمد بن بشر وعبود بن سالم المرذوف وأحمد بن عبدالله بن عمر بن مساعد وعلي بن محمد بن علي بن شداد وسعيد بن عبدالله بن محمد بن شداد المكنى البعوض وعمر بن أحمد بن حصن ومحمد بن عبدالله بن عمر بابكر وعبدالله بن سعيد بن عمر بن شداد وأحمد بن سالم بن سعيد بن محمد بن شداد وسالم بن عبدالله بن سعيد بن محمد بن شداد آل عمر باعمر، شلوا وتحملوا آل عمر باعمر المذكورين للدولة المكرم عوض بن عمر بن عوض وإخوانه بعهد الله الوثيق وميثاقه الشديد حلف على دم وفرث وشايم وتبعة وسمعة على كاين من كان حيث كان، وخصم الدولة المكرم عوض بن عمر وإخوانه خصمهم، وصديقه صديقهم، ومقربين الخير لآل عمر بن عوض ومباعدن الشر عنهم، وأن يرون لهم ما يرونه لأنفسهم، وأماكن آل عمر باعمر أماكن الدولة المكرم عوض بن عمر المذكور وإخوانه ومن يقوم مقامهم، وهم في التبعة والسمعة للدولة المذكور ومن يقوم مقامه في رتب وسراح،

٢- استعادة الشحر من قبضة آل كثير بقيادة السلطان القعيطي سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م:

في (٢٤ من ذي الحجة سنة ١٢٨٣ هـ) الموافق (١٨٦٦ م)، هاجمت قوة كبيرة الشحر من جميع جهاتها وجرت بينها وآل كثير حوادث، لم يستطع خلالها آل كثير الصمود سوى يومين، ثم استسلموا وانسحبوا من المدينة، وبذلك تم لياغ النصر، ودحر القوى المعادية ووجودهم في المنطقة، وقد سبق ذلك اتفاق على أن تصبح الشحر ملكاً للقعيطي بعد توافقي جرى بين الجمعدار القعيطي والنتيب صلاح بن محمد الكسادي^(٥)، وبهذا تكون الشحر قد دخلت في مرحلة جديدة من تاريخها السياسي^(٦).

ثانياً: اتفاقية الحلف بين الدولة المكرم عوض بن عمر القعيطي وإخوانه وبين قبيلة آل بن عمر باعمر سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م:

١- قراءة في وثيقة:

- رقم الوثيقة :
- نوع الوثيقة : حلف
- مكان صدور الوثيقة : غيل باوزير
- حالة الوثيقة : جيدة
- مصدر الوثيقة : وثيقة منشورة
- التاريخ الذي كتبت فيه الوثيقة: ٢٧ / ربيع أول / ١٢٨٦ هـ



قصر البريكي
بمدينة الشحر



وثيقة الحلف بين الدولة المكرمة عوض بن عمر القعيطي وإخوانه ومن يقوم مقامهم، وبين قبيلة آل بن عمر باعمر في غيل باوزير سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م

وصف الوثيقة

عبارة عن لوح ورقي واحد متوسط القطع، تم شغل وجه واحد بحيث تغلب الكتابة على أكبر مساحة من الوجه المشغول في اللوح، عدد الأسطر بعد الحمد لله عشرون سطراً، والأسطر من (١-٦) فصلت توقيت الاتفاق وتاريخه، وشملت ذكر طرفي الاتفاق، في حين أن باقي السطور هي الخاصة ببنود الاتفاق وصيغته، ومادون ذلك توقيعات من يهمهم الأمر ومناصب آل باوزير أصحاب الحل والفصل والسلطة الروحية في غيل باوزير، وجاء توقيع السلطان عوض بن عمر القعيطي وإقراره على ما شملته السطور في أعلى يسار اللوح.

أهمية الوثيقة

- ١- أنها شاهد على الحقبة التاريخية التي كتبت فيها.
- ٢- وثقت أحداثاً تاريخية مهمة عاصرتها مدينة غيل باوزير.
- ٣- تمثل هذه الوثيقة محضر اتفاق وحلف بين الدولة المكرمة

ليس يعتذرون بعذر بعد أو قرب، وشالين بقطع كل تبعة لكل خصم للدولة المكرم عوض بن عمر المذكور وإخوانه، وليس يواصلون الخصم أو يواصلونه ويقطعون مادته من كل الوجوه، وشلوا وتحملوا آل عمر باعمر المذكورين على حسب العوايد السابقة أرض الدولة المذكور، وهي أرض الدمنة غيل باوزير ونواحيه، وشالين أيضاً بكل منفعة وصيانة للأرض المذكورة، وإن حدث جاء خصم على الغيل ونواحيه وأحدث حادث يد آل عمر باعمر على المعتدي قبل يد الدولة المكرم عوض بن عمر، وما كان لآل عمر باعمر من كيلة في الأرض المذكورة وكلما يعتادونه من الدول السابقة بحق مبلغه لهم الدولة عوض بن عمر المذكور حسب ما هم سارحين عليه ومستمدين وأيديهم مرتبة عليه، والحلف المذكور على حال ومال ودم وفرث، جرى ذلك بين المذكورين بالرضى والخيرة، والله خير الشاهدين)).

حضر بذلك وكتبه بيده: السيد محمد عبدالله بن أحمد

بوبكر بن سالم

حضر بذلك: عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم بن

يعقوب باوزير

حضر بذلك: عبدالرحيم بن محمد بن سالم بن عبدالله بن

يعقوب باوزير

حضر بذلك: عبدالرحمن بن محمد بن سالم بن يعقوب باوزير

حضر بذلك: محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن عبدالصمد

بن قويرة باوزير

حضر بذلك: عمر بن غوث بن عبدالرحيم زغبة باوزير

حضر بذلك: عوض بن أحمد بن عبدالله بن شيخان باوزير

حضر بذلك: سعيد بن عبدالله بن عوض بن شيخان باوزير

حضر بذلك: عوض بن غوث بن عوض فقيه باوزير

حضر بذلك: حمد بن شيخ بن عمر بن قويرة

شهد بذلك وكتبه الفقير: سالم بن عبدالصادق بن قويرة باوزير



**عندما سقطت إمارة آل بن بريك في الشحر
على يد آل كثير سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م،
توجهت أنظارهم نحو مدينة غيل باوزير؛
لكونها تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لهم؛
إذ إن موقعها يمثل حلقة وصل بين مدن
ساحل حضر موت وواديها، ولا ننسى أن
مدينة غيل باوزير خلال تاريخها كانت
تتبع السلطة التي تحكم الشحر**

عوض بن عمر القعيطي ومن يقوم مقامه وبين قبيلة آل بن
عمر باعمر، حيث نظمت العلاقة الجديدة بينهم، وحددت
المسار الصحيح الذي يجب أن تكون عليه الروابط.

٤- وردت فيها أسماء لشخصيات مهمة في الأسرة الحاكمة
القعيطية.

٥- حضور مناصب آل باوزير وتوقيعهم على الاتفاق فيه
دلالة على احترام مكانتهم ووجاهتهم من قبل طرفي الاتفاق.

أهم النقاط التي نصت عليها الوثيقة:

- حلف بين الدولة عوض بن عمر القعيطي وإخوانه وآل بن
عمر باعمر.

- حلف على حال ومال ودم وفرث وتبعة وسمعة.

- إن خصم الدولة القعيطي يعد خصم آل بن عمر باعمر،
وصديقه صديقهم.

- تعهد آل بن عمر باعمر للقعيطي بالخير، وإبعاد الشر عنه،
وأن يروا للقعيطي ما يروونه لأنفسهم.

- أماكن آل بن عمر باعمر أماكن الدولة عوض بن عمر
القعيطي وإخوانه ومن يقوم مقامهم.

- لا يحق لآل بن عمر باعمر الاعتذار حال الطلب.

- على آل بن عمر باعمر قطع تبعتهم لكل خصم للدولة
عوض بن عمر القعيطي وإخوانه، وعدم التواصل مع الخصم
ومقاطعة مادته من كل الوجوه.

- تعهد آل بن عمر باعمر للقعيطي على حماية وصيانة أرض
(الدمنة) غيل باوزير التي أصبحت من أراضي القعيطي،
وتقديم كل منفعة للغيل.

- إذا اعتدى على غيل باوزير خصم فإن آل بن عمر باعمر
على المعتدي قبل يد الدولة القعيطي.

- تعهد القعيطي لآل بن عمر باعمر بأن كل ما يعتادونه من (كيلة)
في غيل باوزير من الدول السابقة سيستمر لهم بحسب العوايد.

- تأكيد نوع الحلف بأنه على حال ومال ودم وفرث.

- أن الحلف المذكور جرى بين الطرفين برضاهم.

٢- وقفة حول الأسباب التي دعت لكتابة الوثيقة:

عندما سقطت إمارة آل بن بريك في الشحر على يد آل كثير
سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م، توجهت أنظارهم نحو مدينة غيل
باوزير؛ لكونها تمثل أهمية كبيرة بالنسبة لهم؛ إذ إن موقعها يمثل
حلقة وصل بين مدن ساحل حضر موت وواديها، ولا ننسى
أن مدينة غيل باوزير خلال تاريخها كانت تتبع السلطة التي تحكم
الشحر؛ ذلك لأن الشحر تمثل الميناء والسوق الوحيد الذي
يعتمد عليه سكان الغيل في معيشتهم، فهي تتأثر بكل الأحداث
التي ترتبط بمدينة الشحر. وكذلك أن فيها حلفاء وأصدقاء
تاريخيين وهم قبيلة آل بن عمر باعمر، وهي القبيلة التي تمثل
أقدم كيان مسلح يستقر في غيل باوزير، وعليه عمل آل كثير على
تجديد العلاقة مع آل بن عمر باعمر، وتأمين مدينة غيل باوزير.

ولكن ذلك لم يدم طويلاً؛ إذ سقطت الشحر في يد القعيطي،
وانسحب منها آل كثير، وحتمت الضرورة هنا لخضوع الغيل
لسلطة القعيطيين؛ إذ بادر السلطان عوض بن عمر القعيطي
بإرسال وساطة لعقد اتفاق مع قبيلة آل بن عمر باعمر.

ويمكننا تلخيص الأسباب التي دعت القعيطي إلى عقد
الحلف مع قبيلة آل بن عمر باعمر في الآتي:

١- أن قبيلة بن عمر باعمر من القبائل الكبيرة من حيث
العدد، والقوية من حيث امتلاكها السلاح، وهي تسكن غيل
باوزير وبعض الأرياف التابعة لها.



الهوامش:

- (١) هو السلطان غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن علي بن بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبو طويرق، كان باحث حياة الدولة الكثيرة في دورها الثاني، ولايته العرش في الفترة ما بين (١٢٨٢ - ١٢٨٧ هـ) - (١٢٦٥ - ١٢٧٠ م).
- (٢) باحسن: عبدالله بن محمد بن أبي بكر جل الليل: (نشر النفحات المسكية في أخبار الشجر المحمية). دراسة وتحقيق: د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٤٧٠. وباوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، ص ١٨٨. وجروان: عدنان أحمد سالم، مدينة غيل باوزير دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (١٣٥٥ - ١٣٨٧ هـ) - (١٩٣٦ - ١٩٦٧ م)، دار الفالحين للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٧٢.
- (٣) انظر ابن حميد: سالم بن محمد بن سالم، تاريخ حضر موت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، المجلد ٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ٢٤٨.
- (٤) انظر الجوهي، خالد حسن: إمارة آل بن بريك في الشجر (١١٦٥ - ١٢٨٣ هـ) - (١٧٥١ - ١٨٦٦ م)، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- (٥) بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، دار حضر موت للطباعة والنشر، حضر موت، المكلا، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص ٧٠. ومرجان: سامي ناصر، الإمارة الكسادية في حضر موت، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ١٦٥ - ١٦٦.
- (٦) باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضري، المرجع السابق، ص ٢٢٩. وباحسن، النفحات المسكية، ص ٤٧٠. وجروان، ص ٧٢.

المراجع والمصادر:

- وثيقة الاتفاق والحلف بين القعيطي وقبيلة آل بن عمر باعمر (نسخة منشورة).
- باحسن: عبدالله بن محمد بن أبي بكر جل الليل: (نشر النفحات المسكية في أخبار الشجر المحمية)، دراسة وتحقيق: د. محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، تريم، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ابن حميد: سالم بن محمد بن سالم، (تاريخ حضر موت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة)، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، المجلد ٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- باوزير: سعيد عوض، (صفحات من التاريخ الحضري)، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- بامطرف: محمد عبدالقادر، (في سبيل الحكم)، دار حضر موت للطباعة والنشر، حضر موت، المكلا، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- جروان: عدنان أحمد سالم، (مدينة غيل باوزير دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ١٣٥٥ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٣٦ - ١٩٦٧ م)، دار الفالحين للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- مرجان: سامي ناصر، (الإمارة الكسادية في حضر موت)، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- الجوهي، خالد حسن: (إمارة آل بن بريك في الشجر ١١٦٥ - ١٢٨٣ هـ / ١٧٥١ - ١٨٦٦ م)، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- بن شيخان، سامي محمد: (نفحات وعبر من تاريخ غيل باوزير)، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢- أن آل بن عمر باعمر الكيان الوحيد المنافس لسلطة يافع في غيل باوزير، وهو ما يؤيد طموح آل كثير، ويحقق هدفهم في إنهاء نفوذ يافع في المنطقة.

٣- أن آل بن عمر باعمر على اتفاق مع آل كثير وهو ما حتم على القعيطي الضغط عليهم بعقد هذا الاتفاق لقطع علاقتهم مع خصومه.

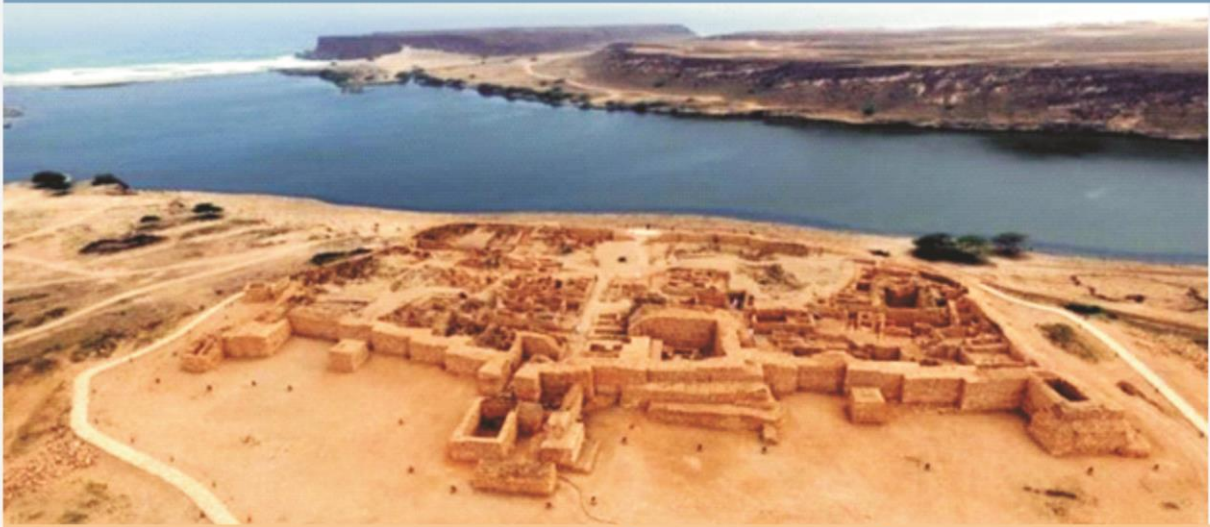
٤- أن الاتفاقية محاولة سياسية لكسب رضا آل بن عمر باعمر، ودخول غيل باوزير في تبعية القعيطي دون حرب؛ إذ لم يكن أمام آل بن عمر باعمر إلا الموافقة على طلب القعيطي ولا حل أمامهم غير ذلك.

ووفقاً لما سبق نجحت الوساطة، وأرسل القعيطي نائباً له في غيل باوزير وهو (عنبر بن عبيد الرباكي)، وتم عقد الاتفاق في يوم الخميس ٢٧ محرم ١٢٨٦ هـ بحضور رؤساء آل بن عمر باعمر ومن يقوم مقام الدولة القعيطي وأصحاب الوجاهة والمناصب آل باوزير أصحاب السلطة الروحية في المنطقة.

ملخص:

في الصفحات السابقة حاولنا جاهدين الوقوف على وثيقة الحلف والاتفاق بين الدولة القعيطي وقبيلة آل بن عمر باعمر، التي تم عقدها في ٢٧ محرم سنة ١٢٨٦ هـ، ذلك الاتفاق الذي تم بحضور رؤساء آل بن عمر باعمر ومن يقوم مقام الدولة القعيطي وحضور مناصب المشايخ آل باوزير الذين تنسب إليهم الغيل، وفيه دلالة على احترام الطرفين المتحالفين لمكانتهم ووجاهتهم في المنطقة، ولقد جاءت الوثيقة في لوح متوسط القطع، تم شغل وجه واحد بالكتابة، وقد وضحت الوثيقة البنود التي تحالف عليها الطرفان وقد تم تفصيلها سابقاً، وضمّت توافيق شهود الاتفاق ومن حضره، وجاء توقيع الدولة القعيطي وإقراره على الاتفاق في أعلى يسار الوثيقة. وحاولنا خلال القراءة الوقوف على الأسباب التي دعت لعقد الحلف بين الطرفين، ويمكننا اعتبارها أسباباً تستدعي عقد الحلف والاتفاق؛ حفظاً لأمن المنطقة ومصالحة كل طرف، آمليْن أن نكون قد وفقنا في ذلك.

مدينة سمهرم الأثرية بظفار



سأكلان "أرض البخور"

الاسم والدلالة التاريخية

أغلب المتخصصين والباحثين يؤكّدون على أن سأكلان تقع في ظفار، ومرتبطة بأرض اللبان^(٤)، وأن أهلها كانوا يقطنون شرقي حضرموت وعمان^(٥).

وذهب بعض المؤرخين الغربيين إلى أن مسمى سأكلان استمر استخدامه إلى القرون الإسلامية الأولى، وأنه كان يطلق على السهل الرئيس في ظفار، وذلك من خلال ربطه مع اسم عوكلان، الذي ذكره ابن خرداذبة (توفي ٢٨٠هـ)^(٦)، وهي فرضية ضعيفة وينقصها الدليل، فالموقع الذي ذكره ابن خرداذبة يقع في الأغلب في شمال عمان، حيث كان بصدد ذكر المحطات الساحلية على الطريق من عمان إلى مكة فبدأها: بالمنازل، ثم فرق ثم عوكلان ف ساحل هباه أو مناه ثم الشحر^(٧)، فيلاحظ أن عوكلان لا تقع ضمن إقليم الشحر، ولعل ربطهم عوكلان بظفار كان بناءً على جعل الشحر الواردة في النص هي مدينة الشحر الحالية لا الإقليم!!



سالم الكثيري

ذكر اسم سأكلان / سأكلن / سأكلهن (SKLN) في مجموعة من النقوش المسندية القديمة التي عثر عليها في ظفار واليمن^(١)، وقد ورد اسم سأكلان في نصوص المسند لدلالات عدّة: فتارة يذكر كاسم قبيلة، وتارة أخرى كاسم منطقة وموقع مكاني^(٢). ويرى مكياش أن هذا الاسم لا يرد بهذه الصيغة في المصادر العربية بحيث يبين ماهيته^(٣)، وفي جميع الأحوال نجد أن



أحد النقوش المكتشفة في منطقة سمهرم الأثرية
بظفار- عمان التي أشارت لإسم ساكلان

فنرى أن تلك النقوش التي تعود لمملكة حضرموت تركز على مصطلح أرض ساكلن/ ساكلان^(١٥)، في حين تشير النقوش الحميرية التي تعود للأسرة اليزنية، كنقش حزمة أبي ثور الذي يعود تاريخه إلى ٤٨١ م، ونقش ينبق ٤٧، ونقش حصن الغراب المؤرخ بعام ٥٢٥ م إلى اسم ساكلان كدلالة على قوم أو قبيلة، حيث ورد هذا الاسم اسماً لقبيلة من القبائل التي مد اليزنيون نفوذهم إليها^(١٦)، وذكر شعب ساكلان/ ساكلن كأحد الشعوب المتحالفة معهم، وهو ما يجسد العلاقة التي ربطت بين اليزنيين وشعب أرض اللبان ساكلان^(١٧)، ونتيجة لذلك نرى شعب ساكلان يرافقون اليزنيين ويشاركونهم في معاركهم العسكرية، وكذلك في بناء منشآتهم العمرانية خارج حدودهم^(١٨).

أما عن تفسير معنى ساكلان/ ساكلن فلا يعرف على وجه الدقة معنى هذا الاسم، وذهبت أسهمان الجرو إلى أنه اسم مركب من الحرف (س) اختصاراً لاسم إله القمر (س ي ن)، وكلمة (أك ل) تعني الغلال أو الغذاء، وبناء على ذلك يعني اسم ساكلن أرض غذاء الإله سين، ويقصد بذلك أرض اللبان^(١٩)، في حين رجح حبتور أن ساكلن اسم لقبيلة نسبة لشخص يدعى (أي ك ل م)^(٢٠).

وحاول عدد من الباحثين الغربيين ربط اسم ساكلان بقبائل

ويقابل اسم ساكلان/ ساكلن ويمائله في المصادر الكلاسيكية الإغريقية - والرومانية اسم سخاليت/ سكاليت/ ساكاليتس (Sachalitae/Sachalitas/Sachalites)⁽⁸⁾ وهو كما يظهر تحريف من ساكلان^(٩)، وكانوا يقصدون به الإقليم الجغرافي الذي يبدأ بعد ميناء قنا بحضرموت حتى أرض اللبان شرقاً، كما أطلقوا الاسم نفسه على القبائل القاطنة فيه، وعلى الخليج المطل عليه والصحراء التابعة له^(١٠)، ويرى المؤرخ ولفريد شوف في تعليقه على كتاب الطواف أن كلمة ساخاليتس/ ساكاليتس هي المرادف الهليني لكلمة ساحل جزيرة العرب، مشيراً إلى أن ذلك يتفق مع الجغرافيين العرب الذين قالوا إن الشحر تمتد إلى ما بعد ظفار^(١١).

ويعود هذا المصطلح (ساكلن/ ساكلان) وفق بعض التقديرات إلى وقت مبكر من العصر الحديدي المبكر (قبل ٥٠٠ ق.م)، أي بفترة أقدم من قدوم التجار من شبوة ومملكة حضرموت^(١٢)، وقد ورد ذكر ساكلان في مجموعة من النقوش التي تعود لفترة مملكة حضرموت، وخاصة في عهد الملك يشهر إل يهرعش، والملك إل عزيلط، ونجد أن أغلب الإشارات تنص على أن ساكلان أرض ومنطقة، وهي الأرض التي تقع فيها مدينة سمهرم، ومن الأمثلة على تلك النقوش^(١٣):

• **نقش (Ja892+Ja892a/9)**: وفيه ذكر تولى جيش حضرموت بأرض ساكلان.

• **نقش (Ja287b/3,4)**: وفيه نبأ قيام نائب الملك الحضرمي على ساكلان ببناء وإصلاح في مدينة سمهرم.

• **نقش (Khor Rori 1/3)**: وحوى خبر تعيين نائب لمدينة سمهرم وتولى جيش حضرموت بأرض ساكلان.

• **نقش (Khor Rori 4/5)**: أشار إلى تولى جيش حضرموت بأرض ساكلان، وقيامهم ببناء مدينة سمهرم بأرض ساكلان: بني/ وهجر/ سمهرم/ بأرض/ ساكلن^(١٤).

الإقليم المحلية، فذهب سبرنجر إلى أن المهرة هم المقصودون بالسأكلان، في حين يرى مولر أن سأكلان هو اسم الحكلي نفسه، وفي الجانب الآخر رجح جلازر أن هذا الاسم ما هو إلا إشارة إلى الشجرة إحدى أقدم القبائل في الإقليم^(٢١)، وهو الأمر الذي يقارب الإشارات التي ربطت اسم سأكلان باسم الشجر الإقليم التاريخي^(٢٢).

وتقترح أليساندرا آفانزين أن سأكلان قد تكون قبيلة غير محلية، وتشكل امتداداً للمجال الثقافي العربي الجنوبي، المتمثل في ممالك حضر موت وغيرها من ممالك جنوب الجزيرة العربية^(٢٣)، وإذا صحت فرضية آفانزين فإن أقرب الأسماء المرشحة لتكون وراء تسمية سأككن / سأكلان: بنو الصقل، وهم قوم من بني نصر بن الأزد^(٢٤)؛ إذ إن بني نصر الأزد لهم ارتباط تاريخي بمنطقة الشحر، فيذكر أن مازن بن الأزد بعث أخاه نصرًا إلى الشحر في الخيل والعدد، فدخلها وسمع له أهلها

وأطاعوه ودفعوا له الإتاوة^(٢٥)، ونصّ الهمداني على أن كثيراً من ولد نصر بن الأزد لحقوا بنواحي الشحر وريسوت^(٢٦). واسم صقل يقارب: صكل / سكل، ومع إضافة حرف الهاء والنون وهي أدوات تعريف في اللغة الحضرية القديمة^(٢٧)، تصبح: صكلهن / سكلهن / سكلن، وتظل هذه مجرد فرضية في حالة تأكد ارتباط سأكلان بأقوام من خارج إقليم ظفار، ونجد باللغة المهرية كلمة أو اسم "سيقل"، وهو نوع من المر، يستخدم في العلاج^(٢٨)، وقد عرف المر بأهميته الكبيرة في اليمن قديماً، نظراً لخصوصيته من خلال استخدامه في تركيب الأدوية والعطور في حضارات العالم القديم^(٢٩)، ونلاحظ قرب (سيقل) من سيكل / سكل، فربما تم اشتقاق الكلمة من هذا الأصل، وخاصة أن منطقة جنوب الجزيرة العربية كانت مشهورة في العالم القديم بمواردها الطبيعية كاللبان والمر.



خارطة توضح موقع أرض Sachalitae / سأكلان / المصدر: تاريخ عمان عبر الزمان، ج ٣، ص ١٢٣



١٣) مطهر، ذكرى عبد الملك. الموانئ اليمنية القديمة: دراسة تاريخية،

رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عدن، ٢٠٠٨، ص ١٤٧.

١٤) مطهر، مرجع سابق، ص ٧٦.

١٥) تاريخ عمان عبر الزمان، ج ٢، ص ٤٢.

١٦) حبتور، اليزنيون، ص ٢٤٨.

١٧) تاريخ عمان عبر الزمان، ج ٢، ص ٤١-٤٢.

١٨) تاريخ عمان عبر الزمان، ج ٢، ص ٤٢.

١٩) تاريخ عمان عبر الزمان، ج ٣، ص ٤١، و: الجرو، الموانئ العمانية

القديمة، ص ٧٢.

٢٠) حبتور، اليزنيون، ص ٢٤٧.

21) JURIS ZARINS. PERSIA AND DHOFAR ASPECTS OF IRON AGE INTERNATIONAL POLITICS AND TRADE. G. D. YOUNG ; M. W. CHALAVAS; R. E. AVERBECK, EDS., CROSSING BOUNDARIES AND LINKING HORIZONS. STUDIES IN HONOR OF MICHAEL C. ASTOUR. ١٩٩٧، BETHESDA 644-643 ص

٢٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ص

23) ALESSANDRA AVANZINI. THE HISTORY OF THE KHOR RORI AREA; NEW PERSPECTIVES. ARAICA ANTICA 1, 2002, 12 ص.

٢٤) الكلبي، هشام بن محمد. جمهرة النسب، تح: علي عمر، ج ٢، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠١٠، ص ٢٨٢.

٢٥) الأصمعي، عبد الملك بن قريب. تاريخ العرب قبل الإسلام، تحق: محمد حسن آل ياسين، ط ١، الوراق للنشر، بيروت: ٢٠٠٩، ص ١٠٨.

٢٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٠.

٢٧) الجرو، أسمهان سعيد. الموانئ العمانية القديمة ومساهماتها في التجارة الدولية في ضوء الكتابات اليونانية والرومانية، ط ١، النادي الثقافي، مسقط: ٢٠١١، ص ٧٢.

٢٨) القميري، سالم لحيمر. المهرة القبلية واللغة، ط ١، مركز عبداي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣، ص ١٠١.

٢٩) الجاويش، عبد الرحمن يوسف عبد الرحمن. الموارد الطبيعية في اليمن القديم: حضارة سبأ أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠١٢، ص ١٦٥.

الهوامش:

١) حبتور، اليزنيون: موطنهم ودروهم في تاريخ اليمن القديم. ط ١، دار الثقافة العربية، الشارقة: ٢٠٠٢، ص ١٠٠، و: أسمهان الجرو، مصادر تاريخ مصادر تاريخ عمان القديم. ب- ط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: ٢٠٠٦، ص ١٠٣-١٠٤.

٢) حبتور، اليزنيون، ص ١١٢.

٣) مكياش، عبدالله أحمد. أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٣، ص ٦٧.

٤) تاريخ عمان عبر الزمان، مجموعة مؤلفين، إصدار مكتب مستشار السلطان للشؤون الثقافية، سلطنة عمان، ٢٠٢٠، ج ٣، ص ٤١، و: حبتور، اليزنيون، ص ٢٤٨، و: مكياش، مرجع سابق، ص ٦٨، و: الجرو، مصادر، ص ١٠٠.

٥) اليمن إبان القرن السادس الميلادي، م. ج. لوندن، ترجمة محمد علي البحر، مجلة الإكليل، عدد ١، ص ٧، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٨، ص ١٢١.

6) LYNNE S. NEWTON AND JURIS ZARINS. DHOFAR THROUGH THE AGES AN ECOLOGICAL , ARCHAEOLOGICAL AND HISTORICAL LANDSCAPE. MINISTRY OF HERITAGE AND CULTURE - OMAN; 2017, 42 ص.

٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٢٦.

٨) كلاوديوس، بطليموس. بطليموس والجزيرة العربية، تر: السيد جاد، تحرير عبدالله العبد الجبار، ط ١، دار الملك عبدالعزيز، الرياض: ٢٠١٧، ص ١٣٩، و: مجهول، الطواف حول البحر الاريثري، تر: أحمد إيش، ط ١، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٤، ص ٥٢.

٩) عمان عبر الزمان، ج ٢، ص ٤٢-٤٣.

١٠) العامري، معمر محمد عبد الواحد. موانئ حضر موت من القرن ٣م حتى بداية العصر الإسلامي، ماجستير في الآثار، غير منشورة، جامعة صنعاء، ٢٠١٩، ص ٧٦.

١١) مجهول، الطواف حول البحر الاريثري، ص ١٧٦.

12) LYNNE S. NEWTON AND JURIS ZARINS. DHOFAR THROUGH THE AGES AN ECOLOGICAL , ARCHAEOLOGICAL AND HISTORICAL LANDSCAPE. MINISTRY OF HERITAGE AND CULTURE - OMAN; 2017, 27 ص



من رحلات المفتش القضائي العلامة عبدالرحمن بكير

الرحلة الأولى

رحلتي مع الوزير إلى حضرموت الداخل

من المعلوم أن الناس كانت لهم رحلات في قديم الزمان، فبعضهم يرحل للتجارة، وبعضهم لطلب العلم، والبعض الآخر للتنقل بين البلدان ومشاهدة آثارها وعمارتها، والتعرف على العالم وبلدانه، وكانت لجدنا العلامة عبدالرحمن بكير - رحمه الله - رحلات متعددة، وأسفار متجددة، بعضها لطلب العلم، وبعضها للمشاركة في مؤتمرات خارجية، وبعضها للعلاج، فأحببت أن يتعرف القارئ الكريم، على خبايا هذه الرحلة التي رافق فيها شيخنا - رحمه الله - وزير الدولة القعيطية أحمد بن محمد العطاس إلى أراضي حضرموت الداخل ومناطقها، وليعذرني القارئ فقد كنت أنوي التعريف بجميع المناطق والقرى التي وردت بالنص وكذا (اللواء الغربي - المنطقة الشرقية - المنطقة الغربية... إلخ)، ولكن ذلك سيأخذ حيناً أكبر من الحواشي، والمقصد - بالدرجة الأولى - بالنسبة لي هو إبراز نص الرحلة، ولعل ذلك يكون في وقت لاحق، عند جمع هذه الرحلات في كتاب مستقل - إن شاء الله، وقد اعتمدت في التعريف بالبلدان في الجملة على كتاب ((معجم بلدان حضرموت للمقحفي))، ولنرجع الآن فيما نحن بصده، وهو النص:

[نص الرحلة]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي صاحب الفضيلة، رئيس المجلس العالي^(١)، الموقر،
بعد التحية: يقتضي الواجب؛ أن أقدم إليكم تقريراً موجزاً،
عن أهم ما اشتملت عليه الرحلة، التي رافقنا فيها معالي السيد
الوزير^(٢)، إلى لوائي شبام والغري، والتي استغرقت عشرين
يوماً، تبدأ من: ٩ / ٢ / ٨٤هـ، والموافق: ١٩ / ٦ / ٦٤م،
وتنتهي يوم: ٢٨ / ٢ / ٨٤هـ، الموافق: ٨ / ٧ / ١٩٦٤م.



اعتنى بها وعلق عليها
أحمد بن محمد بن عوض بكير



كانت الاستقبالات التي استقبل بها معالي السيد الوزير، في كل مدينة، وكل قرية، وكل محلة بدوية، استقبالات تدل كلها بدون أدنى ريب على تطلع الشعب بمختلف طوائفه وطبقاته وقبائله؛ إلى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وسواء كان هذا الحاكم زيدا من الناس أو عمروا؛ طالما أنه من أبناء البلاد، وذلك بالتأكيد لما يرجونه من حاكم عارف بما تتطلبه بلاده، وعارف بما تنطوي عليه جوانح أبناء بلاده

استمع لها معاليه، وسأعرض لطائفة منها في هذا التقرير، يجب أن تلبى؛ لأن في إمكان الدولة تحقيقها، ومن حق أولئك المطالبين أن تحقق لهم، وكفاهم ما مر بهم، وما صبروا وما استكانوا.

المدن والقرى التي زارها في لواء شبام^(٤) ومطالب الأهالي:

المنطقة الشرقية:

في لواء شبام، وفي المنطقة الشرقية بالذات، زارنا دُمُون^(٥) وعَيْنَات^(٦)، وقَسَم^(٧)، والسُّوم^(٨)، وفُغْمَه^(٩)، وشُعْب نبي الله هود، وسَنَا^(١٠)، في نهاية الوادي. ومطالب هذه المنطقة تتلخص في:

- زيادة دور التعليم بالمنطقة، وفتح مدرسة متوسطة بها، نظراً لزحمة المتخرجين من المدارس الأولية.
- تحسين الأحوال الزراعية بالقروض، وبتوفير قطع الغيار لرافعات الماء، والإشراف الصحيح عليها.

أهداف الرحلة:

إن الرحلة في الواقع هي رحلة الوزير، والمرافقين له، استصحبتهم - كما جاء في بعض خطبه - ليطلعوا وليسمعوا معه على ما يرونه وما يقال، وليكونوا على مقربة منه، كلما لزم الأمر للرّجوع إلى أحدهم، وأعتقد أن وجودهم مع معالي السيد الوزير، كان له فوائد جمة مزدوجة^(٣).

جدول أعمال الرحلة:

إن الجدول الذي أعد للرحلة، لم يكن كما وضع بعد مبنياً على حقيقة ما يراد لهذه الزيارة، فهو مثلاً؛ لم يوضح في كثير من الأحيان الأغراض من زيارة بعض المناطق، أو قل كلها، ولقد كان مركزاً بصورة أساسية على مجرد التنقل والإصباح، والمقيل والمبيت، مما أفقده قيمته كجدول لزيارة تاريخية ذات قيم كثيرة، وأهداف سامية، وإذا قدر لهذه الزيارة أن تؤتي ثمارها بوساطة ما تنفذه الحكومة، مما سيقترحه معالي السيد الوزير، لتقدم المناطق التي زارها، والتي استمع لبعض مطالبها.

استقبالات الوزير في المناطق التي زارها:

لقد كانت الاستقبالات التي استقبل بها معالي السيد الوزير، في كل مدينة، وكل قرية، وكل محلة بدوية، استقبالات تدل كلها بدون أدنى ريب، على تطلع الشعب بمختلف طوائفه وطبقاته وقبائله؛ إلى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وسواء كان هذا الحاكم؛ زيدا من الناس أو عمروا؛ طالما أنه من أبناء البلاد، وذلك بالتأكيد لما يرجونه من حاكم عارف بما تتطلبه بلاده، وعارف بما تنطوي عليه جوانح أبناء بلاده، ولقد كان الاستقبال بالصحراء، وبالرملة، ذات تعبير خاص، ومعنى خاص، أكد فيه سكان تلك الرمال، وأطراف بلاد الدولة، ولأهم لحكومتهم، رغم أنها كانت تتجاهلهم ردحاً طويلاً من الزمن، كما عبر عن ذلك بعضهم، ونتيجة لإظهار هذا الشعور، ومدى اغتباطهم وفرحتهم بزيارة السيد الوزير لهم، فإن لهم مطالب



• إنشاء السدود بصورة فنية، وغير مرتجلة،

لتؤدي السدود الغاية من بنائها، وتحفظ بقوتها أمام اندفاع المياه، وأنه إن لم يتم شيء من ذلك؛ فستقبر جميع تربة المنطقة وهي هائلة بالبحر، ومعنى ذلك بالتأكيد خراب هذه المنطقة إلى الأبد.

• العلاج الطبي، وتوفيره للمنطقة، بوجود طبيب، توضع تحت يده جميع الإمكانات، والوسائل، والعقاقير، ووجوب الرقابة الصحية، كوقاية ضد الأمراض.

• تسهيل وسائل العيش للسكان بهذه المنطقة، وذلك برفع الجمارك المتكررة؛ مما سبب للأهالي المستهلكين غلاء في المعيشة، وفقرًا في المواد التي يحتاجها الجسم لبنائه، وللاحتفاظ بهذا البناء؛ نظراً لما يقاسونه من غلاء مستمر، وبطريقة يمكن أن تتجنبها الدولة، والتهاذي في الخطأ ليس له ما يبرره على الإطلاق.

• تطوير المجالس المحلية؛ لتدخلها عناصر طبية، وتوسيع اختصاصاتها.

اجتماع في سنا:

وبعد مغرب اليوم الذي قضيناه بسنا، وتحت أضواء القمر الفضية، وعلى بساط وثير من الرملة، عقد السيد الوزير مع رفاقه اجتماعاً؛ لدرس مطالب المنطقة، وكان من أهم ما درس في هذه الجلسة؛ هو التساؤل عن الطريقة الصحيحة لإنعاش هذه المنطقة، التي ظلت زمناً طويلاً وهي شبه مقفلة، وكان أن أتى على أهلها حين من الدهر، وهم في المهاجر الأفريقية وغيرها، وهذه المهاجر قد لفظتهم في الآونة الأخيرة، وأنهم لابد قادمون إلى بلادهم، والعيش فيها، وهي بهذا الشكل غير ممكن، فلا بد إذًا من حركة ذات أسس؛ لإنعاش هذه المنطقة، وللسيطرة على الخبرة الصحيحة للمنطقة، وإعطاء القروض اللازمة للمزارعين؛ للحصول على رافعات للماء، وإقامة السدود الممكن إقامتها، وتوفير الخدمات الصحية، والتعليمية،

وإيجاد العدد الكافي من اللجان الإصلاحية شبه الرسمية، والشبيهة بالمجالس المحلية، بحيث تكون في كل قرية، وكل بلدة، وكل محلة، ولما كانت الدراسات العلمية للمشاريع تتطلب في الغالب زمناً طويلاً، فقد انعقد إجماع المجتمعين على ضرورة البدء بإعطاء رافعات الماء لمن يطلبونها في صورة قروض، مع القروض اللازمة لاستمرار العمل، وعلى نائب المنطقة والقائم عليها دراسة الطلبات التي من هذا النوع، والعمل على تنفيذها بأقرب ما يمكن من الطرق، وبهذه المناسبة؛ فإن أغلب السدود القائمة والخربة زارها الوفد.

المنطقة الغربية:

وفي المنطقة الغربية من لواء شبام زرنا شبام وبعض المنشآت الوطنية فيها، كمحطة الماء، ومحطة الكهرباء، والصيدلية التعاونية، والمكاتب الحكومية، والريضة^(١١) بالقطن^(١٢)، والعين^(١٣)، ومزارع القطن. وقد احتفلت المنطقة في كل بلدة في شبام، وفي القطن، وفي العين بالسيد الوزير، احتفالات رائعة، كانت دلالتها كما قلت سابقاً؛ هي: رغبة الأهالي في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وأنه يجب أن يكون من يحكمهم في مستوى آمالهم، وطموحهم، وفي مستوى الأحداث التي تمر بالمنطقة منطقة الجنوب العربي - وفي مستوى الأحداث العالمية العامة؛ حتى تواكب البلاد الموكب العالمي في حدود طاقاتها وإمكاناتها.



القطن

أما مطالب الأهالي بهذه المنطقة، فهي بالإضافة إلى ما تقدم من مطالب، تطالب بـ:

- توسيع التعليم في اللواء، وبالذات تعليم الفتاة.
- إنجاز مشروع الدستور للدولة، والمجلس التشريعي؛ لتحكم البلاد بنفسها.
- إطلاق الحريات للمنظمات، والهيئات السياسية، والأدبية، والثقافية؛ لتزاول نشاطها في توعية الشعب.

القاضي بشام، على أن للموضوع مشاكله التي يجب أن تدرس قبل البت في شأنه.

الوحدة الحضرمية:

وفي وفد مختار من أهالي شبام؛ للتحديث مع الوزير عن مواضيعهم التي طرعوها في خطبهم، طلبوا من الوزير أن يحدّثهم عن الخطوات التي تمت من أجل تحقيق وحدة الشعب الحضرمي، وأن يصارحهم بالعقبات التي تقف في سبيل الوحدة، وفي حديث صريح للغاية، تحدث الوزير معهم عن خطوات الوحدة من بدايتها، من حين طلب السلطان القعيطي إلى السلطان الكثيري لتحقيق الوحدة، ومن حين رد السلطان الكثيري على السلطان القعيطي برفض الوحدة، واتخاذ الاتحاد^(١٤) وسيلة لها، وما إلى ذلك من مفاوضات، آخرها المفاوضات غير الرسمية في زيارة الوزير الأخيرة، ومظهر التجاوب الذي بدأ في هذه المحادثات، عن إمكان تحقيق الوحدة، على أن تسبق ذلك دراسات غير رسمية، يمكن بعدها وضع القرار النهائي من الطرفين القعيطي والكثيري.

وفد الشباميين:

ولقد تحدث وفد الشباميين مع الوزير، وطلب منه رأيه، ووضع الحلول في المواضيع الآتية:

- إطلاق الحريات، والسماح للموظفين بالاشتراك في المنظمات السياسية.

• إصلاح الموظف؛ ليشعر بأنه خادم الشعب لا سيده. وهناك مواضيع أخرى، على هامش هذه المواضيع كالخيرية، وتكافؤ الفرص في البعثات التعليمية... إلخ.

ومن أهم تصريحات الوزير بهذه المنطقة، بصدد إطلاق الحريات؛ أنه وكل دراسة الموضوع إلى لجنة الدستور، وهي التي ستوصي بما إذا كان من المفيد إطلاق الحريات فيها ذكر، قبل تكوين المجلس التشريعي أو بعده، على أنه هو يرى أن يتم ذلك قبل تكوين المجلس التشريعي، والملاحظ على الموضوع، وأنا عضو بلجنة الدستور؛ أنني لا أتذكر أن أمراً صدر للجنة، بدراسة مثل هذا الموضوع موضوع إطلاق الحريات وهل يكون بعد تشكيل المجلس أو قبله؟!.

ومما جاء في خطب بعض الخطباء بالقطن:

- أن تنفيذ الأحكام والأوامر، لا يتم بالطريقة المعروفة في دوائر الحكومة، وقد يبقى الحكم أو الأمر زمناً طويلاً، والجهة المسؤولة عن التنفيذ لا تقوم بواجبها، مما يرهق المحكوم له، أو المأمور له، بتردده على تلك الجهة، وعلى الجهة التي أصدرت الحكم أو الأمر.

- ضرورة وجود قاض بمنطقة القطن، وهذا الموضوع لي عنه رأي مكتوب، سبق أن قلته وكتبته، ويتلخص في أن المنطقة فعلاً بحاجة إلى قاض، وربما أغنى وجود القاضي بالقطن عن

الذي يحدّده السيد معالي الوزير، عقب رجوعه من المأمورية التي هو فيها، وإلى جانب ذلك قضايا أخرى، ليس من حقي أن أتحدّث بها في تقرير مكشوف كهذا التقرير، وربما أطلعكم معالي السيد الوزير عليها في تقرير مكتوب أو شفوي.

وفي أثناء إقامتنا بسيئون، زرنا الشيخ محمد مسعود بار جاء^(١٦)، ورئيس الاستئناف السيد عبد القادر بن عقيل^(١٧)، وقاضي سيئون الشيخ عبد الرحيم محمد بار جاء^(١٨)، كما طلبنا من فضيلة رئيس رابطة العلماء بسيئون، السيد علوي بن عبد الله السقاف^(١٩)؛ أن يتصل بمن يمكن الاتصال بهم من علماء سيئون؛ لبحث بعض النواحي العملية، المتعلقة بالقطاعين الكثيري والقعيطي، من الناحية القضائية، وبحث التدهور الخلقي من ناحيته الدينية، ووضع ما يمكن من الحلول؛ لصد كثير من التيارات التي ربما كان لها أسوأ الأثر في الجيل القادم من أبناء هذه البلاد.

وفي جلسة ضمّتنا ببيتته مع بعض طلبة العلم بسيئون، جرى البحث عما ذكر، ووعد بأن يعقد جلسة مع طلبة العلم هناك، ثم سيفيدنا بما يتقرر، ونحن مسبقاً عن طلبة العلم بالساحل، أكّدنا له موافقتنا على كل ما يقترحونه، من أجل الصالح العام، ومن أجل خدمة العلم الديني، والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

- المجلس التشريعي المرتقب.
- أن تكون المجالس المحلية مجالس منتخبة، لا معينة كما هو الوضع.
- وضع حل لمشكلة النقل من الساحل إلى الداخل.
- توسيع الخدمات الصحية في البلد.
- رفع الرسوم الجمركية عن الأدوية.
- فتح مدرسة ثانوية بالداخل.
- البحث عن البترول وما تم فيه.

وفي كل هذه المواضيع تحدّث الوزير، وشرح وجهة نظر الحكومة فيها.

سيئون:

وبين زيارتنا للمنطقة الشرقية، والمنطقة الغربية، من لواء شبام، زرنا سيئون^(١٥) لمدة يوم وليلة، وكان نزولنا بسيئون على ضيافة الحكومة الكثيرية، وفي عصر اليوم الذي قضيناه بسيئون، عقد معالي الوزير مع رجال الحكومة الكثيرية اجتماعاً غير رسمي، تناولوا فيه كما قال لي كثيراً من المسائل المتعلقة بالحكومتين، وعلى رأسها قضية الوحدة، القضية التي آنس من المسؤولين الكثيريين تفهّماً جديداً لها، ربما كان له محتوى جديداً، سيظهر في الاجتماع الذي تقرر أن يتم بين الطرفين، في الوقت



سيئون



السادسة فيما أظن طالبت بفتح مدرسة للبنات؛ لأنهن يدرسن مع الطلبة في مدرسة البنين، والجدير بالذكر أن الفتيات في مدرسة حورة يدرسن مع الفتيان كما فهمت من بعض الأهالي.

قعوة:



لم أستطع حضور الاحتفال الذي أقيم لاستقبال السيد الوزير بدار الحكم بن عجاج، وقد علمت فيما بعد أن أحد الخطباء قال في خطبته بالحرف الواحد: (إن المشكلة التي يعاني منها الشعب، والتي يجب أن تعطوها الكثير من الاهتمام، هي قضية انتشار الرشوة بشكل مخيف، حتى الجهاز القضائي لم يسلم من هذا المرض الخبيث، إلى أن قال: فإذا كان القضاء يعاني من هذا الداء فمن باب أولى أن يكون منتشرًا في بقية أجهزة الدولة الأخرى...).

وإنني شخصياً أطالبكم وأطالب الوزير بدراسة مثل هذه الأمور، لأنه فعلاً إن صحّت فستكون مصدر شرٍ مستطير على هذه الأمة؛ إذ كيف يأمن الضعيف غائلة القوي إذا انتشرت الرشوة؟ أو كيف يضمن المواطنون العدالة الاجتماعية في نظام تنخر في عظامه الرشوة؟ وكيف يحصل المواطنون على تكافؤ الفرص في ظل أوضاع الرشوة من أسسها؟ وكيف وكيف وكيف إلى آخر القائمة.

إن من واجب الحكومة أن تنشئ جهازاً خاصاً لمراقبة الموظفين؛ حتى لا يتلاعب المتلاعبون بحقوق الشعب، ولا بحقوق الحكومة، وتمكّن لهذا الجهاز من أسباب العمل وتحسينه تحصيناً كاملاً من الرشوة والارتشاء، وبغير مثل هذا الجهاز فلن تستطيع الحكومة أن تقوم بعمل إزاء مثل هذه الأخطار المؤذنة بزوال العدل بكل ما تحمله كلمة العدل من المعاني.

اللواء الغربي:

وهذا اللواء المترامي الأطراف، المتاخم لحدود بعض الحكومات العربية الأخرى، والذي قطعنا بين قراه وأوديته ورماله أكثر من سبعمائة ميل في هذه الرحلة، فقد زرنا فيه حورة^(٢٠)، وقعوة^(٢١)، والقارة^(٢٢)، وصنا^(٢٣)، وسهوة^(٢٤)، والخشعة^(٢٥)، وهين^(٢٦)، وحجر الصيغر^(٢٧)، وزمخ^(٢٨)، والعبر^(٢٩)، وعساكر^(٣٠)، ومركز خروه، والسأفود^(٣١)، وسمرة باكيله، والطلح^(٣٢)، والشمرية، ومعر^(٣٣)، وهذه المناطق هي التي أقمنا بكل منها يوماً، أو بعض يوم، أو أكثر من يوم، أما الأماكن التي مررنا بها مجرد مرور فكثيرة، والأماكن التي أقمنا بها في الصحراء فمتعددة.

حورة:



وفي حورة أقيم احتفال استقبال لمعالي السيد الوزير وصحبه، وفي خطبة ألقاها نائب اللواء، قال: إن الأهالي يتطلعون إلى معرفة ماتم، وما ينتظر أن يتم عن الأمور الثلاثة الآتية:

- المجلس التشريعي.
- الوحدة الحضرية.
- البترول، وأنهم يودون أن يشرح لهم السيد الوزير تفاصيل هذه المواضيع، ومن الخطباء كانت فتاة لا يتجاوز عمرها السنة

قارة آل ثابت:

حجر الصيعر:

وفي حجر الصيعر وأمام مبنى المركز الحكومي استقبل الوزير بعض أهالي المنطقة من الصيعر، الذين حيَّوه بإطلاق الأعيمة النارية في الفضاء، وبعد الظهر إلى وقت متأخر من الأصيل أجرى الوزير في بناية المدرسة مع عقلاء المنطقة بعض المحادثات في شؤونهم الخاصة، والإصلاحات التي تتطلبها المنطقة، وفي مقدمة كل ذلك آبار الماء، إلى جانب أشياء أخرى من اختصاصات السيد الوزير.

العبر:



ولقد زار السيد الوزير بالعبر مكتب الجمارك، ومكتب الوحدة الصحية، كما قابل بعض رجال القبائل، الذين عبروا عن فرحتهم بمقدم الوزير إليهم بأساليب مختلفة، وشكروا له هذه اللفتة إليهم؛ إذ لم يزرهم من قبله زائر بهذه الطريق، وكثيراً ما يسمعون عن وصول ضابط من ضباط الحكومة القعيطية بعد سفره، أما في هذه الزيارة فقد علموا بها قبل حينها، وفي حينها تحققت، مما أبهج خواطرهم وسرَّهم، وعرفوا حقيقة أن لهم حكومة ترعى مصالحهم، وأنها بسبيل أن تحقق لهم شيئاً مما يودون تحقيقه. وقد علمت من السيد الوزير أن الجهات المسؤولة في الدولة صدَّقت على فرض خيرية بالعبر، تؤدي بالطريقة التي تؤدي بها الخيرية بالمكلا، على أن تصرف موارد هذه الخيرية على المنطقة نفسها، وعلى أن يبدأ من الصرف منها على بناية مسجد كبير بالمنطقة، وعلى مرشد ديني من نوع ممتاز، يقوم بالوعظ والإرشاد والتعليم، وبعقود الأنكحة، إلى غير ذلك مما تحتاجه هذه المنطقة



وفي ضيافة الحكم علي بن صالح بن ثابت خطب الخطباء باسم الحكم وسكان المنطقة، ورحَّبوا بالوزير، وعبروا عن شعورهم إزاء الوزير الوطني وصحبه، وما يعقدونه من آمال على هذا الوزير وعلى رفاقه في العمل، وبهذه المناسبة فإن العودة من وادي رحية كانت إلى الخشعة، وعلى كريم ضيافة الحكم بن ثابت؛ إذ استقبل الوزير هناك بمظاهر الحفاوة، وبقوافل المهجانة، التي تكرر وصولها في زواملها البدوية، معبرة عن بهجتها بمقابلة أول وزير وطني، ومرة أخرى أكرَّر أن رغبة الناس في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم هي عنوان هذا الشعور كله، الذي لمسناه كلما خطا وكلمنا وقف الوزير.

هينن:



وفي هينن استقبل وفد الوزير بمظاهر الفرح والابتهاج، وأقيم احتفال اشترك فيه طلبة المدرسة بهينن مع أهاليهم، وطالبوا أكثر ما طالبوا بإتاحة الفرص للتلاميذ الفقراء - وكلهم فقراء كما قالوا - في المدارس الوسطى ذات السكن الداخلي ومجاناً، وقد وعدوا بدراسة مطلبهم وتحقيقه إن شاء الله.



الأهالي بالمناطق التي زارها السيد
الوزير يعلّقون على زيارته الأمل
كل الأمل، وسيسقط في أيديهم إن
لم يُحقّق لهم شيئاً من مطالبهم،
ولذا فإن مهمة السيد الوزير ستبدو
عسيرة في المستقبل إن هو لم يُحقّق
للمطالبين شيئاً من مطالبهم

المافود وسمرة باكيلا - عرما:

وفي المافود تجمع آل عمرو، وخطب خطيبهم، وطالب بالمجلس
التشريعي، وإطلاق الحريّات، وفي سمرّة باكيلا طالب الأهالي
بإخراج عين ماء في أعلى الوادي، قالوا إنها ستكفي الوادي
كله، ووعد السيد الوزير المطالبين بدراسة طلباتهم مع
المسؤولين بالدولة، وتحقيق الممكن منها.

الصوط:

وفي الصيطان زُرنا الطلح والشمريّة، ومعر مقرر الحكم
باهيصمي، وفي كل الأماكن التي زُرناها كان الوزير وصحبه
يُستقبلُ استقبالا شعبياً معبراً.

ومما استمعنا إليه بالطلح ومعر تضايق الأهالي من ملاحقة
الحكومة الواحدة لهم؛ لأن كثيراً من شروجهم وأماكن مزارعهم
تقع في مناطق متنازع عليها، والواحد هناك ورجاله يضايقون
من ينزل إلى هذه الأماكن، وربما سجنوا منهم بغير إشعارٍ
بالجريمة، وربما أقام المسجون زمناً طويلاً بالسجن، ثم أفرج
عنه وهو لا يعلم عن جريمته شيئاً، بهذا تحدث بعض الأهالي.

وحين استفسروا معالي السيد الوزير عن المنع الصادر على
المناطق المتنازع عليها، قال: إن موضوع المنع هو منع قوة أحد
الحكومتين من احتلال هذه الأماكن، أما المواطنون الذين لهم

من طالب علم، وبالفعل فقد وكل إلى قاضي اللواء السيد
عمر أحمد المشهور أن يبحث عن طالب علم صالح لملء الفراغ
بهذه المنطقة، وإنني أرجو أن يرفع سيدي صاحب الفضيلة
الرئيس رسالة شكر للسيد الوزير^(٣٤)، وحث على إنجاز المشروع.

خروّة:

في طريقنا من العبر بتنا بالطريق، وعلى أطراف الرملة بين
العبر وعساكر، وفي مركز عساكر أقمنا بعض الوقت، ومنه قمنا
إلى خروّة، ومنطقة خروّة منطقة جبلية وصحراوية، يقيم بها
مأمور الجمرك وجنوده وبعض جنود الجيش النظامي، وإقامتهم
في الكهوف التي في الجبل، وفي المثلث التي نصبوها من الحجارة،
والتي لا تتسع لأكثر من شخص، حيث ينامون بها، وفي الخيام
التي نصبتها الدولة لهم، وبالخيام تقع مكاتبهم ومستودعاتهم،
وفي منطقة خروّة تقع شبوة والعقلة، وعلى بعد (٢٥) ميلاً يقع
وادي عرما، ولعلها المكان الذي يكشف كل الطرق التي تدخل
حضر موت من الدول المجاورة، ومن أجل هذا وضع بها مركز
الحامية، ومركز الجمرك، ويسكن هذه المنطقة بادية من الكرب
والمشايع آل بريك^(٣٥).

وحين تحدث بعض أهالي المنطقة مع السيد الوزير، فقالوا
إنهم حرس الصحراء وحماة الحدود بلا مرتبات، وسيقيمون
بهذه المهمة طالما كان شعورهم ما زال يمدّهم بالأمل في الحكومة،
ولهذه العبارة وأمثالها مما سمعناه من عرب الحدود معان ودلالات.
إن نائب العقود في شبوة يتلقّى معلوماته، ويتلقّى نيابته من
علماء تريم كما يقول المشايخ آل البريكي سكان شبوة، وقد
أرشدت بعضهم للاتصال بقاضي اللواء الغربي بحورة؛
ليعطي نائب العقود المعلومات اللازمة، والنيابة اللازمة.

إن أهالي هذه المنطقة يأملون في الحصول على الماء، ولا شيء
غير الماء، وبالماء تستطيع الحكومة أن تسيطر على قلوب هؤلاء
الأقوام وعقولهم، وإن كان من واجبها أن توفر لمثل هؤلاء كلما
تستطيع توفيره من ماء، وتعليم، وطب، ومحاكم محلية... إلخ.



أموال، سواءً من الحكومة القعيطية، أو من الحكومة الواحدية
فغير ممنوعين من مزاوله نشاطهم في أموالهم.

وفي معبر استمعنا إلى خطبة تردد فيها الإلحاح بتنفيذ رغباتهم
ومطالبهم، وقالوا إن مطالبهم طال عليها الأمد، وكثرت فيها
المواعيد، ولم يتحقق منها شيء، وإن مثل هذه المماطلة تستفزهم
لعمل غير مناسب، وبالتأكيد فإن معالي السيد الوزير له
تعليقه الخاص على هذه الجمل.

مولاي:

إنني بهذا أعطيكم صورة مصغرة عن أكثر ما شاهدته وسمعتُه
في هذه الرحلة التي هي أساساً رحلة السيد الوزير، ولكنني
رأيت أن من واجبي أن أقدم لكم هذه الصورة؛ حرصاً مني
على اطلاعكم على بعض المعلومات العامة.

وأحبُّ أن أضيف إلى كل ما سبق أن الأهالي بالمناطق التي زارها
السيد الوزير يعلّقون على زيارته الأمل كل الأمل، وسيسقط
في أيديهم إن لم يُحقّق لهم شيء من مطالبهم، ولذا فإن مهمة السيد
الوزير ستبدو عسيرة في المستقبل إن هو لم يُحقّق للمطالبين شيئاً
من مطالبهم، وأن على المسؤولين في الدولة أن يساعدوا السيد
الوزير في مشاريعه للجهات التي زارها، ورأى مشاكلها بعينه،
ولا سيما تلك المناطق النائية عن العمران، والتي تقع على أطراف
الصحراء وفي تخوم الحدود.

وبعد:

فلقد كان أعضاء الوفد في انسجام تام وتقاربٍ في وجهات
النظر عند مناقشة أمر من الأمور، متفاهمين متعاونين، حتى
على أداء واجباتهم الدينية، فقد كانوا طيلة أيام الرحلة يؤدّونَ
شعيرة الصلاة في جماعة في كل الفروض اليومية، وهذه النقطة
بالذات أحببتُ تسجيلها شُكراً لله، فنحن ما زلنا في خير،
والحمد لله رب العالمين.

المخلص

عبدالرحمن بن عبد الله بكير (٣٦)

الهوامش:

- (١) المجلس العالي للقضاء، ورئيسه الشيخ القاضي عبدالله بن عوض بكير رحمه الله.
- (٢) هو السيد أحمد بن محمد العطاس، من مواليد عام ١٩١٧م، تلقى دراسته
النظامية بمدرسة مكارم الأخلاق بالشحر، شغل منصب وزير الدولة القعيطية،
خليفة للوزير الأجنبي (جيهان خان)، توفي عام ٢٠٠٨م. [ترجمة منشورة على
الشبكة العنكبوتية].
- (٣) كان المرافقون للسيد الوزير في هذه الرحلة، هم: المفتش القضائي
(عبدالرحمن بكير)؛ كاتب هذه الرحلة، وناظر المعارف (السيد محمد عبدالقادر
بافقيه)، ومدير الأوقاف (عمر سعيد باغزال)، ونائب ناظر الأشغال، ورئيس
المحاسبين (الشيخ أحمد سعيد الحضرمي)، ورئيس الجمارك، ورئيس الأطباء
(الدكتور طيب شاكر)، وطبيب الأسنان، والسكرتير الحربي (اللواء صالح
يسلم بن سميدع)، والحرس، هؤلاء هم عدة المرافقين للوزير.
- (٤) لقد كانت السلطنة القعيطية مقسمة إلى مقاطعات ست، تسمى ألوية، هي:
لواء المكلا، ولواء الشحر، واللواء الغربي، ولواء دوعن، ولواء حجر، ولواء
شباب. وشبام: بكسر ففتح، مدينة مشهورة في قلب وادي حضرموت، ما بين
سيئون شرقاً والقطن غرباً، وهي في فضاء واسع مترامي الأطراف. [معجم
البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي: (١/ ٨٤٥)].
- (٥) اسم منطقتان في وادي حضرموت، أحدهما في ضواحي مدينة (تريم)
الشرقية، والثانية في السفح الشرقي لجبل (الهجرين). [المصدر السابق: (١/ ٦٢٢)].
- (٦) مدينة أسفل وادي حضرموت، تبعد عن مدينة تريم شرقاً، بمسافة ثمانية
أكيال، وموقعها عند ملتقى كل الطرق المؤدية إلى قبر النبي هود. [المصدر
السابق: (٢/ ١١٥٨)].
- (٧) بلدة في شمال مدينة تريم بوادي حضرموت، تقع بين النقرة، وقبر هود عليه
السلام، [المصدر السابق: (٢/ ١٢٧٤)].
- (٨) بضم فسكون، مركز إداري من مديرية سيئون وأعمال حضرموت، يقع في
الجانب الشرقي من وادي حضرموت. [المصدر السابق: (١/ ٨٢٩)].
- (٩) بضم فسكون ففتح، بلدة في الجانب الشرقي من وادي حضرموت، على مقربة
من السوم، تتكون من منازل وأكوخ من الطين، وهي آخر محط قبل قبر هود.
[المصدر السابق: (٢/ ١٢١٩)].
- (١٠) سنا: مدينة في منطقة السوم من مديرية سيئون وأعمال حضرموت، تقع
بجوار قبر نبي الله هود. [المصدر السابق: (١/ ٨١٤)].
- (١١) حصن بالقطن يقع تجاه قارة الدخان، وهو للبلالغيث من الحالكة. [المصدر
السابق: (١/ ٧٢٢)].
- (١٢) بفتح فسكون مدينة في قلب وادي حضرموت، تقع في ملتقى سيول الأودية
الرئيسة لوادي حضرموت، وادي العين وادي عمد وادي دوعن، وادي هينن.
[المصدر السابق: (٢/ ١٢٨٣)].



(٢٥) منطقة غربي القطن بوادي حضر موت، تبعد عن الجحي بنحو ٥١ كيلاً. [المصدر السابق: (١/ ٥٧٠)].

(٢٦) بفتح فسكون، مدينة في أعلا وادي حضر موت، غربي القطن ومن أعمالها، كانت مشهورة في السابق حيث كان يقام فيها مهرجان أدبي أشبه بسوق عكاظ، كما كانت إحدى عاصمتين كانتا لبدر أبي طويرق في مملكته، أما العاصمة الثانية فكانت سيئون. [المصدر السابق: (٢/ ١٨٤٠)، وإدام القوت: (٤٥٦) وما بعدها].

(٢٧) أوريدة الصيعر، منطقة واقعة في الشمال الغربي من حصن العبر، وهي أرض جدياء قليلة الماء والنبات. [معجم البلدان: (١/ ٩٣١)].

(٢٨) بفتحين: قرية في الموطاة من ريدة الصيعر، في شرقي حصن العبر، تقع بجوار مَنُوخ، وفيها بعض قبائل الصيعر. [المصدر السابق: (١/ ٧٤٥)].

(٢٩) بفتح فسكون، منطقة في الشمال الغربي من شبوة، على بعد نحو ٨٠ كيلاً، وهي تشكل مديرية من مديريات محافظة حضر موت، وتشمل عدداً من البلدان والحصون. [المصدر السابق: (٢/ ١٠٧ - ١٠٨)].

(٣٠) في الأصل (عساكر)، وفي معجم البلدان: (٢/ ١٠٦٦): العساكره: فخذة من آل محمد بليث إحدى قبائل الصيعر، من كندة، تسكن في المنطقة المسماة (ريدة الصيعر)، غربي وادي حضر موت.

(٣١) بلدة فيها عاصمة مديرية (عَرمَا)، الواقعة في الجهة الشمالية من محافظة شبوة. [المرجع السابق: (٢/ ١٣٩١)].

(٣٢) بلدة ومركز إداري من مديرية عرما، وأعمال شبوة. [المرجع السابق: (١/ ٩٦٠)].

(٣٣) بكسر الميم والباء بينهما عين ساكنة، قرية في منطقة الطلع من مديرية عرما، محافظة شبوة، تسكنها بعض قبائل آل بلعيد. [المصدر السابق: (٢/ ١٥٧١ - ١٥٧٢)].

(٣٤) كتب الشيخ عبدالله بن عوض بكير بهذا الخصوص رسالة موجهة للسيد الوزير؛ جاء فيها: (معالي وزير السلطنة المحترم، بعد التحية: نرفق بهذا صورة من التقرير الذي رفعه لنا المفتش القضائي عبدالرحمن عبدالله بكير، الذي صاحبكم في رحلتكم الموفقة، التي قمت بها إلى المناطق المشار إليها فيه... ولقد سررت لما جاء فيه، عما قولتم به من حفاوة من سكان تلك المناطق، وعما لاقوه منكم من تجاوب، وإصغاء، حول مطالبهم، سائلاً من الله أن يوفقكم، وأن يساعدكم على الوصول لتحقيق آمالهم، وآمال إخوانهم من جميع أبناء الشعب، والله يأخذ بأيديكم لما فيه خير البلاد. عبد الله عوض بكير، رئيس المجلس العالي). بتاريخ: ٢٦/ ٣/ ١٣٨٤ هـ، الموافق: ٤/ ٨/ ١٩٦٤ م.

(٣٥) آل بريك هو لقب لعائلة قدمت إلى الشحر من حريضة، وحكمت الشحر في القرن الثاني عشر الهجري، ويرى البعض أنهم فصيلة من يافع، هاجرت إلى حضر موت. وفي شبوة جماعة من آل بريك. [معجم البلدان: ١/ ١٦٧ - ١٦٧، بتصرف يسير].

(٣٦) بتاريخ: ٧ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ، الموافق: ١٦ يوليو ١٩٦٤ م، المكلا.

(١٣) من قرى مديرية القطن بوادي حضر موت، فيها بعض قبائل يافع الناجعة إليها، وهي من قدامى بلاد القطن. [المرجع السابق، (٢/ ١١٣٥)].

(١٤) صحيفة الطليعة مصدر سابق العدد (٢٥٧).

(١٥) هي أكبر مدينة في وادي حضر موت، تبعد شرقاً عن مدينة شبام بحوالي ١٨ كيلاً، وعن مدينة تريم غرباً بنحو ٣٤ كيلاً. [معجم البلدان: (١/ ٨٣١)].

(١٦) تولى القضاء بسيئون مع آخرين، في: ٦ صفر ١٣٤٢ هـ، إلى نهاية ١٣٤٥ هـ، ثم عاد إلى القضاء مرة أخرى، في سنة: ١٣٥٠ هـ، إلى نهاية سنة ١٣٥٨ هـ، كان شيخاً فاضلاً عالماً، تولى الإمامة والتدريس بجامع سيئون أكثر من أربعين سنة، توفي في شعبان سنة ١٣٨٤ هـ، (أي بعد خمسة أشهر من هذه الرحلة تقريباً)، ووجوده كان في سنة ١٣٠١ هـ بسيئون، ووفاته كذلك بسيئون، رحمه الله. [انظر: النبذة المختصرة فيمن تولى القضاء من المشايخ آل بارجاء البررة، ص: ٩].

(١٧) لم أجد ترجمته فيما بين يدي من مراجع.

(١٨) تولى القضاء بسيئون، في: ٦ شعبان سنة ١٣٧٢ هـ، إلى سلخ رجب سنة ١٣٨٧ هـ، أي لمدة خمسة عشر سنة تباعاً إلا أياماً، وقبلها في فاتحة ربيع الثاني سنة ١٣٦٨ هـ، عيّن كاتباً للقاضي الاستئناف الشرعي بسيئون، وفي ٧/ ٨/ ١٩٥١ م، عين مساعداً للقاضي الابتدائي بسيئون، وتحت التدريب للقضاء، إلى أن عين قاضياً بالأصالة كما بأعلاه، وكان رجلاً صالحاً متبعاً لسيرة أسلافه. [انظر: المصدر السابق، وهو من تصنيفه].

(١٩) مولده بسيئون في: ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣١٥ هـ، تفقه على والده السيد عبدالله، والفقيه عمر بن عبيد حسان، وغيرهم.

تولى القضاء بسيئون مرات، أولها عام ١٣٤٠ هـ، له مصنفات عدة مخطوطة، المطبوع منها، هو: (النص الوارد في حكم تجديد المساجد)، وقد قرظه جماعة من العلماء، منهم: جدنا العلامة عبدالرحمن بكير. توفي السيد علوي في القاهرة، مساء السبت ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ رحمه الله. [انظر: جهود فقهاء حضر موت في خدمة المذهب الشافعي: (ج ٢، ص: ١٢٩٠)، وما بعدها].

(٢٠) بفتح فسكون، قرية في جنوب بلدة هدا من أعمال وادي ميفعة في محافظة شبوة يقال لها: حوره العليا، لتمييزها عن قرية حوره السفلى، التي تطل على البحر العربي. [معجم البلدان: (١/ ٥٣١)].

(٢١) بلدة من مديرية القطن بوادي حضر موت تقع في مرتفع جبلي جنوب ((هين)). [معجم البلدان: (٢/ ١٢٨٩)].

(٢٢) بلدة عامرة في منطقة حوره من مديرية القطن بحضر موت، وهي المعروفة باسم (قارة آل ثابت) نسبة إلى سكانها آل ثابت من قبائل نهد. [المصدر السابق: (٢/ ١٢٣٤)].

(٢٣) قرية في وادي رخية من مديرية القطن بحضر موت. [المرجع السابق: (١/ ٩١٩)].

(٢٤) قرية في جنوب وادي رخية من مديرية القطن، وأعمال حضر موت، وهي أكبر قرية في وادي رخية، وسكانها آل العمودي، وآل بفلح. [المرجع السابق: ١/ ٨٢٤].

حوار مع آخر النواخيد الحضارمة

فرج بخيت سالم بن سعدون

حاوره/ خالد أحمد القحوم

مقدمة:

البحر وما أدراك ما البحر؟ البحر وآه من البحر.. هو رقعة جغرافية مائية بالطبع من كوكبنا الأرضي، وهذه الرقعة تمثل الثلاثة الأرباع من سعة هذا الكوكب.

هذا البحر كان وما يزال على مر العصور والأزمان شيئاً حيوياً مهماً لجميع الأمكنة والأيام، ولكنه لحضر موت المكان والإنسان شيء يفوق حد الأهمية لاعتبارات كثيرة، في زمن مضى كان فيه هذا البحر سبيلاً تمكّن من خلاله الإنسان الحضرمي الوصول إلى العوالم الإنسانية القابعة في أصقاع الأرض شرقاً وغرباً بهدف التمازج والتناغم مع شعوب تلكم الأصقاع، والإفادة والاستفادة من التراث الإنساني على مختلف أنواعه ثقافياً فكرياً واقتصادياً واجتماعياً.

من أجل ذلك (امتطى) الإنسان الحضرمي هذا السبيل ليحقق هذا التمازج والتناغم، مستغلاً الهبة الربانية التي قدمت لحضر موت، هدية رائعة تمثلت في وجودها على ضفاف شواطئ مفتوحة على مياه البحر العربي، ومتواصلة مع مياه المحيط الهندي؛ بصفتها أحد أشهر المحيطات، التي تشهد الحركة الملاحية البحرية الأوسع في النطاق العالمي.

وفي وقت مضى وتولى كان البحر المكان الأفضل، بل كان المكان المتاح للتنقل والسفر، وتبادل الاحتياجات الحياتية الإنسانية المعيشية، وفي الوقت ذاته كانت السفينة الوسيلة المهمة لتحقيق هذا الهدف الحياتي.

حضر موت الثقافية



ونتيجة طبيعية لهذا الأمر وهو الوجود الحضرمي المكاني الاستراتيجي البحري في قلب العالم امتد الساحل الحضرمي طويلاً، على اختلاف الامتداد وفقاً للتقسيمات الجغرافية والتاريخية السياسية لمختلف التكوينات السياسية، التي حكمت وسادت على تلكم السواحل، أدى الإنسان الحضرمي دوراً إنسانياً حيوياً مهماً، وهو يمتزج عباب هذا العالم الجغرافي البحري، عبر الوسيلة المعروفة (السفينة).. فكانت هناك الكثير والكثير من الحكايات التي تستحق أن تروى، وتستحق أن توثق للإسهام في مواصلة إبراز الصور المختلفة لتلكم الأدوار التي أداها (رجال البحار) نعم.. فهم رجال بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.



الأستاذ خالد القحوم في أثناء حوار مع النوخدة فرج بخيت سالم بن سعدون

له من الأهوال والمخاطر الأشياء الكثيرة لا يمكن أن يتصدى لها إلا الرجال.

قال الشاعر الكبير / حسين أبو بكر المحضار في هذا المنحني:

للبحر أهوال قد نحنه عارفينه

كم فيه ندخل ونخرج من حيث جينه

طال السفر طولت وامتدت سنينه

كلما استمر الزيب جاء عاكر وطوفان

ولكن حضر موت برجالها البحارين الملاحين العظام كانت فخورة بهذا التعامل مع البحر وأهواله، من خلال السيرة العطرة والرائعة للكثير من الملاحين (النوخذة) في المقام الأول، ثم الملاحين الآخرين العاملين على ظهور السفن، كل السفن التي صالت وجالت في بحار العالم ومحيطاته، وكل أولئك أبلوا بلاءاً حسناً، وقدموا للعالم نماذج عملية مهنية ناجحة في فنون هذه المهنة، تفوق العشرات من ربابنة المدن التي تاخت البحر، وهي بروم، والحامي، والديس الشرقية، والشحر، والمكلا، وغيرها.

من أولئك نقدم لكم الربان النوخدة المكلاوي / **فرج بخيت سالم بن سعدون**، الذي اشتغل بهذه المهنة، بل تدرج على سلم أعمالها المختلفة، من أولها (صغير درك) وهو في سن الثامنة، إلى أن وصل إلى الصرنج وهو مساعد النوخدة وتوجهها بأن يصبح نوخذة، وقد عمل في هذه المهنة أكثر من ثلاثين عاماً من عمر الزمن كان خلالها رجلاً بحرياً خالصاً.

والعلم / فرج بخيت سالم بن سعدون هو آخر النواخذ الحضارمة، الذين خاضوا غمار البحار على السفن، التي كان لها الصيت الأكبر في هذا المجال الحياتي المهني. ولأنه آخر النواخذ أصبح من الواجب علينا أن نقدمه عبر هذا الحوار المستفيض الطويل الذي تحدث فيه عن الكثير من صال وجال تلك البحار، وما يتعلق بالأسفار وكل ما يجري في تلكم الأسفار.. وكان دليلنا إلى هذا السفر الإعلامي التبليغي الرجل المكلاوي الأصيل، المهتم بالشأن الحضرمي عامة والشأن المكلاوي خاصة / بهاء الدين عبدالرحمن بكير، الذي سعى جاهداً ومخلصاً في التهيئة والترتيب لهذا الحوار، وأن سعيه سوف يرينا أشياء من التاريخ الحضرمي الأسفاري البحري.

• سألنا النعم النوخدة (فرج) انطلاقة الرحلة البحرية كيف تكون؟

- تبدأ تبشير العمل للسفر البحري بأن يقوم النوخدة باختيار

الطاقم العامل معه، وهم يكونون في كثير من الأحيان معروفين لديه.

وبالطبع فإن النوخدة يختار بعناية فائقة هذا الطاقم الذي سيعمل معه، ويجب أن يكون هذا الطاقم متجانساً ومتفاهماً، تسود بين الجميع روح الأخوة والمحبة، فالعمل شاق، والرحيل البحري يتطلب القوة والصبر.



في أثناء الحوار.. برفقة الزميل بهاء الدين عبدالرحمن بكير، الذي سعى جاهداً ومخلصاً في التهيئة والترتيب لهذا الحوار



يجب اختيار طاقم السفينة بعناية فالرحيل البحري يتطلب القوة والصبر

• متى يتكون الطاقم البحري العامل في السفن بشكل عام؟

- بشكل عام وكما هو متعارف يتكون الطاقم من النوخة وهو الربان القائد، والصرنج مساعد النوخة، والسكونية الأربعة، ووكيل وظيفته إخراج المصروف والمساعدة، والكاتب (الكراني) ومهمته تسجيل أموال الناس وكتابتها في السفينة، وصاحب الدقل، وغواص مهمته تفتاقد السفينة وحبالها في البحر، والفنان الذي يتولى شل الأصوات من أجل الترفيه للبحارة والمسافرين وشد أزركم في سفرهم الطويل، ولا ننسى الطباخ الذي يقوم بطباخة الوجبات الثلاث: الفطور، والغداء، والعشاء، لجميع من تحملهم السفينة.

• على ذكر الطباخ.. ماهي أوقات تناول الغداء في السفينة

في أثناء السفر؟

- الفطور صباحاً السادسة تقريباً، والغداء ظهراً الواحدة، والعشاء الخامسة قبل المغرب.

• ولكن الفترة الليلية ستكون طويلة، وبالتأكيد سيجوع

بعض أهل السفينة؟

(ابتسم ثم أجاب: عليهم بما لديهم مما يحتفظون به من مؤن وأكل شخصي والانتظار إلى الصباح لليوم التالي).

• طيب.. وبعد اختيار الطاقم العامل في السفينة خلال

الرحلة البحرية؟

- بعد ذلك يقوم النوخة بأخذ مبالغ مالية من مالك السفينة، ويقوم بإعطاء هذه المبالغ لأفراد الطاقم، الذي سيعمل خلال الرحلة البحرية، وهذه المبالغ عبارة عن (تقاديم)، ويتم هذا الأمر بالطبع قبل شهر من الانطلاق، وهو كما هو معلوم شهر سبتمبر باعتبار أن أشهر الخريف التي قبل سبتمبر هي أشهر موج، وشهر سبتمبر يسمى بداية (فتوح البحر) وتبدأ الرحلة تقريباً في منتصف شهر سبتمبر. ونقدم وصفاً للرحلة المتجهة إلى الشرق من المكلا إلى البصرة.





ثم ستحدث ونقدم وصفاً لرحلة أخرى متجهة إلى الغرب من المكلا إلى الرويس في شمال السعودية، مروراً بعدن والموانئ اليمنية.

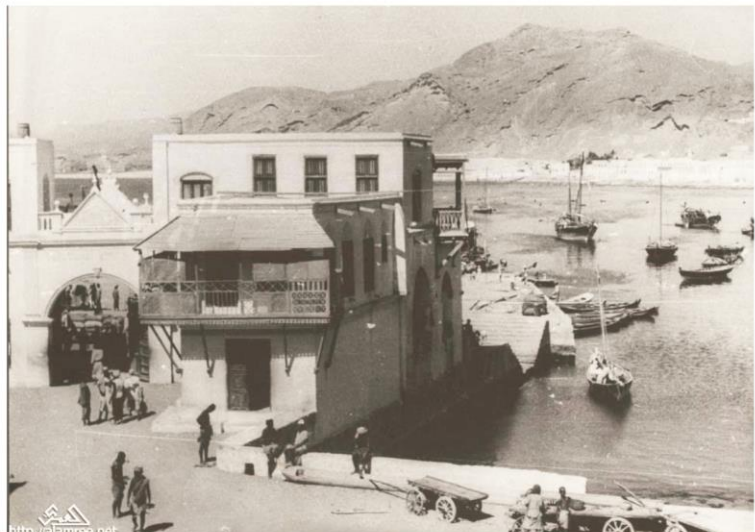
- نذهب من المكلا إلى فوه، ثم بعد الوصول نقوم بتهيئة المؤنة والأغراض (السيان)، الذي سنحتاجه خلال الرحلة، ونجتمع نحن مع بعض ربابنة السفن ونواخذتها الآخرين من بعض المناطق الأخرى إذا ما أردنا أن نذهب في رحلة (سنيار)،

أي رفقة كما يقال، ونجتمع في بروم، وهناك في بروم مكان معروف لدينا نقوم فيه بالتهيئة الخاصة لأمرنا البحرية، وتكون جميع السفن والسواحي واقفة في مكان (الدحس) في بروم، ثم نقوم بنقل كل (السيان) وما نحتاجه في الرحلة إلى السفينة عبر القوارب الصغيرة، ونقوم بترتيب ذلك، ثم يكون المبيت في السفينة، وفي الصباح نقوم ونعمل تركية للصنبوق، ونأتي بالغرمان مع الدقل، ونقلب الصنبوق، ثم نقوم بالتقشير، أي إخراج الشوائب والأوساخ العالقة به خلال الثلاثة أشهر التي كان خلالها ذلك الصنبوق واقفاً في البحر.

كما قلت في اليوم الأول (نقشر) الصنبوق، وفي اليوم الثاني (ندعكه)، أي نقوم بإخراج الأوساخ منه، ثم نقوم بتجليس الصنبوق، ثم نأتي بالدقل ونقوم برفعه ونحن نستمع ونستمع ببعض الأصوات الغنائية التراثية، ثم نهى الطرح، وهو ما يسمى

(البرونصي) من الجانبين، أحدهما للشمال والآخر للزيب، وهما نوعان من أنواع الرياح البحرية، ثم يعلن النوخة السفر، ويعلم الطاقم العامل معه بالانطلاق من بروم إلى المكلا؛ بالطبع لأن الانطلاق الفعلي سيكون من المكلا من مينائها، وفي المكلا نقوم بجمع كميات من الأحجار (وباد) للساعية، أي ترزينها به؛ للمحافظة على ثباتها، ثم نقوم بتعبئة الماء في التوانك من الصنبور الخاص بالصنابيق، وهو موجود في الميناء، ويستخدم هذا الماء للشرب، ويؤكد النوخة المسير والانطلاق من المكلا، ويعلم طاقم السفينة بهذا الأمر؛ ليكونوا على الاستعداد للسفر، وأن يكونوا موجودين في الصنبوق من بعد المغرب، وتنطلق من ميناء المكلا قبل الفجر، أي مع حدود الساعة الرابعة صباحاً مع الريح البري إلى ميناء القرن في الديس الشرقية، ويتوقع وصولنا هناك في مغرب ذلك اليوم، ونواصل جمع الأحجار، ووضعها في الصنبوق؛

ليزداد رسوخاً وثباتاً، وإذا وجدنا هناك صنبوقاً آخر يود السفر أخذناه معنا (سنيار)، ثم نمضي إلى منطقة (يخوت) في المهرة، وهناك نتزود بالماء أيضاً، ونتواصل مع بعضنا، ونتأكد من استكمالنا لعملية التزود بالماء من جميع صنابيق وسفن (السنيار)، وننطلق مع الريح البحري الساعة الثانية عشرة صباحاً، ونمر على مناطق العقاب وشرولين فوق قشن، وإذا أردنا شيئاً من قشن



ونواصل إلى خور (فكان)، وتتم أيضاً عمليات صيانة وتصفية السواعي إن أراد النوخذة ذلك وإلا فيواصل الإبحار وفي خور (فكان) نجلس هناك للاستراحة، ثم المرور على رأس الخيمة، ثم الشارقة، ثم أم القوين، ونمر على بعض الجزر الموجودة في الخليج العربي، ومنها أم النمل، وطنب الكبرى، وطنب الصغرى، وهناك أيضاً ميناء دبي، ونمر على قطر، والبحرين، ثم الكويت مروراً بجزر فيلكا، وبوبيان، وأوها، ثم خور الزبور، ثم أم قصر في العراق، وجبل أبو الرجال، وجزيرتي خارج وقيس، ثم ندخل إلى العشار، ويأخذك (التك) إلى هذا الميناء وهو البصرة، وعند الوصول يتم ربط الصنوق وتثيبته وأنت موجود داخل الحور الكبير الخاص بالميناء، في البصرة تتجمع كل الصنابيق التي تريد تحميل التمر من العراق إلى وجهاتها المختلفة في كل البلدان: اليمن، وعمان، والإمارات، وقطر، والبحرين، وفي هذه الأثناء تتم عملية الاقتراع على أخذ النصيب المطلوب من التمور من خلال الوكلاء التجاريين الموجودين هناك، الذين يمثلون التجار في كل تلك البلدان المذكورة؛ وذلك للاستباق للتحميل، ويتم نقل التمور إلى اليمن: وهي موانئ المكلا، وعدن، والحديدة، وكذلك إلى أفريقيا، ومن التجار المكلاوين لبضاعة التمور هنا في المكلا آل باعوم وآل باغويطة.

دخلنا إليها وإلا واصلنا المسير إلى جزيرة (درية)، ثم نمضي إلى منطقة (صقر)، ومنها إلى حصوين، ثم إلى خيصيت، ثم إلى (رأس فرتك) وهناك (نجوش) إلى (غبة قمر)، وهي غبة غليظة الريح متواصل منها، وأواجهها عاتية، وهي مكان مهم، وفي هذه الغبة تغوص السواعي وهي خارجة من كور حمار إلى رأس فرتك، وتمتد هذه الريح إلى شروين، ثم إلى نشطون، وبعدها / قفران / ثم ضبوت / وهناك نخرج إلى المنطقة للراحة والتأكد من أمور الصنبوق، ثم إلى خبور، وبعدها / محافيف / وهناك يخرج بعض الركاب لعمل بعض الإجراءات الخاصة بالسفر، كاستخراج الجوازات الخاصة بالسلطنة المهرية والأوراق المعتمدة للسفر والدخول إلى دولة الكويت.

ثم نذهب إلى (الفيدمة) و(الفتك)، وبعدها منطقة (جاذب)، وفي جاذب نستريح وهناك يستقبلنا آل بازنبور، وننطلق من جاذب إلى حوف، ثم ضربة علي، وبلكوت، وكور حمار وفيها الغطافة مكانية باتجاه عمان، وفيها (تجوش) إلى رخيوت، ثم ريسوت، ثم إلى ظفار، وهناك مروراً بمناطق طاقة، وسدح، والحافة، ثم صور، ومسقط العاصمة العمانية، ثم ينس الباطنة، ثم مطرح وهي مكان آمن للسواعي والصنابيق، ثم ميناء كلباء،





- هناك في البصرة أو في أي ميناء نحمل منه يقوم وكيل التاجر بإعطائنا نصف قيمة الأجرة، وعندما يصل إلى المكلا يتم إعطاؤنا وتسليمنا النصف الآخر من قيمة أجرة نقل البضاعة.

• ما هي المأكولات التي يتم تقديمها للبحارة والمسافرين في أثناء الرحلات؟

- أنواع الحبوب المختلفة، الذرة، والمسيبلي، والقمح المصنوعة المطبوخة بالتناير خبزاً، مع التمر، والسّمك الذي يتم اصطياده من البحر، وكذا الأرز مع السمك، ويتولى وكيل السفينة تزويد الطباخين بالمقادير المختلفة من المؤن الغذائية بحسب حجم الموجودين والمسافرين على ظهر الصنبوق.

• ما هي البضائع والحاجات التي يتم أخذها معكم في الصنابيق من المكلا وحضرموت إلى موانئ المدن التي تسافرون إليها؟

- من حضرموت نحمل معنا الليمون الجاف، والتنباك، والنورة، والأحجار التي نستخدمها في تثبيت الصنابيق والسواعي وتزيينها.

• وماذا تحملون من موانئ المدن الأخرى شرقاً وغرباً وتأتون بها إلى حضرموت؟

- طبعاً أهم بضاعة وأبرزها كانت التمر من مدينة البصرة، وفي إحدى رحلاتنا أخذنا حمولة جلود من جدة في السعودية

• ما هي المدة التي تمكثونها في البصرة؟

- من ثلاثة أيام إلى أسبوع؛ حتى نتمكن من تحميل البضاعة، وتصفية الحسابات، والأمور المالية، ويتولى الوكيل المعتمد للتاجر هذه الأمور المالية المتعلقة بالبضاعة المشتراة.

• طيب.. والأحجار التي أخذتموها معكم من المكلا أو من المدن أو الموانئ الأخرى، ماذا تفعلون بها؟

- نقوم بنقلها إلى الميناء، ونقوم ببيعها من خلال وكلاء التجار الموجودين في البصرة، أو في المدن التي نذهب إليها، وقيمة هذه الأحجار تكون ملكاً لنا نحن طاقم الساعية.

• وبعد ذلك؟

- بعد ذلك نعود أدر اجنا ونبحر من البصرة عائدين إلى المكلا. وفي بعض الأحيان إذا ما تطلب الأمر عمل صيانة للصنبوق والساعية فإننا نذهب إلى خور بوشهر في إيران، وهناك توجد ورشة كبيرة للصيانة يحتضنها خور كبير وواسع ترى فيه البواخر والصنابيق والسواعي واقفة على جوانبه، فإذا أردنا الصيانة فإننا نمكث هناك حوالي ٢٥ يوماً.

• كيف تتم عملية محاسبتكم ودفع أجرتكم مقابل نقلكم للبضاعة؟





"نأخذ من حضرموت الليمون الجاف والتبغ والنورة (الجير)"

- هذا سؤال مهم يا خالد، نعم هناك محكمة تنعقد جلساتها إذا وجد هناك خلاف، أو حدث يستحق الحكم فيه مثلما قلت، وأعضاء المحكمة تتكون من:

النوخذة، ومساعد الصرنج، وكاتب السفينة، هؤلاء ينظرون في القضية المطروحة أمامهم، فيصدرون أحكامهم؛ بهدف إحقاق الحق، ومعاقبة الشخص المعتدي، ويتم تنفيذ هذا الحكم دون استئناف أو مراجعة، ويكون الحكم بربط المعتدي في الدقل لمدة معينة، وبالطبع يتم تنفيذ الحكم، وفي كثير من الحالات يتم التصالح والتصافي بعد ذلك بين المتخاصمين.

• ما هي الأهازيج التي كنتم ترددونها خلال رحلاتكم البحرية؟

- مثلما قلت لكم إن هناك فناً أو منشداً؛ ليتم اعتماده ضمن الطاقم العامل في السفينة، ومن أبرز الفنانين الذين أخذناهم معنا في هذه المهمة، وما زلت أتذكرهم الفنان الكبير / سعيد عبدالمعين/ من الشحر، والفنان/ مفتاح راشد/، ويكون هذا الفن خلال أوقات التسلية والترفيه، هذا الأمر مهم عندما تأتي بعض المناسبات، بالذات العيد السعيد، ونحن في موانئ تلك المدن؛ فإننا نقوم بمشاركة أهالي هذه المدن أفراحهم بالمناسبات العيادية، وكان الأهالي يتجاوبون ويفرحون معنا وبنا.. وأتذكر

إلى ميدي في اليمن؛ لاستخدامها في صناعة الأحزمة المختلفة، ومن ميدي حملنا حبوب الذرة والمسيبي والدجر إلى مدينة عدن، وهذا على سبيل المثال؛ لأن هناك بضائع مختلفة ومتنوعة كنا نحملها على الصنابيق والسواعي من وإلى موانئ المدن كافة، التي نمر عليها خلال رحلاتنا المتواصلة.

• ما هي أطول رحلة قطعتموها بحراً وماهي مدتها؟

- طبعاً أطول الرحلات البحرية كما هو معروف هي الرحلات المتجهة إلى الهند، وقد مكثنا خلال إحدى الرحلات إلى هناك أكثر من شهرين، ونحن نصارع الأمواج.

• عندما يموت شخص من المسافرين على الصنابيق والسفن كيف تتعاملون مع هذا الأمر؟

- نقوم بتغسيله وتكفينه، ثم نصلي عليه صلاة الجنازة المعروفة في الشرع، ونأتي بمجموعة من المسامير نضعها على رجليه اليمنى واليسرى وهذه المسامير مهمتها أن تغوص به في البحر، ونقوم بقبزه في البحر من خلال إخراجها على رجليه وهذا عرف للذي يموت في البحر؛ فإنه يدفن بالبحر؛ لأن في كثير من الأحيان تكون هناك مسافات بعيدة إلى البحر.

• هل يوجد في الصنابيق والسفن أطباء أو صيادلة ضمن الطاقم؟

- لا.. لا يوجد أطباء أو صيادلة، ولكن يوجد كبت صغير، فيه بعض الأدوية الخفيفة، كأدوية المغص، أو الآيدين لعلاج الجروح، وأحياناً نستخدم الحلوى الحضرية، ونقوم بحراراتها ثم يأكلها المريض، وهذه تساعد على فك الألم الموجود لديه، والشافى الله.

• القضاء في السواعي والسفن في أثناء الرحلات كيف يكون إذا ما كان هناك خلاف أو حدث يستحق الحكم فيه؟



في طريقنا إلى ظفار، وفي ظفار من الضرورة العبور بين الفحل ومصيره، وهناك واجهتنا ضربة أخرى أدت إلى تكسير ساعيتنا، ففي المساء صحينا على تنبيهات والدي النوخة بالقيام من النوم، وهو يقول لنا: اصحوا.. اصحوا، الصنبوق سوف يتكسر نتيجة الريح الشديدة، فصحونا من النوم، ولم نستطع فعل أي شيء، فجاءت موجة عاتية أخذت الصنبوق، ورمته به إلى القشار، وكنا نود الذهاب إلى ظفار لإفراغ النصف المتبقي من حمولة الصنبوق، على أساس أننا سوف نواصل مسيرنا وإبحارنا إلى الهند، والحمد لله نجونا بأنفسنا ولكن تعذر علينا الذهاب إلى الهند.

• خلال عملكم في البحر زرتكم العديد

من المدن على ضفاف الموانئ التي زرتموها

ماهي تلك الموانئ وماهي المدينة التي أعجبتكم؟

– لقد زرت عدداً من مدن الموانئ التي أبحرنا إليها شرقاً وغرباً في عمان والإمارات والبحرين وقطر والعراق والسودان والكويت وإيران والهند شرقاً وكذا عدن والسعودية وأرتيريا وجيبوتي والصومال والموانئ اليمنية المعروفة، ولكنني أعجبت كثيراً ولفت انتباهي مدينة / بومباي / الهندية؛ فكل شيء فيها جميل ومؤثر ورائع، وبومباي تعد مدرسة رائعة للنواخذ من وجهة نظري.

هذا التناغم معنا، وكان عند وصولنا إلى ميناء مدينة صور في عمان والمعاملة بالمثل، فالسفن والسواحي التي تصل إلينا هنا في المكلا من البلدان المختلفة؛ فإنهم يؤدون هذا العمل الفني الغنائي، ويتشاركون مع الأهالي في المكلا من خلال تقديم فنون بلدانهم، وهذا الأمر كما هو معلوم خلق تزاوجاً فنياً وغنائياً بيننا وبينهم.

• يا عم / فرج.. من غير شك تعرضتم لأهوال

ومشاق خلال عملكم في البحر؟

– أوه.. أوه.. أوه.. طبعاً من غير شك تعرضنا لأهوال.. وكل الذين عملوا في هذا المجال المهني، كان لهم نصيب من تلك الأهوال، وهذا بحر.. والبحر معروف بالأهوال.

• طيب.. ماهي أبرز الأهوال التي

تعرضتم لها؟

– ما زلت أتذكر.. ولن أنسى تلك الحادثة التي تعرضنا لها، وفيها شفتنا الموت كما يقال، ومن أبرزها الأهوال التي تعرضنا لها فوق مكان / بارتيل / من مرباط إلى صور في عمان، عندما واجهنا ضربة بحرية قوية نتيجة لإعصار، والحمد لله كانت النجاة حليفنا، ثم تعرضنا أيضاً في رحلة بحرية أخرى، وبعد أن أنزلنا نصف حمولة سفيتتنا في مسقط بعد عودتنا من البحرين



ميناء الكويت

• على ذكر هذه الحادثة علمنا أن والدكم/ بخيت سالم بن سعدون/ كان أيضًا من النواخذة المعروفين في المكلا وقد أدوى أدواراً مهمة في هذا المجال البحري؟

- نعم.. وقد تعلمت في مدرسته فنون هذه المهنة وأصولها، وتدرجت من أول مهمة بحرية وهي صغير درك.. حتى أصبحت نوخذة مثله.

• إذن أنت نوخذة ابن نوخذة كما يُقال ابنًا عن أب؟

- نعم.. والحمد لله.. وكما قلت لكم لقد كان والدي بخيت بن سعدون رجلاً من رجالات البحر في حضرموت، وهم كثر، وتشهد لهم البحار التي خاضوا غمارها بالكثير من الأعمال الرائدة، وكانوا أبناء بحر كما يُقال، من كل المدن التي تلتحف الشواطئ: المكلا، وبروم، والشحر، والحامي، والديس الشرقية، وقصيعر، وغيرها.

• طيب.. حدثنا أيضًا عن والدكم النواخذة/ بخيت بن سعدون وعن شيء من قدراته ومهاراته؟

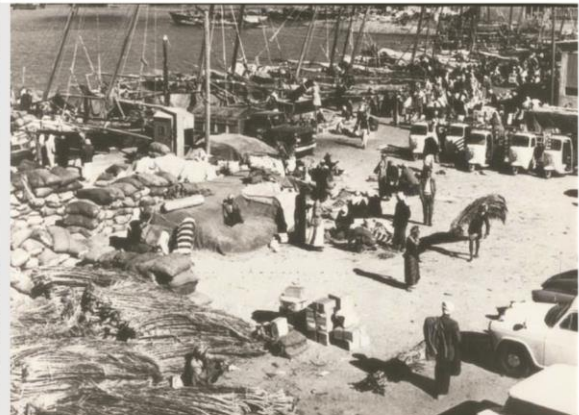
- أذكر تلکم الحادثة التي من نتائجها تمت عملية الاستعانة بوالدي، فقد كانت هناك سفينة الميمون، التابعة لرجل الأعمال التاجر عمر باسويد، وكانت راسية في ميناء عدن، وهي تقوم بتحميل البضائع المختلفة؛ بهدف نقلها إلى المكلا، ومن ضمن هذه البضائع خمس سيارات، وكانت الساعة على الرصيف، ولم ينبه بحارتها ونوخذتها لها عند (فكوك) البحر، فما كان من

البحارة إلا أن قاموا بتدكية السفينة بجدار رصيف الميناء، من جانب والجانب الآخر كانت الفساسي وهي الأعواد التي يتم بها ترفيد السفينة أيضاً؛ لأنه عندما فك البحر لحق (هيراب) الساعية في قاع البحر، وعندما انتهت حالة الفك البحري، وطلع الماء اعتدلت الساعية، وعندما عاد نوخذة الساعية في هذه الرحلة من مكتبي الجوازات والجهازي ووجد الساعية ملتصقة بجدار الرصيف، لم يتحمل وأصيب بحالة نفسية وصرخ (مال الناس مال الناس - مال الناس).

وبهدف الإنقاذ وإرجاع الساعية إلى المكلا تم الاستعانة بوالدي / بخيت بن سعدون/ للقيام بهذه المهمة.. وقد أخذني والدي معه في هذه الرحلة؛ إذ سافرنا بالطائرة من مطار الريان إلى مطار عدن، ثم توجهنا إلى ميناء عدن، وتفقد الوالد حالة الساعية وأبحرنا بها عائدين من عدن إلى المكلا بعد أن استوفينا كافة الإجراءات؛ بهدف العودة إلى ميناء المكلا، وقد تسلم والدي هذه الساعية مؤقتاً حتى اعتمدوا لها نوخذة جديداً آخر، وهو / أحمد باهيال/ فقمنا بتسليمه الساعية رسمياً.

• ولماذا لم يواصل والدكم النواخذة العمل في قيادة الساعية / الميمون/ بعد أن أحضرها من عدن؟

- لقد كان التاجر عمر باسويد يريد تسليم والدي / بخيت بن سعدون / الصنبوق الآخر، الذي كان قيد الإنشاء من آل بن ربيد؛ بهدف قيادته والعمل عليه، وهو الصنبوق الذي أطلقوا



ميناء الكويت



إلى أبو الرجال مسافة ثلاثة أيام قطعناها في ساعتين، وأبو الرجال هذا جبل كبير تتساقط منه الثعابين من الجبل إلى الساعة مباشرة؛ لأننا ملتصقين بالجبل، وظللنا طوال الليل نبعد الثعابين عن الساعة بالمجاديف، وفي الصباح جاء للإنقاذ وأخذنا، وهناك عملنا إجراء اتنا المعتادة في صيانة الساعة.

عليه اسم (جهد الكريم)، وقد عملنا في هذا الصنبوق أنا والدي فترة من الزمن، وخضنا به بحاراً مختلفة شرقاً وغرباً، وهو أي صنبوق المسمى بـ (جهد الكريم) يعد من الصنابيق الصغيرة.

• **يا عم / فرج / إذن نسألكم ما هي الصنابيق التي اشتغلتم على ظهرها وتوليتم قيادتها؟**

- اشتغلنا على الكثير من الصنابيق وتوليت قيادتها، ولكن أهمها بالطبع صنابيق الميمون، وخميان، وجهد الكريم، وهي الصنابيق التي يملكها رجل الأعمال والتاجر المكلوي / عمر باسويد، ولعل صنبوق خميان وهو من الصنابيق الكبيرة يتميز بالسرعة، كما عملنا أيضاً على

ظهر الصنبوق الشهير الذي يملكه رجل الأعمال والتاجر المعروف أيضاً باشنفر واسمه / سهالة الباري، وكان هذا الصنبوق يتميز بالشكل الرائع والجميل.

• **إذن للريح أهمية قصوى في الدفع بمسير السواعي في المجاري البحرية؟**

- نعم.. نعم.. ومن غير شك، فهناك الكثير من الصنابيق والسواعي تكسرت بعد اصطدامها بالتواءات البحرية والجزر. عندما يشتد الريح الواصل من البر فيدفع بالسواعي بصورة لا تتصورها. فهل تصدق؟! لقد دفع بنا الريح في مضيق هرمرز

• **كيف تعرفون أنكم على مقربة من البر.**

• **وأنتم تمضون في مسيركم البحري؟**

- هناك أمارات متعددة نستطيع من خلالها معرفة اقترابنا من البر، ومنها وجود أنواع معينة من الطيور، وكذلك وجود بعض النباتات البحرية، وأيضاً وجود بعض الأنواع من الأسماك والحيتان.

• **وفي الصنابيق والسواعي، كيف تتقنون**

أنفسكم في حالة هطول الأمطار وأنتم موجودون على ظهور تلكم الصنابيق والسواعي؟

- نتقي بأنفسنا في حالة هطول الأمطار بالطرابيل الموجودة لدينا، ونقوم بنصب هذه الطرابيل على جانبي الساعة، وبالتالي تتم عملية تغطية هذه الساعة على شكل منحنيين من خلال التغطية الكاملة من الفتحة الإمامية حتى الشتر في خلف الساعة، وفي هذه الحالة تكون الساعة مصانة بالكامل، ويهطل المطر وأنت في مأمن منه، وبعد انتهاء المطر نقوم برفع الطرابيل بعد أن تجف.

الرياح سلاح ذو حدين وهناك علامات تشعرنا بالاقتراب من البر



• لقد عشت حياة صعبة في البحر.. يا عم / فرج؟

- نعم.. يا ابني.. ولكنها ممتعة وجميلة بأحداثها وبكل ما فيها من صعوبة، وبعد ذلك تأتي مسألة التعود على هذه الحياة الصعبة، التي تؤكد لك طبيعة الحياة بشكل عام، وربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ((لقد خلقنا الإنسان في كبدٍ))، ولقد عشت أكثر من نصف عمري لا، بل عشت أكثر من ذلك في البحر في الصنابيق والسواعي، التحفنا السماء غطاءً، وظهور تلکم السواعي فرشاً، والحمد لله رب العالمين.

• كيف يكون خط الرحلة البحرية من المكلا إلى الموانئ الغربية المختلفة؟

- بالطبع ننطلق من المكلا إلى بروم، ثم إلى بير علي وبلحاف وخورة، وهناك جزيرة اسمها البيضاء حصن بلعيد وعركة، ثم إلى أحور والوادي ومقاطين، وهذه الأماكن البحرية نمر عليها ونحن نرى البحر أمامنا، ثم إلى مساجلة وحصن بن رشيدة وسيلان وشقرة، ثم نصل إلى عدن، وهناك تتم عمليات الصيانة الدورية ونضع الأحمال التي معنا ونأخذ الأحمال التي يتم الترتيب لأخذها من عدن، وهي في مجملها بضائع غذائية مختلفة، ننقلها إلى المخا، ثم ننطلق من التواهي إلى البريقة والغدير، ونمر على عمران وفقم ومنطقة خرز، ثم إلى رأس العارة، فننطلق من هناك إلى باب المندب، وهناك اتجاهات: أحدها إلى جيوتي، وآخر إلى البحر الأحمر، وموانئ ارتيريا، والموانئ اليمنية المختلفة، والموانئ السعودية.

وفي باب المندب هناك الجزيرة المعروفة والشهيرة وهي جزيرة ميون على طريق الشيخ سعيد؛ بهدف الولوج إلى البحر الأحمر، وهناك يوجد فنار لإرشاد السواحي والسفن في المساء، ونتجه صوب ميناء المخا، وهناك اتجاه آخر للإبحار إلى عصب الميناء الأول في ارتيريا، وهناك جزيرة أعلى عصب اسمها جزيرة فاطمة.. وكما قلت تخرج من باب المندب إلى المخا ثم ذباب، ويوجد بها ثلاثة موانئ: نخل العبيد، وخور الصومالي، ورأس الزيادة، ومجرى هذا الإبحار تسمى / نعش ناقه / وإذا أردنا إنزال حمولة البضائع ندخل إلى المخا، ثم نواصل إبحارنا باتجاه الموانئ اليمنية الأخرى صعوداً إلى الموانئ السعودية شمالاً، فنمر على مكان يسمى / يختل / ونلاقي جزيرة أبوزهر، ثم الخوخة، ونواصل المسير إلى المتجاملة، وتوجد بها ثلاث جزر، هي: حلب، وحنيش، وزقر، وهن بين الضفتين اليمنية والأريتيرية، وفي زقر يوجد فنار بحري إرشادي أيضاً، ثم نتجه إلى الحديدة ومجراها من زقر إلى البوبية، ثم إلى الغاطس ليأخذك المرشد أو أمير البحر إلى الميناء؛ لتأخذ مكانك بين السفن والسواعي التي تريد الرسو على الميناء، ثم نذهب إلى ميناء رأس عيسى في طريقنا وإبحارنا إلى ميناء جدة فنمر بمكان يسمى الخضر، وهناك جزيرة فوق رأس عيسى تسمى رشة، ثم (نجوش) لنأتي على بلاد اسمها القرية، ثم نمضي إلى ميناء الصليف، ثم إلى الخوبة، ثم اللحية وجزيرة جبل الطير



ميناء المخا



55

العدد (29)
يوليو
سبتمبر
2023م

هذا الميناء المهم، وقد أسهمت الإجراءات التجارية المبسطة والقليلة الثمن والأجرة في اجتذاب حركة النقل التجاري البحري في هذا الموقع العالمي المهم، فكان هناك تنافس كبير بين ميناء جيبوتي وميناء عدن في تلك الفترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. في باب المندب يتطلب عناية خاصة من السكوني والصرنج في قيادة دفة الصنبوق والساعية؛ لأن الرياح خطيرة، وإذا غفل السكوني فإن الصنبوق أو الساعية سيكون مصيره الاصطدام.

• ما هي وسائل الإضاءة التي كنتم تستخدمونها في

الصنابيق والسواقي؟

- كنا نستخدم الفوانيس اليدوية الاعتيادية والمعروفة في ذلك الزمن، وهذه الفوانيس تُشعل بواسطة وقود القاز (الكير وسين).

• طيب وفي الصنابيق أين تنامون، أي هل هناك أماكن

مخصصة لذلك؟

- لا.. لا.. ليس هناك أماكن مخصصة للأفراد، فكلنا موجودون على ظهر الصنبوق أو الساعية (وحيث ما تحي طرح فراشك ونم). ألم أقل لك إن الحياة كانت صعبة جداً خلال الترحال عبر البحر آنذاك.

ولكن عندما تكون الشمس قوية فإننا نحتمي منها بالطرايل.

• طيب.. يا عم /فرج/ وخلال أيام شهر رمضان كيف هي

حياتكم على ظهر السواقي؟

والصواقي وجزيرة الزبير وجزر العولتين وغراب والعواشق والأطباق وفرسان، وهي جزر غير مأهولة بالسكان، ولكنها عبارة عن تجمعات للصيادين، ثم نمر بالعمم والعزم وحررض وصبيه وبوعريش، ثم خيزان والبركة والقحمة والتنفة، ثم الميناء الأشهر جدة إلى ينبع، ثم إلى الميناء الأخير في السعودية وهو ميناء الرويس... ثم نعود بالإبحار عبر الطريق ذاته، وكنا نتواصل خلال إبحارنا مع وكلاء التجار المعروفين نشعرهم بأننا جاهزون لنقل بضائعهم إلى مختلف موانئ المدن التي سنمر عليها في حال ذهابنا أو إيابنا من وإلى تلك الموانئ المختلفة.

• والآن نريد منكم أيضاً الرحلة البحرية من عدن إلى جيبوتي؟

- هو خط واحد أو مجرى واحد، ثم يختلف المجرى فوق جزيرة ميون أو ما يسمى بالسواقي ونجومها ما بين (الجوزاء والته)، وتلك الجزر هي سبع جزر، ثم ندخل إلى رأس جاف، ثم إلى رأس بير، وهناك منارة إرشادية تعطيك إشارة للطريق إلى هناك مروراً بجزيرة رأس السكوتي، وهي جزيرة مرجانية قريبة من ميناء جيبوتي.

هناك في ميناء جيبوتي نجد الشخصية المعروفة (عيشيت)، وهو الوكيل الرسمي المعتمد آنذاك للتجار ورجال الأعمال الحضارم؛ بهدف قضاء الأعمال التجارية لهم، وميناء جيبوتي يعد استراتيجياً ومهماً، لذلك فحركة البضائع المختلفة من وإلى هذا الميناء كبيرة وواسعة ومتواصلة، تصور أن هذا الميناء يستقبل في بعض الأوقات حوالي مائة ساعية، تكتض بها مياه



ميناء جيبوتي

– هي حياة نقضيها في رمضان مثلها مثل الأيام الاعتيادية، فإذا دخل الشهر الكريم، وعلمنا به فإننا ننصوم كالاعتاد، ونصلي بالطبع كالاعتاد، ونأكل وجباتنا المعتادة الفطور والعشاء والسحور، ونعتمد على النجوم في تحديد وقتي الإفطار والإمساك في كل يوم.

• وكيف انتهت رحلتكم مع البحر...؟

– انتهت رحلتي مع البحر عندما تم تنفيذ التأمين للمنشآت والوسائل البحرية في عام ١٩٧١م، وآخر رحلة لنا كانت ضمن الرحلات التي قمنا بها على سفينة التاجر باشنفر، وكنا ننقل خلال هذه الرحلات مادة الإسمنت بين مينائي مصوع في أرتيريا والحديدة في اليمن، والرحلة الأخيرة كانت من ميناء مصوع إلى ميناء عدن، وهناك في عدن علمنا بقرار التأمين للوسائل البحرية المختلفة وكنا على ظهر سفينة (سهالة الباري) كما قلت لكم، وهي ملكٌ لرجل الأعمال التاجر محمد عبدالله باشنفر.

• وكيف جرت هذه العملية؟

– صعد على ظهر سفينتنا رجال الانتفاضة أو التأمين في ميناء التواهي وذلك عصرًا، وقالوا لنا إن هذه السفينة مؤتمّة وهي أصبحت ملكًا لكم، وسَلَّمُونَا أعلامًا خاصة بالتأمين، ووزَّعُوا علينا قطعًا من الأسلحة الخفيفة، طبعًا لكل قطعة سلاح بـ (آلي)، وكان النوخدة في هذه الرحلة الربان / خيس نصيب باخوار / وكنت أنا أعمل مساعدًا له (صرنج). فقال الربان / خيس باخوار / لرجال التأمين: يا أخواني هذه السفينة صاحبها ومالكها التاجر / باشنفر / .

فقالوا له: نحن نقول هذه السفينة تم تأمينها وهي الآن ملك لكم، وهذه السفينة ضمن السفن والسواحي التي تم تأمينها من قبل الحكومة، وعددها قرابة الخمسين سفينة وساعية،

وبعد ذلك أخذوا بضاعة الإسمنت وأفرغوها من الساعية إلى سيارات ولا ندري إلى أي جهة أخذوا البضاعة، وبهذه الطريقة خرج رجل الأعمال باشنفر من العملية كما يقال (ليس) وخسر الساعية والبضاعة في وقت واحد والحمد لله على كل حال، وكان معنا على ظهر الساعية الأخ / محمد قاسم الكلدي، وهو بحار من طراز ممتاز، وعاش معظم عمره بحارًا، وقد تم اعتماده ضمن المسؤولين عن الشؤون التنظيمية في الجانب المالي، وتم طبعًا إنشاء عدد من المنشآت البحرية الوطنية في

القطاع العام، وقد أشاروا لي لأقوم بقيادة

الساعية، والذهاب بها إلى دبي؛ لإحضار

بضاعة لست أدري ماهي، ولكنني

اعتذرت وفضلت العودة من عدن إلى

المكلا، بعد أن تسلمت رسالة عبر

الأخ / محمد عمر الكسادي، مفادها أن

والدي عليه رحمة الله تعالى، مريض في المكلا

ووالدتك أيضًا سقطت وكُسرت يدها، وكنت أنا

للأسف هائبًا، وغير مستقر، وبعيدًا عن الأهل، فشعرت بغصة

في قلبي، فذهبت أنا ومحمد الكسادي إلى الإدارة التنظيمية

بهدف طلب الإذن للسفر إلى المكلا ووافق محمد قاسم الكلدي،

فعدت إلى المكلا، والتقيت بالوالد والوالدة، وكانا في حالة صعبة،

وعندما التقيت بالوالد احتضنني وبكى؛ لأنني كنت غائبًا

لفترة ليست بالقصيرة، وذهبت وأحضرت غداءً من مطعم /

باحداد، وبعد أن أكلنا الغداء تخبرنا عن أحوالنا، وصعب

عليّ حالهما، عندئذ اتخذت قرارًا الحياتي الصعب والجميل في

الوقت ذاته، وهو البقاء إلى جانبهما ورعايتهما في ظل وضعهما

الحياتي الصعب كما قلت، وهو من أجمل قرارات حياتي؛ فقد كنت

الوحيد لهما، لأن أخي الآخر كان مسافرًا في الكويت ومهاجرًا،

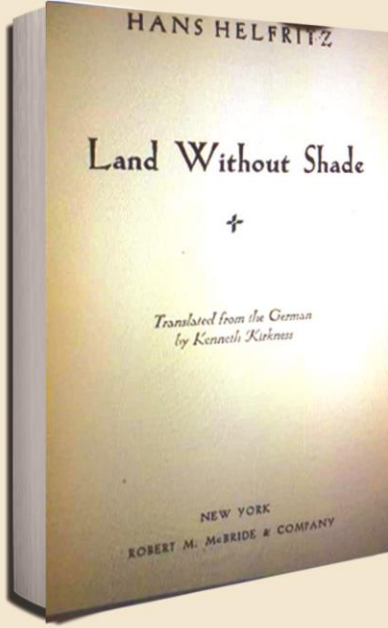
قضى هناك أكثر من خمسين عامًا.

نعم.. لقد كان لهذا الحدث العائلي الخاص أثر خاص في حياتي..

فقلت في نفسي إن وجودي مع والدي ووالدتي هو (الخير والبركة)

في الدنيا والآخرة.

خضت بحر العمل ثلاثين عامًا وبر الوالدين أنهى حكايتي من البحر



أَرْضٌ بِلاِ ظِلَالٍ

هانس هيلفريتس (Hans Hilfritz)

ترجمها من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية
كينث كيركنز (Kenneth Kirkness)

نيويورك

روبرت م. ماكبرايد

النسخة الألمانية لهذا الكتاب

نشرت في مدينة ليزج (liepzig) في كتابين

الأول بعنوان (شيكاجو الصحراء)

والثاني بعنوان (أرض بلا ظلال)

أرض بلا ظل

حقوق النشر هانز هيلفريتس ١٩٣٦م

طبع في الولايات المتحدة الأمريكية

النسخة الأولى

الفصل العاشر

في أوساط البدو النهابية

قبل مغادرتنا لبلدة عورة انتابنا شكٌّ في أنْ أمُورَ ترتيب رحلة عودتنا لا تسير على ما يرام، فالسلطان عمر بن عوض باصرة رجل ضعيفٌ، وكبيرٌ في السن، عمره حوالي تسعين سنة، وشبه أعمى. وعلى كل حال فقد أهدانا ذلك السلطان خروفاً حياً أحضره إلى الشقة التي نزلنا بها في الطابق الرابع، معتقداً أن الحروف الحي سيعجبنا أكثر من الحروف المذبوح، ولقد كان مُحققاً؛ فعادةً ما نرى من الحروف إلا الشيء القليل بعد ذبحه، وبهذا الحروف تم إقامة وليمة وداع لجنودنا وخدمنا الذين سيتركوننا.



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن



عائلة باصرة

كان هذا السلطان، الذي يحكم دوعن بشكل مستقل عن المكلا، واقعا تحت تأثير وزيره، وهو رجل بخيل مخادع، يكره ويحتقر الأوربيين رغم أنه لم يقابل منهم إلا اثنين في حياته كلها. تم الترتيب مع السلطان بإعطائنا جنديين لمرافقتنا في رحلة العودة إلى المكلا التي ستستغرق عشرة أيام، ولكن الوزير الذي تولى أمر ترتيبات سفرنا لم يوافق مبرراً قراره هذا بأن البدو الخمسة الذين استأجرناهم

مع خمسة حمير هم رجال شجعان أذكىاء، وليست هناك حاجة لإرسال جنود معنا. بدأت في غرفتنا المشاورات عن الأجور التي ينبغي علينا دفعها، فنشب خلاف بين اثنين من الرجال، ونهضا رافعين خنجرهما في وجهي بعضهما، وكان حينها في الغرفة عشرون رجلاً، فتدخل بقية الرجال وأبعدوا أحدهما عن الآخر بالقوة. وأخيراً اتفقوا بعد جدال وتفاوض صاخب على أن تكون أجرة الرحلة خمسين دولاراً (دولار ماريا تريزا)، وأن يتم دفعها مقدماً، ووقع الرجال الخمسة العقد، الذي بموجبه سيكون لي ولصديقي حماران لنركبهما.

إلى الآن كل شيء على ما يرام، فالفقود شيء جيد في حد ذاتها، لكن هناك ثغرات وفرصاً للتهرب مما فيها، وخاصة هنا في الجنوب العربي، حيث بدأت المتاعب عندما قام البدو الخمسة، وهم بدائيون أشباه عراة، سود البشرة، طوال الشعر، متوحشون، بتحميل الأمتعة وأكياس علف الحيوانات على الحمير الخمسة كلها دون أن يتركوا لي ولصديقي أي مكان للركوب لنمضي أربع ساعات مشياً حتى صعدنا أولى الجبال الوعرة، ثم وصلنا إلى الهضبة، وكان يتحتم علينا مواصلة السير على الأقدام حتى نأكل الحمير طعامها المحمول على ظهورها، ويكون هناك مكان للركوب، ويتوقع ألا يتم هذا إلا في وقت متأخر من تلك الليلة. تحسنت الظروف في اليوم الثاني من الرحلة لسبيين، السبب الأول

أننا استطعنا ركوب الحمير، وهذا جعلنا نقطع مسافة أطول بيسر وبغير تعب، والسبب الثاني أننا قمنا بشراء خروف من بدويّة، فللحم تأثير في تحسّن مزاج بدوينا الخمسة. وصلنا إلى جبل آخر فكان لزاماً علينا أن نترجل من ظهور الحمير، وسلك بنا أحد البدو الخمسة طريقاً مستقيماً يقود مباشرة إلى المنحدر، في حين سلك الحمير وبقية البدو طريقاً آخر متعرجاً، فلم نعد نراهم، وقد وصلنا إلى قمة الجبل ولم نلقهم هناك. لم نعد نستطيع التحمّل أكثر من هذا فقد بلغ السيل الزبى، ولم نستطع تسلّق الجبال لعدة ساعات تحت وطأة حرارة الشمس الاستوائية الحارقة، فذلك ليس بالأمر السهل، لذا أعلننا الامتناع عن المشي وصرخت في وجه البدوي قائلاً: "هات حمار"، أي: احضر الحمار، ولم أترك له مجالاً للجواب، ثم جلست على صخرة لأرى ما سيحصل. شجاعتنا وعدم خوفنا من قبيلي سيباني أدهشت البدوي، فهذا الشيء لم يكن في حسابنا في أثناء التفاوض على الأجور. لينظر بقلق نحو الأفق باحثاً عن أصدقائه، ولكنهم لا زالوا بعيدين جداً عنه.

مرت رُبُع ساعة ثم نصف ساعة ولم يظهر أحد من أصدقائه، ثم أخيراً لمحنا شخصين من بعيد ينادون ويطلقون النار في الجو كشارة لنا. تظاهروا بعدم رؤيتنا لهم وواصلنا الجلوس والانتظار. وحين اقتربوا منا أبدينا دهشة واستغراباً وقلنا معاً "هات حمار" "هات حمار"، وكان لهذا التصرف التأثير المطلوب؛

مجموعة من بدو قبائل حضرموت



لأن هذين الرجلين اللذين اختفيا ثم عادا الآن واتجها بالحمارين في اتجاهنا، وما إن اقتربا منا حتى بدأ يكيلان اللعنات والسباب علينا، محدثين صخباً وضجيجاً لا يوصف. بدأ بالصراخ "هات فلوس، وإلا سنجعلكم تمشون على أقدامكم إلى المكلا". أرادا عشرين دولاراً أخرى ليسمحوا لنا بركوب الحمير. ندمت كثيراً في هذا اليوم على دفعنا أجرتهم مقدماً. مباشرة حلّ المساء، وأتوا بنا إلى بيت للراحة، في الواقع لم يكن بيتاً وإنما حجر تعيس، لا نوافذ فيه، ويعجُّ بالفئران والجردان، التي كانت تمر فوق أجسادنا كلما حاولنا أن ننام،

لقد نال منّا التعب والإنهاك مبلغاً؛ فقد كنا نمشي على الأقدام معظم اليوم، ولا يُسمح لنا بالركوب على الحمير إلا لفترات قصيرة جداً. دخلنا شعباً عميقاً يسمى (مولى مطر)، هناك تنحدر الطريق، وطلب منّا الرجل من ظهور الحمير. في هذا الوقت شعرنا بأننا لا نستطيع الاستمرار في الخضوع للبدو، وبقيتنا على ظهور الحمير ولم نترجل منها. ليندلع مباشرة بيننا شجار خفيف. حاول اثنان من البدو أن ينزلونا عنوةً، ولكن قاومناهم بعنف فتراجعا إلى الخلف. سبب هذا المشهد غضباً عارماً في أوساط البدو، فوثب أحدهم، واستلّ جنبيتّه، واندفع نحوي، وأمسك الآخر ببندقيته وفتح أمانها وصوبها نحو صدر مرافقي. رغم تأكدنا أنهم لا ينوون التخلص منّا، فإنه كان شعوراً مزعجاً أن تكون جنبية ملطخة بالدهون بالقرب من حلقك، وبندقية موصولة نحو صدرك، خاصة ونحن ندرك تماماً مدى استهتار البدو في التعامل مع سلاحهم، ففي ظروف كهذه من الممكن جداً أن تنطلق طلقة من البندقية بسهولة، لكن لحسن الحظ أتت بعض النسوة البدويات وضحكنا كثيراً من هذا المشهد الذي بدا لهن كأنه مشهد كوميدى. في موقف كهذا لم يكن أماننا سوى البقاء راكبين ومحافظين على هدوئنا، فلو

والأكثر إزعاجاً من هذا الأمر هي النار التي يتركها البدو مشتعلة طوال الليل. كاد الدخان الناتج من تلك التيران يخنقنا في هذه الغرفة الصغيرة، أما البدو فقد كانوا مستمتعين به.

في الصباح أيقظونا رفساً بأرجلهم، ولكن هذا الرفس ليس مقصوداً به العراك أو لحاق الأذى بنا، وإنما هي عادتهم لإيقاظ الآخرين، إنها طريقة بها من الجلافة أكثر مما في الطريقة المألوفة لدينا. عندما كنّا على وشك ركوب الحمير سمعنا عبارة "امش قليل قليل". وأصبحت هذه العبارة تتكرر يومياً فكلما اقتربنا من أرض مرتفعة قليلاً قلنا "امش قليل قليل"، إلى أن نفد صبرنا وتذكرنا كلامهم السابق بأنهم سيجعلوننا نركب الحمير طوال الطريق إذا دفعنا لهم نقوداً.

اقترب الليل، وامتألت السماء، بألوان عجيبة، لا تُرى إلا في الأراضي الجبلية من المناطق الاستوائية. فما إن كادت الشمس تغوص خلف الأفق، حتى ظهر شعاع ضوء صغير في المشرق، وبدأ يتحول تدريجياً من اللون الأصفر الفاتح إلى اللون البنفسجي الغامق، وبعد فترة وجيزة جداً اختفى فجأة هذا المشهد الجميل الرائع الذي يصعب وصفه.

لجأنا لأسلحتنا وأطلقنا طلقة واحدة فقط، كل المجموعة ستنقض علينا، وستكون فرصُ نجاتنا قليلة، خصوصاً وأنَّ هناك مخيماً للبدو على مقربةٍ منَّا، ولم نكنْ نعلمُ به حينها. بقينا راكبين على الحمير، منتظرين سماعَ صوتِ رصاصة، ولكن شيء كهذا لم يحدث. أتى بقية البدو يجرُّون ضاحكين، ووعدونا بالألَّا يؤذونا طالما وإن بقينا مترجلين، نصيحة لم نأخذها. أخيراً اعترف البدو بأننا كنَّا شجعاناً لا تخاف، وقدموا لنا القهوة كعربون مصالحة، ومشت الحياة بسلاسة، وكان شيئاً لم يحدث.

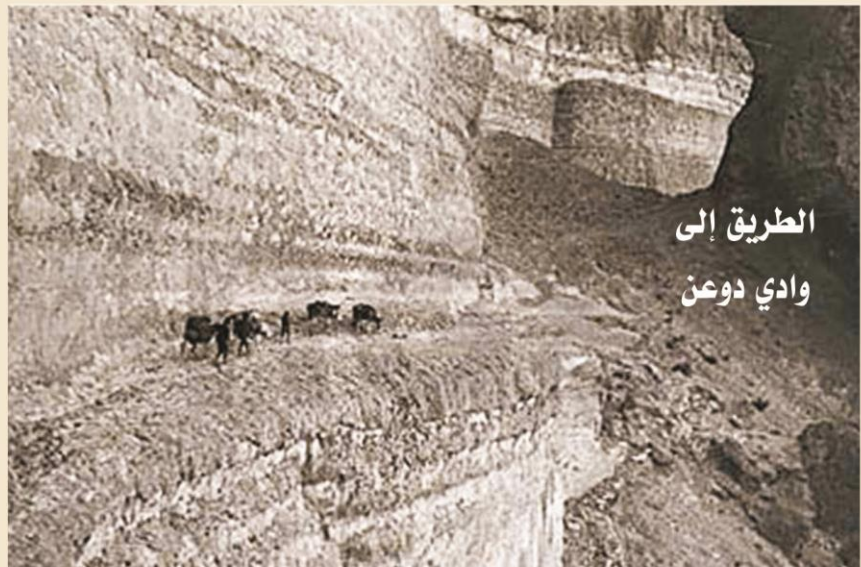
بعد أن واصلنا رحلتنا مشياً لنصف ساعة، وتوغَّلنا في شعب مولى مطر سمعنا دمدمةً وصوتَ طلقتين ناريتين. اعتقدنا أننا دخلنا في منطقة اشتباك بين البدو كما سبق وحصل لنا مثله في مرات عدَّة، ولكن هذه المرة وفي هذا الشعب الضيق ستكونُ فرصُ نجاتنا أصعب وأقلَّ. الآن بدأنا نسمع أصوات غناء ومزمار، لقد غربت الشمس الآن وحل الظلام ونستطيع مشاهدة نيران مخيمات (صروم) البدو. رأينا اثنين أو ثلاثة ثم أربعة أو خمسة ثم ثمانية أو عشرة أو أكثر. هذه الأضواء تلقى بظلال جميل غريب على جوانب الوادي شديدة الانحدار. عدد أضواء مخيمات البدو الآن صار خمسة عشر أو ستة عشر كل الشعب مضاء.

لقد كان في هذا التجمُّع البدوي حوالي ثمانمائة من بدو قبيلة

سيبان. حشود من القبائل البدوية تتوافد. يرقص الرجال والنساء، والخرفان تُدبِّح الواحد تلو الآخر على حجرة خاصة مقدَّسة. لقد وجدتُ نفسي محاطاً بأناس سُدَّج، قاتمي البشرة، ملطَّخة أجسادهم بالدهون، فهم كريهو الرائحة، وكان لزائماً عليَّ أن أصافح كل واحد منهم؛ فالبدو مثلهم مثل بقية العرب يؤلُّون المصافحة أهمية كبيرة، وأيُّ تهاون فيها يعدُّونه إهانة كبيرة، على الرغم من أنهم يفترون بعضهم عن بعض دون قول أيِّ كلمة وداع. من دون شك في أنَّ البدو هم أكثر أجناس البشر فضولاً وثرثرة على وجه الأرض. عليك أن تخبرهم بقصَّتكَ مرَّاتٍ لا تعدُّ ولا تحصى حتى ترضيهم. لم يسبق لأحد من هؤلاء المحيطين بنا أن رأى رجلاً أبيض من قبل، أمَّا الأطفال فكانوا خائفين منَّا، وهربوا، والبعض الآخر منهم كانوا يتلمَّسون أجسادنا بحذر شديد.

بعد أن سألنا ثلاثة أو أربعة رجال السؤال نفسه، انهال علينا الجميع يسألوننا السؤال عينه. أفادنا الشجار الذي حصل بيننا في الجبل؛ فقد روى مرافقونا الخمسة هؤلاء البدو مرات عدَّة كيف كنَّا شجعاناً، وكيف أنَّا لم نستسلم حتى بعد تهديدنا بالسلاح، ممَّا جعل البدو هنا يعجبون منَّا.

هناك أشياء معينة ينبغي التنبُّه لها عند التعامل مع البدو في الجنوب العربي، فهم يحترمون ويخضعون لقانون معين يتوارثونه جيلاً بعد جيل، فمثلاً لو ضربت أحدهم على الأذن بدلاً من أن تنخسه في جنبه، فتلك إهانة لا يمحوها سوى الدم. لن يهدأ للقبيلة بأكملها بالدم حتى ينجح أحدهم بقتلك، يقال إنَّ طفلاً يبلغ من العمر عشر سنوات قتل أباه؛ لأنه دكمه على أذنه؛ لعدم تنفيذ أوامره بالبحث عن جمل ضائع، فلم يَلْمُ أحدُ ذلك الطفل على فعلته.



الطريق إلى
وادي دوعن



”هناك أشياء معينة ينبغي التنبُّه لها عند التعامل مع البدو في الجنوب العربي، فهم يحترمون ويخضعون لقانون معين يتوارثونه جيلاً بعد جيل، فمثلاً لو ضربت أحدهم على الأذن بدلاً من أن تنخسه في جنبه، فتلك إهانة لا يمحوها سوى الدم. لن يهدأ للقبيلة بأكملها بال حتى ينجح أحدهم بقتلك“ ،

بزوع الفجر انتهى الحفل، وارتحلنا سالكين طريقاً بذلك الشعب يرافقنا مئات البدو ممن شاركوا في ذلك الحفل، عائدين إلى أماكن سكنهم. وأخذوا يضايقوننا بسؤالهم لنا أسئلة الليلة الماضية نفسها. بين الحين والآخر تطلق نيران البنادق ابتهاجاً وفرحاً، وتسمع أزيز رصاص الدمدمة المشووم يمر من فوق رؤوسنا فهذه هي طريقتهم في المزاح.

على الرغم من أن البدو كلهم سرق، ولا يمنعهم أي شيء من إشباع شهوتهم من النهب والقتل، فإن أحداً لا يستطيع إلحاق الأذى بنا، فنحن تحت حماية هؤلاء البدو الخمسة، وهم مسؤولون عن سلامتنا. فإن قام هؤلاء البدو الخمسة بسلبنا أو قتلنا، فسيتم طردهم من القبيلة في أقل تقدير، وهذا في حد ذاته عقاب صارم شبيه بالحرم من حماية القانون، و(الحرم الكنسي) الذي كان سائداً في العصور الوسطى. لن يكون بمقدور أي قبيلة عمل أي شيء للخارجين عن القانون، كما أن ممتلكاتهم تصادر، يسمح له بثلاثة أيام يستطيع فيها النجاة بحياته بعدها، يعلن أنه خارج عن القانون، ويمكن أن يقتله أي شخص بمجرد أن يراه. في معظم الحالات ينضم هؤلاء المنبوذون إلى عصابات السلب، التي تعيث في الأرض فساداً، في المناطق الممتدة من شبام إلى صنعاء، مشكّلين تهديداً حقيقياً للقوافل.

لم ينم البدو في تلك الليلة وكذلك نحن؛ فقد كانت مناسبة احتفالية للبدو. الغناء وطلقات الرصاص ظلت تُدوي في كل أرجاء الوادي، وأحياناً تكون فترات فيها شيء من الهدوء فنستطيع سماع المزمار.

على كل حال لم نجرؤ على النوم، فبين الحين والآخر يزحف نحونا شخص يريد أن يعرف ماذا بداخل متاعنا من أشياء. كنت في حيرة من أمري، أتساءل متى ينام هؤلاء البدو؟ مع





، لا يستطيع أحد من البدو إلحاق الأذى بنا، فنحن تحت حماية هؤلاء البدو الخمسة، وهم مسؤولون عن سلامتنا. فإن قام هؤلاء البدو الخمسة بسلبنا أو قتلنا، فسيتهم طردهم من القبيلة في أقل تقدير، وهذا في حد ذاته عقاب صارم شبيه بالحرمان من حماية القانون، و(الحرم الكنسي) الذي كان سائداً في العصور الوسطى. ولن يكون بمقدور أي قبيلة عمل أي شيء للخارجين عن القانون ، ،

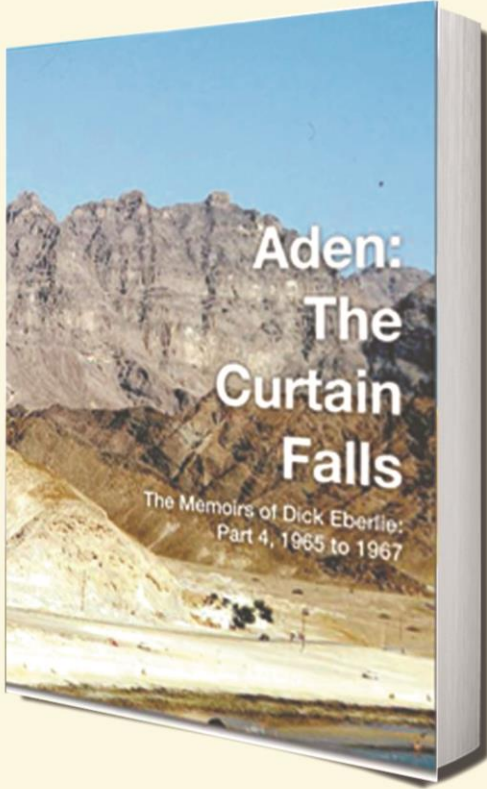
ما إن غادرنا آخر بدوي من الذين رافقونا لتصادف طريقنا وطريقهم، حتى بدأت المشاكل؛ فقد طُلب منا أن نمشي على الأقدام. ورغبةً منا في عدم تكرار المشهد السابق فقد ترجلنا من ظهور الحمير ومشينا.

بعد مضي حوالي الساعة قررنا اللجوء إلى حيلة. أخبرناهم أن سلطان المكلا أخبر من دوعن بقدمنا، وأنه في حال عدم وصولنا إلى المكلا في الوقت المحدد فإنه سيرسل إلينا جنوداً، وهم يدركون تماماً ماذا سيحصل لهم في هذه الحالة، سوف يدخلون السجن "الحبس" كما يسمونه، لذا فإن عليهم الإسراع وإحضار الحمير لنا. البدويان اللذان معنا الآن غير البدويين اللذين تشاجرنا معهما في المرة الأولى، وقد صدمنا لسماعهما هذا الخبر، وبعد تردد استمر لبعض الوقت توسلاً إلينا أن نبدي قليلاً من الصبر "امش قليل"، وبعد ذلك بإمكاننا امتطاء الحمير إذا دفعنا لهما خمسة دولارات، ولكننا لم نبدأ أي اهتمام بهذا العرض.

انتظرنا نصف ساعة حتى أتت الحمير الأخرى (يقصد البدو الثلاثة الآخرين)، وبدأوا يتحدثون معنا. لاحظنا أن المبلغ الذي يطلبونه قد انخفض كثيراً. رفضنا أن نمشي ولو خطوة، معتقدين أن ضياع الوقت سيجعلهم يستسلمون. نشأ خلاف بيننا مباشرة، وطلب قائدهم عشرين دولاراً بدلاً من الخمسة، وأخذ يكيل لي اللعنات والسباب، ولكن هذه المرة ليس لديه بُن القهوة ليهدينا إياه. ظللنا مُصرين على موقفنا إلى أن بدأوا يهدّدونا بالضرب بأعقاب البنادق، حينها أُجبرنا على التراجع؛ لأن فرصة تغلبنا على عصابة من خمسة أفراد ستكون ضعيفة جداً. واصلنا الرحلة مشياً على الأقدام إلى أن التقينا صدفةً بسيد من آل العطاس، وأحد القادة التابعين لسلطان المكلا، وكان في طريقه لزيارة مناطق الداخل بالوادي. لقد كان رجلاً كبير السن، له لحية طويلة، لوناً أشيب. كان جالساً على سجادة في أحد الكهوف، وأمامه المداعة (الرشبة). أتى إليه مجموعة من البدو واضعين في شعر رؤوسهم أعشاباً جبلية ذات رائحة زكية، ثم غادروا. كان يكتب الرسائل، ويرسل الرسل، وبين اللحظة والأخرى تطلق نيران البنادق كتحية.

سمح لنا بمقابلته، وشرحنا له ما فعله بنا رفاقنا من البدو الخمسة، لعلّه يجد لنا حلاً معهم. قام باستجواب قائد المجموعة، ولكن بالطبع أنكر كل ما قلناه عنهم، مدّعياً أنه كان يمزح معنا لا أكثر. طلبنا منه أن يعطينا عسكراً المرافقينا ولكنه رفض، ونصحنّا بإعطاء البدو خمسة دولارات، مؤكّداً لنا أن هذا الحل سيضمن وصولنا سالمين إلى المكلا. أخيراً وافقنا على إعطائهم خمسة دولارات بشرط أن تُسلم لهم بعد وصولنا إلى المكلا وكتب بيننا هذا الاتفاق. من ذلك الوقت لم نواجه أي صعوبات أو مشاكل إضافية أبداً، وركبنا الحمير ليومين كاملين إلى أن وصلنا بسلام إلى المكلا، وكان مظهرنا مُزرياً، ولا يختلف كثيراً عن مظهر هؤلاء اللصوص قُطاع الطُرق الخمسة. كانت هناك تكملة لهذه القصة فلم يفلت هؤلاء البدو من العقاب، لقد أمضى اثنان منهم سنة كاملة في سجن المكلا على الرغم من أنه كان يُسمح لهم في بعض الاوقات بالخروج للسوق لشراء سمك لأنفسهم والعودة إلى السجن مرة أخرى.

محميات عدن وشرقية



يشكل نص (محميات عدن) الفصل الثالث من الجزء الرابع من مذكرات الضابط الإنجليزي ديك إيبيرلي: (عدن: سقوط الستار). يمزج فيه المؤلف تقديم هيكل اتحاد الجنوب العربي ومكانة محميات عدن فيه، مع سرد نُقِفَ من حياته الخاصة في الفترة من ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٧م، مع التركيز على الرحلات الكثيرة التي قام بها إلى معظم مناطق محميات عدن الغربية والشرقية. ويقدم فيه انطباعاته عن الأشخاص الكثيرين الذين قابلهم خلال تلك الرحلات.

"حتى يتنفس اليوم،

والظلال تهرب،

أسرع إلى جبل المر وتل اللبان".

من نشيد الإنشاد

بات الآن في وسعي التعرف على المسؤولين السياسيين، الذين يعملون في هذه البلاد، ويدأومون في المقرر الرئيس لحكومة الاتحاد الواقع خارج عدن، وفي كثير من الأحيان في ظروف صعبة وخطيرة، وقد أعجبت بهم، وأصبحت صديقاً لعدد منهم. وعادةً ما يتم استدعاء كبار المسؤولين إلى مقر القيادة العامة في التواهي؛ للنقاش والتشاور، وفي كثير من الأحيان تجمعنا لقاءات الزمالة والصدقة.

في الفترة الأولى من إقامتي في عدن لم تسنح لي، للأسف الشديد، فرصة السفر خارج المدينة، وفي الأشهر الأولى كان من الممكن القيام ببعض الجولات القصيرة؛ لكن بعد ذلك، ومع تفاقم المشاكل وازدياد وتيرة العمل، أصبحت مُقَيِّدًا في مكنتي. وفي بعض تلك الجولات المبكرة، كان فهمي لما يجري ما يزال



ترجمة د. مسعود عمشوش

المصدر: (عدن: سقوط الستار)
الفصل 3 من الجزء الرابع
من (مذكرات ديك إيبيرلي:
1965 إلى 1967)



ديك إيبيرلي

سطحياً بشكل عام. ومع ذلك، أعتقد أنني شاهدت الكثير، وتعلّمت ما يكفي عن البلد لأستطيع فهم طريقة الحياة فيه، ونظرة الناس إلى العالم من خلال البيئة الوعرة والصعبة التي يعيشون فيها.

محميات عدن الشرقية EAP:

يتكوّن الجزء الشرقي الشاسع من الجنوب العربي من أربع ولايات، تتمتع بالحكم الذاتي، وتشكل سلطنات القعيطي والكثيري والمهرة والواحدى. ويبدو أن شعوب محميات عدن الشرقية قد عانت كثيراً من المجاعة خلال الحرب، لكنها استفادت لاحقاً من السلام والازدهار النسبيين والحكومة المركزية.

ويتركز عمل الموظفين البريطانيين في سلطنتي القعيطي والكثيري على التنمية، بعكس ما يحدث في محميات عدن الغربية، التي يركز الموظفون البريطانيون فيها على حفظ القانون والنظام.

الوجود البريطاني:

يتجسّد حضور الحكومة البريطانية في المحميات الشرقية بالمقيم (Resident) الذي كان، وقت وصولي إلى عدن، تيد آير Ted Eyre. وكان يعمل مع نائبه المتمرّس جيم إليس، وفريق صغير من المستشارين المساعدين الأكفاء والضباط، الذين يقدمون المشورة لسلطين المحميات الشرقية، ويشجعونهم على ممارسة الحكم الرشيد، وتحسين أوضاع رعاياهم.

وكان تيد عازباً، وتقليدياً إلى حد ما، ويفتقر إلى بريق بعض أسلافه، لكن خبرته كانت واسعة، وقد بدأها في السودان، وطوّرها خلال رئاسة (مشروع القطن في أبين). وكان خَلْفاً لمُقيم مُستعرب، وذو خبرة واسعة، ومداوم على وضع ربطة عنق، اسمه آرثر واتس. وكان آرثر، الذي يحمل لقب سكرتير المحمية، سفيراً متجولاً في المحميات الشرقية EAP، ويقع مقره في مكاتب المفوضية العليا، التي استفادت كثيراً من خبرته الواسعة لاسيما في الفترة الأولى من تأسيس المحميات.

ولحراسة الحدود مع اليمن والمملكة العربية السعودية، تم إنشاء جيش البادية الحضرمي (HBL)، ويقع تحت قيادة الكولونيل المتمرس، بات جراي الذي كان في السابق مسؤولاً عن الكتيبة العربية. بعد وقت قصير من وصولي، قُتل في الصحراء الرجل الثاني في القيادة، الرائد ديفيد إيلز، لكن مثل هذه الحوادث المأساوية نادرة في المحميات الشرقية في ذلك الوقت. فالشائع أن الأمن مُستتبٌ فيها، وكنت أؤكد للموظفين البريطانيين أنهم ليسوا بحاجة لحمل السلاح في المدن. وبشكل عام كانت علاقة المستشارين السياسيين مع السلاطين سلسلة وسهلة.

سلطنة المهرة وسقطرى:

تغطي سلطنة المهرة، التي لم يتم رسم حدودها بدقة، مساحة شاسعة من المنطقة الصحراوية، الممتدة في شواطئ المحيط الهندي إلى جبال عمان وظفار في الشرق، وإلى الربع الخالي في الشمال. وتخضع قبائل المهرة البدوية لحكم السلطان عيسى، الذي على ما يبدو لا يُعيرُها كثيراً من الاهتمام، ويفضّل العيش في جزيرة سقطرى.

كان سعادة المندوب السامي بحاجة إلى مقابلة السلطان عيسى في عدن؛ حتى لا يضطر للذهاب أبداً إلى المهرة، لكن توجّب علينا أن نذهب إلى سقطرى لرؤيته. وقد تقرر أن نقوم بالرحلة خلال فترة الإضراب العام في أكتوبر ١٩٦٥م. فعقب اجتماعات لجنة السياسات الأمنية، شعر سعادته أنه لا يستطيع



65

العدد (29)
يوليو
سبتمبر
2023م

أفرادها بلغتهم الخاصة: السقطرية. وعلى الساحل، كان القرويون يعيشون على التمور والأسماك، ويرعون الجمال والماعز، ويتاجرون بأشياء غريبة، مثل: اللبان، وعرق اللؤلؤ. ويُعدُّ صُوفُ الأغنام مُنتجَهُم الأكثر ربحاً على ما يبدو. ويتمُّ نقله إلى البر الرئيس بواسطة مركب شراعي، وهناك ينسجون منه نوعاً من الحُصُر [السجاد].

أمضى السير ريتشارد اليوم في قاعة مجلس السلطان، المفروش ببعض الأثاث الفيكتوري غير المتناسق، الذي فهمنا أنه قد أحضر من حطام سفينة، غرقت منذ فترة طويلة. لقد كان هدف المندوب السامي إقناع السلطان بأن يكون متعاوناً مع جيرانه في البر الرئيس، وأن يكون أقل استبداداً، ويقبل فقدان الحماية البريطانية مع اقتراب موعد استقلال الجنوب العربي. ولم يكن السلطان مهتماً بهذه الأمور. وأوضح أنه، بمجرد انسحاب البريطانيين، يتوقع أن يتم الاستيلاء على ممتلكاته في البر الرئيس من قبل الدول القوية المجاورة، والقبائل الخاضعة له حالياً. وهكذا لم تحقق رحلتنا إلى سقطرى سوى تحذير السلطان من حدوث بعض المشاكل الوشيكة. ومع ذلك، كانت الرحلة مثيرة جداً، ومكنتني من التعرف على واحد من أكثر الأجزاء بدائية وعزلة في الإمبراطورية البريطانية.

فعل المزيد في عدن، وأنه سيكون أفضل له التوجه إلى سقطرى. لذلك أخذني معه في إجازة لمدة يومين بعيداً عن المشاكل المحلية، وحلقتنا بطائرة الداكوتا على طول الساحل إلى المكلا. وبإذن من سلاح الجو الملكي البريطاني طرناً جنوباً لمدة ساعتين ونصف الساعة إلى سقطرى في المحيط الهندي، وهي أقرب إلى رأس جاردافوي منها إلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية.

هبطنا فوق شريط مستو وخال يقع على الشاطئ الأمامي للجزيرة. لم يكن المناخ ثقيلًا. وعندما غادرنا الطائرة في الهواء البارد، جاء السلطان الخجول والذكي ليحيينا ويخبرنا أنه لم يكن يتوقع لرؤيتنا. وبعد تبادل التحايا الهادئة قادنا مسافة ثلاثة أميال سيراً على الأقدام عبر السهل إلى أن وصلنا (قصره) في قرية حديبو. وقد قيل لنا إنه يملك الجزيرة ومعظم الأشياء الموجودة عليها، بما في ذلك القرى والماعز والجمال والنخيل، كما أنه يُعدُّ الحاكم لأكثر من تسعة آلاف من سكان الجزر، بينهم كثير من العبيد السواحليين، الذين يغطون أجسامهم بقليل من الملابس.

وكان في حديبو مدرسة صغيرة لتعليم القرآن للصغار. وأخبرني المترجم أن هناك قبيلة بدائية من السود تعيش داخل الكهوف في المناطق الداخلية الجبلية المغطاة بالأشجار، ويتحدث



أمضينا الليالي التي سبقت السفر إلى سقطرى، والتي تلت العودة منها، في قاعدة سلاح الجو الملكي البريطاني الصغيرة التي يديرها أفراد سلاح الجو الملكي البريطاني في بلدة الريآن، الواقعة في سهل صحراوي قاحل، يبعدُ حوالي عشرين ميلاً عن المكلا. وقد قيل لنا إن سكان البلدة يقومون بأعمال شغب "تعاطفًا" مع أولئك [الثوّار] الموجودين في عدن، ونُصِحنا بعدم القيام بمحاولة شقّ طريقنا إلى مقرّ الإقامة [في المكلا]. لذلك قضينا أمستيتين مبهجتين مع الطيّار وطاقمه الجويّ، ضيوفاً على ضباط سلاح الجو الملكيّ البريطانيّ، الذين يُديرُون القاعدة. وعندما باتت المكلا هادئة في المساء، جاء المقيمُ تيد آير بسيّارته لرؤيتنا مع بعض زملائه وزوجاتهم، وجلسنا جميعاً حول المائدة، وشرَبنا وقلنا الكثير من الهُراء الجيّد، وأمتعنا أنفسنا، بعيداً عن ضوضاء المدن الساحلية المضطربة.

وعندما حان وقت العودة إلى عدن، قُدِّمَت لي أنا ولسعادة المندوب السامي ربطتي عنقٍ رُسمَ عليهما طائرُ فينيقٍ أمامَ خلفيةٍ خضراء. وقيل لنا إن هذه الربطات لا يرتديها إلا أولئك الذين زاروا سقطرى. كنتُ أعرف أن طائرَ الفينيق المشهور يأتي من الجزيرة العربية، لكنهم لم يكتشفوا أبداً علاقة سقطرى بأسطورة الطائر. ربّما لأنهم كانوا يعتقدون أنه يعيش بين فروع شجرة دم الأخوين العظيمة، التي تنمو هناك. وما هذا إلا جزء بسيط من سرّ ذلك المكان الساحر.

السلطنة القيعيطية:

تغطّي السلطنة القيعيطية أراضيَ تمتدُّ على طول ساحل

المحيط الهندي ومساحات كبيرة في الداخل. وتُعدُّ المكلا، عاصمتها الجميلة، ميناء مزدحمًا، يعيش فيه وحكم السلطان العجوز عوض، مُحاطًا بنصائح مجلسه، ووزير يُدعى العطاس.

في النصف الأول من سنة ١٩٦٦م، رأى سعادة المندوب السامي أنه من الضروري التحدّث إلى سلاطين محميّات عدن الشرقية عن خطط بريطانيا للانسحاب ومنح الاستقلال، ولهذه الغاية رتب السفر إليهم وعقد سلسلة من الاجتماعات معهم.

و ذات صباح، غادرنا أنا وهو والليدي تورنبول، والحارس الشخصي، عدن على متن طائرة الداكوتا التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني. وهبطتُ بنا الطائرة بعد الظُّهر على مدرج مطار الريآن، حيث كان في استقبالنا المقيم تيد آير وقافلة من سيارات اللاندروفر. وأخذنا مباشرة إلى المكلا، ونزلنا ضيوفاً في مقرّ (الإقامة Residency).

عند وصولنا اصطَفَ أفرادُ الحرس السلطاني، ذوو القامات الطويلة والعمائم الحمراء، بجانب مدافع عتيقة وجميلة، في ساحة المبنى السلطاني الأبيض، الذي رفع في أعلاه علم الاتحاد. وقادنا تيد، مُضيفنا اللطيف، في جولة حول هذا المبنى الجميل.

يعيش السلطان القيعيطي مع أسرته وخدمه ومجموعة من الأرانب المروضة في مجمّع يتكوّن من مبانٍ قديمة، تُشبهُ كعكة زفاف ضخمة، بألوان زاهية للغاية، مع مئات النوافذ والشرفات، والأبراج والمآذن، وتطلُّ على الطريق المحاذي للميناء. ويطلق على هذا المجمع: القصر.





وقمنا بخربشة بعض الرسومات للمدينة القديمة. وبعد ذلك تجولتُ برفقة الحارس الشخصي في الواجهة البحرية. ومشينا عبر شوارع ضيقة وملتوية ومغطاة بالوحل، وارتصت على جانبيها المتاجر المظلمة، والمنازل الطويلة، المطلية باللون الأبيض، وذات النوافذ الصغيرة. وفي لحظة من اللحظات وجدنا أنفسنا وسط خليط عجيب من الجمال والحميز والرجال والأطفال الحفاة.

وبدأنا أن نمعظم أصحاب المتاجر من الميسورين، لكن معظم المشاة في الشوارع كانوا بدوا نصف عراة، جاءوا من الصحراء؛ لبيع بضائعهم المتواضعة. وهناك رجال آخرون من نسل العبيد السود، يرتدون مآزر قدرة حول خصورهم، ويندفعون بين حشود من الحمالين، ينقلون فوق ظهورهم أكياساً مليئة بالحبوب وغيرها من البضائع. وكانت المجاري بدائية، وفي الغالب كانت المياه تطفح في الشوارع. أما الميناء فقد كان ممتلئاً بالسناييك والمراكب الشراعية المتمايلة بفعل المد والجزر، والمحملة بالأكياس. وبعيداً قليلاً هناك سفن شحن قديمة وصدئة، تنتظر تفريغ حمولاتها.

وقد كان السلطان عوض مُسنًا، وفي حالة صحية سيئة للغاية. ويقال إن وزراءه كانوا ينتظرون تنازله عن العرش؛ حتى يتمكن ابنه غالب من العودة من الدراسة في إنجلترا لتولي إدارة شؤون الدولة.

دعا سعادة المندوب السامي والمقيم تيد السلطان العجوز وابنه الأصغر وكبار المستشارين؛ ليطلعهم على النوايا المستقبلية للحكومة البريطانية. وفي أثناء فترة المناقشات المستفيضة مع الوزراء، لمس المندوب السامي أنهم عند مستوى المنطق والمسؤولية، على الرغم من أنهم أكدوا له أنهم لن ينضموا أبداً إلى مجموعة حكام محميات عدن الغربية في الاتحاد، الذي يرون بثقة أنه لن يستمر بعد الاستقلال. وبدأ السلطان مقتنعاً بأن النفط سيكتشف في أراضيه قريباً، ولن تجد السلطنة صعوبة الاستمرار والبقاء بمفردها وبدون دعم بريطاني. ولم تكن هذه هي الرسالة التي كان المندوب السامي يود سماعها، لكنه لم يستطع تغيير موقف الرجل العجوز.

وفي أثناء استمرار تلك المحادثات أخذنا أنا والسيدة تورنبول، حرم المندوب السامي، أدوات الرسم الخاصة بنا،



المكلا

وفي الخليج كان هناك شاطئٌ رمليٌّ واسعٌ، تحيط به التلالُ المُبَاعِدَة. وَتَقَرَّرَ فَصَ فَوْقَ الرَّمَالِ رِجَالٌ خَشِنُونَ، لهم شعراً أشعثٌ، وبشرةٌ دَاكِنَةٌ، ورَبِياً أَنَّهُمْ يَمْضَغُونَ الْقَاتَ*، بجانب جماهم المربوطة بحبال طويلة. وكان بعضها محملةً بحَزَمٍ من الحطب أو أكياسِ ضَخْمَةٍ. كانت الجمالُ واقفةً هناك، في حين ذهب أصحابها لإنجاز أعمالهم في الميناء. ومن المفروض أن تلك الجمال ومرافقيها قد وصلوا في قوافل طويلة من المناطق النائية في الداخل مع بضائع للبيع لسكّان المدينة والتجار في سفن الشحن. لقد اكتسبت مدينة المكلا، بتاريجها الطويل، كُلَّ مظاهر الميناء التجاري النشط والناجح، وإذا كانت الأمور كُلُّها بشكل جيد، سيكون أمامها مستقبل باهر.

السلطنة الكثيرة:

تخضع المناطق الداخلية لحكم السلطان حسين بن علي الكثيري. ويعرف الوادي الأخضر الطويل، الممتد في الرمال باسم: (حضر موت)، التي اشتهرت ذات مرةً ببخورها، ولا تزال مشهورة اليوم بعلمائها. وتتميز حضر موت الداخل بميزة جغرافية؛ فالوادي الأخضر الممتد لمسافة ٣٥٠ ميلاً يفصل الصحراء [في الشمال] عن الهضبة المعروفة باسم الجول الجاف والقاحل [في الجنوب]. وفي الشمال تتدحرج الرمال الصحراوية لأميال لا نهاية لها باتجاه المملكة العربية السعودية.

وفي قاع الوادي تزدهر منذ سنوات، بل منذ قرون عدة، ثلاث مدن قديمة، هي: شبام، وسيئون، وتريم، وتتميز هذه المدن باعتدال مناخها واخضرارها، وجداول الماء، التي تمرُّ وسط الحقول وبين النخيل المثمر.

بعد الغداء في مقر الإقامة بالمكلا في اليوم التالي لمشاورات المندوب السامي مع السلطان القيعطي، توجه المندوب ومرافقه إلى الريان، حيث أقلَّتْهم إحدى طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني فوق الجول صَوَّبَ الداخل. وَجْهَتْنَا كانت سيئون، المدينة التي كانت عاصمة السلطان الكثيري، والواقعة وسط وادي حضر موت. في سيئون يبلغ عرض الوادي حوالي خمسة أميال.

بعد هبوط الطائرة في قاع الوادي، تمَّ أخذنا عبر الحقول المزروعة بالشعير والقمح، إلى بلدة تناطح مبانيها السحاب، وبعضها يتكوّن من ستة طوابق. وكانت بعض هذه المباني الشاهقة ذات جمال رائع، وتخصُّ التَّجَارَ الأثرياء، الذين كسبوا أموالهم من التجارة في بومباي وجاوة وسنغافورة وأماكن أخرى في الشرق، وجاءوا للتقاعد في هذه الأرض النائية. وتحيط بالبيوت حدائق النخيل والأعشاب الطويلة، التي لم أرها في أيِّ مكان آخر في جنوب شبه الجزيرة العربية. ويتنصبُّ قصر السلطان الكثيري الضخم والأبيض شامخاً في الوسط اللون، ويتكوّن من حوالي سبعة أو ثمانية طوابق.



مطار سيئون



سينون

لا شك في أن لقاء المندوب السامي مع السلطان كان مثمراً. ولم نَفْجأ أن السلطان الكثيري مثل السلطان القعيطي، كان مُصرّاً على رفض إنشاء أي علاقة بعدن والاتحاد. في الحقيقة رفض جميع سلاطين محميات عدن الشرقية، باستثناء السلطان الواحدي الذي يحكم ولاية صغيرة، ملاصقة لمحميات عدن الغربية، بإصرار الانضمام للاتحاد، وكانوا مصممين على مواصلة طرقهم القديمة في الحكم دون تدخل من الحكومة البريطانية أو الاتحاديين أو (أصحاب) عدن.

وتم ترتيب سكنتنا في دار الضيافة، التابع (للاستشارية). وفي حين استدعى المندوب السامي السلطان لمقابلته ذهب زوجته السيدة تورنبول لمقابلة زوجات السلطان، واسترخت أنا والحارس الشخصي، واستمتعنا بالهواء البارد وأشجار الليمون والنخيل التمر في حديقة دار الضيافة.

من دقيق طعام الذرة البيضاء السمراء، التي تنمو في الحقول المحيطة بالمدينة، يتم إعداد نوع لذيذ من الخبز الكامل، وقد قُدم لنا طعام جيد هناك المساء قبل أن نقوم بزيارة المدينة. كانت شبكة المجاري الداخلية بدائية، لكن عدداً من المنازل، بما في ذلك دار الضيافة، كانت تمتلك في الطابق الأرضي حمامات سباحة (برك) داخلية باردة ولطيفة.

وفي وقت مبكر من فجر اليوم التالي، قاد سعادة المندوب السامي مجموعة منا في جولة تسلق، بدأت من قاع الوادي، وانتهت في الجزء العلوي من الجانب الشديد الانحدار من الوادي. وصعدنا تدريجياً بين الصخور حتى بلغنا هضبة الجول العالية والعارية، المطلّة على المدينة، التي كانت لا تزال في لحظات الاستيقاظ. وكان الجو دافئاً في الأعلى في ضوء الشمس الساطع، وكالعادة، حدد سعادة المندوب إيقاعاً سريعاً للسير على طول الجرف، وعندما نظر للأسفل نلمح سكان البلدة

البعيدون وكأنهم نمل. لقد كانت تجربة رائعة؛ حيث استمتعنا بمشاهدة الوادي العميق وهو ينحدر عبر الصحراء، التي يفترض أن تكون واحدة من عجائب الدنيا. كان بإمكاننا القيام بالسباحة بعد نزولنا من الهضبة في الثامنة في ذلك الصباح، ولكن للأسف كان علينا الإسراع في تناول الإفطار، والقفز في سيارة اللاندروفر؛ للوصول إلى طائرتنا المنتظرة للعودة إلى عدن.

لقد كانت رحلتنا ممتعة، لكن كان علينا أن ندفع ركلة الجزاء. فمساء ذلك اليوم عدنا للمكلا، ولم نَذُق أنا والمندوب السامي والحارس الشخصي طعم النوم. وفي صباح اليوم التالي قاومنا التعب، وبدأنا نثني في المكتب، ونعاني مما يُعرف محلياً باسم "بطن المكلا". لقد كان مقر الحكومة بائساً طوال اليوم، وعانينا ثلاثتنا من العذاب، وتذمرنا بصمت، وحملت أنا إلى سريري في فترة ما بعد الظهر. لحسن الحظ كنا جميعاً أفضل في صباح اليوم التالي، وتوجهنا إلى ظهر إحدى السفن في الميناء؛ للحصول على قسط من الراحة، ومشروب هادئ في البار. وبالمقابل لم تكن السيدة تورنبول تعاني من شيء، وادّعت أنها لم تأكل شيئاً أبداً في أثناء وجودها في المكلا: لقد كانت حكيمة جداً.

* من المعلوم أن القات لم يكن يستهلك في حضر موت في ذلك الوقت، ويبدو أن "ديك إيبرلي" القادم من عدن قد اختلط عليه الأمر.

جهود الشيخ سيد إبراهيم البخاري في مجال العلم واللغة العربية في الهند



نُعَدُّ ولاية كيرلا إحدى أقدم الدول الأجنبية، التي اتصلت بالعرب. وتتميز عن الولايات الهندية كافةً بموقعها الجغرافي، ومكانتها المرموقة. ومن هذه الميزات الجغرافية أنَّها مُطَلَّة على البحر العربي، وغيرها من الميزات التي أدَّت إلى توطيد العلاقة بين كيرلا والعرب منذ سنوات مديدة. من أجل ذلك كانت اللغة العربية جزءاً من حياة أهالي كيرلا، خصوصاً لدى المسلمين؛ فقد اهتموا باللغة العربية في الدراسات الدينية؛ وغيرها، وقد ازدهرت عدد من الأعمال الأدبية والدينية على يد العباقر في ولاية كيرلا الهندية. لكن ممَّا يؤسف له أنَّ هذا الاهتمام قد قلَّ على مرَّ العصور والأيام بعد احتلال البريطانيين وغيرهم من المحتلين.

والجدير بالذكر أنَّ الشيخ السيد إبراهيم الخليل البخاري يبذل قصارى جهده لإعادة موجة اللغة العربية في ربوع ولاية كيرلا، بوساطة جامعة معدن الثقافة الإسلامية. فأسس معاهد مختصة باللغة العربية. وطلاب هذه المعاهد يتكلمون ويتخاطبون باللغة العربية حسب، ويعيشون في جوٍّ مليءٍ باللغة العربية. تعد جامعة معدن الثقافة الإسلامية التي تقع في ولاية كيرلا أكبر المؤسسات التعليمية في شبه القارة الهندية، تم تأسيسها سنة ١٩٩٧م على يد بعض الطلبة من مختلف الولاية. والجدير بالذكر أنَّ هذه الجامعة قد حظيت بشعبية جسيمة لدى مواطني الهند في فترة قصيرة وجيزة؛ لتميُّزها في مجالات عدَّة عن غيرها، كتميُّزها في المجالات التربوية والثقافية؛ قد قامت بدورٍ بارزٍ



أحمد جدير*



في تربية الأيتام والمعاقين والمتميزين عقلياً، وفئات المهمشين جميعها في المجتمع. وكان نمو الجامعة إعجازاً، وبدايتها مصادفة؛ لما قام مؤسس الجامعة سيد إبراهيم الخليل البخاري ببذل قصارى جهده لرفع مكانتها من قرية صغيرة إلى مستوى العالم. كانت بداية الجامعة مفاجئة؛ إذ لم تكن إلا حلقة علمية في رواق مسجد، تضمنت حوالي خمسين

طالباً، يتلقون العلم من فضيلة الشيخ سيد إبراهيم البخاري. تتكون هذه المؤسسة اليوم مما يقرب من أربعين معهداً، أهمها تحت رعاية الشيخ سيد البخاري.

ألف سيد البخاري كتباً عدة في اللغة العربية في فنون شتى، بما فيها الحديث والتاريخ والدراسات.

يُعدُّ سيد إبراهيم البخاري عالماً دينياً، وداعياً إسلامياً، ومفكراً مستنيراً، ومحاضراً متفتناً. زيادة على ذلك أنه أحد أشهر العلماء المسلمين، وأعلام الفكر الإسلامي بالهند. اختير ضمن ٥٠٠ شخصية مسلمة أكثر تأثيراً في العالم. يقوم بالمشاركة قي قمة المنتدى ٢٠ سنوياً، ممثلاً لجامعة معدن الثقافة الإسلامية في المحافل الدولية. وقام بتسليم جائزة تقديرية للسيد بانكي مون الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة على مبادراته القيمة لانتشار السلم على مستوى العالم. وما يزال فضيلته يقوم بالثورة التعليمية، وبخدمات جليلة لأفراد المجتمع كافة على مستوى الدولة، ويشارك في مؤتمرات دولية في الوقت نفسه.

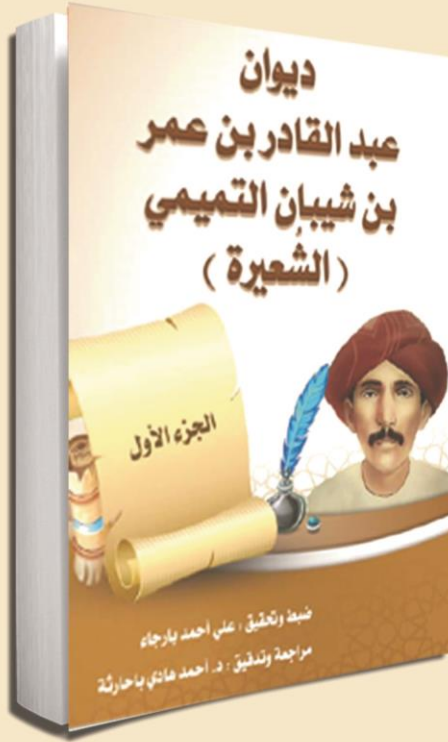
✽ باحث في جامعة معدن الثقافة الإسلامية، الهند.



كلية الأكاديمية العربية، وكلية الشريعة الإسلامية، وكلية العلوم والآداب، والمراكز لتدريب اللغات العالمية، وفي مقدمتها اللغة العربية، وبعدها اللغات الرسمية، في هيئة الأمم المتحدة، بما فيها الإنجليزية والألمانية وغيرها. الجدير بالذكر أنها تسهم إسهاماً فاعلاً في كفالة المعاقين والفئات المهمشة كافة في المجتمع. ويدرس في أروقة هذه المؤسسة أكثر من ألف طالب. هذه الأنشطة الخيرية للجامعة



اتساع المحبة وصوفية التناول



قراءة في قصيدة الشاعر عبدالقادر الشعيرة:

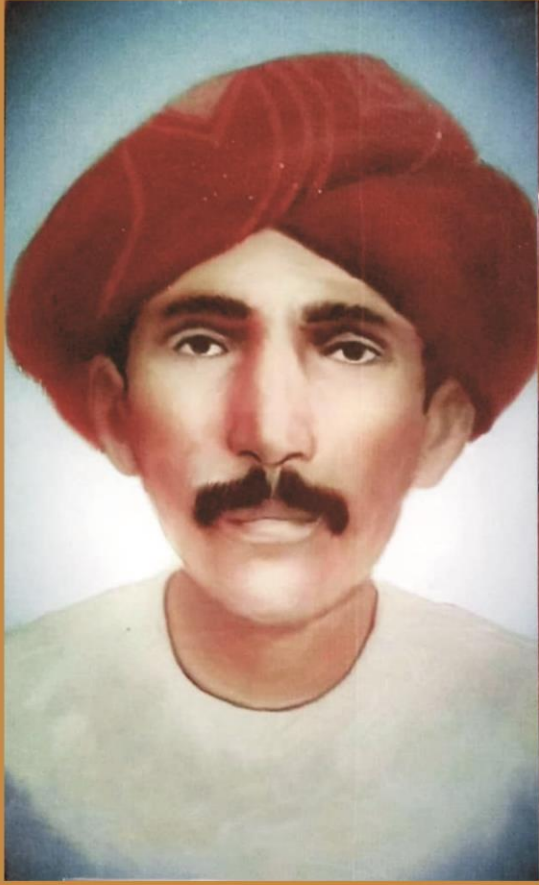
(هام قلبي وضاع العقل من باريده)

مقدمة:

اطلعتُ على ديوان الشاعر عبد لقادر الشعيرة الذي صدر بجزأين هذا العام^(١)، وقرأت فيه نماذج من الشعر الفصيح، الذي يمثل نسبة قليلة من ديوانه، كما قرأت نماذج من شعره العامي، أما شعره الفصيح ففيه أخطاء كثيرة في الأوزان والكلمات والمعاني والتشكيل، بعضها يستسيغه نظم الشعر ومعالجة معانيه، وبعضها لا يستسيغه فيهبط به عن التحليق في سماء الجودة والجمال، وأعتقد أن الأستاذ علي بارجاء - رحمه الله تعالى - لم ينته بعد من ضبط الديوان وتحقيقه بشكل نهائي يرضى عنه ويطمئن، ورغم الجهد الذي بذله الدكتور أحمد باحارثة مشكوراً في المراجعة والتدقيق فإن هناك كثيراً من الأخطاء والهفات والكلمات والمناطق تنتظر التحقيق والتدقيق غير تلك



أ.د. أحمد سعيد عبيدون



الشاعر/ عبدالقادر عمر التميمي (الشعيرة)

والجميل أنه عند هذا المفصل من الأبيات يتحول من خطاب التكلم (قلبي، عيوني، مشهدي، أنا)، إلى خطاب الغيبة، فكأنه قد تشبع من إدراك نفسه وأفعاله بالقلب والعقل، فلما غاب عنه الحضور صار يرى نفسه شخصاً آخر، ويجرد من ذاته ذاتاً أخرى، يستطيع وصفها ومراقبتها ورؤيتها منفصلة عنه، وكأن اسمه اسم شخص آخر يراه ويراقب حركته وهو يتنقل من مكان إلى مكان: (ذا مسيكين بن شيان لي به يسده)، (بن عمر بن مبارك لي ذكر أهل وده)، (وسط كبده)، (هام قلبه)، ورغم أن المحقق اختار الرواية: (يا مسيكين) بدلاً من (ذا مسيكي) في النسخة: ج فإنه كما يبدو قد تردد الشاعر وحار بين التعبيرين بالدعاء والإشارة، فكلاهما يكشفان عن تجريد

المواضع التي أشار إليها في الهامش، وأرجو أن يُقدّم الديوان من جديد لإعادة تحقيقه في جامعة سيئون في قسم اللغة العربية؛ ليكون موضوع رسالة لأحد طلابنا لإعادة ضبطه وتدقيقه ومراجعته وتحقيقه، أما قسمه الآخر في الشعر العامي، وهو الذي يحتوي النصيب الأوفر من الشعر، فهو الشعر الذي يميز الشاعر بحق، ويعطيه صفة المبدع، وهو الشعر الذي أبدع فيه وبرز بشكل يدهش القارئ، ويستجلب اهتمامه وإعجابه. يبقى التشكيل الموجود في الشعر العامي حذالو خُفّ قليلاً، وتم الاقتصار فيه على الكلمات الغامضة؛ لأن كثيراً من الكلمات التي شكّلت نحابها نحو الفصحى، في حين يعرف الناس نطقها على الطريقة العامية، ككلمة (هنا) التي وردت مشكّلة بالضمّ وحققا أن تشكل بالكسر كما هو النطق العامي لها، أو أن تبقى من غير تشكيل؛ فهي معروفة، ولن يخطئ القارئ في قراءتها. وقد اخترت من الديوان قصيدة في الحب والغزل، تميز التناول الغزلي فيها بالانفتاح والاستفادة من كل تجارب الغزل التي سبقته، وسوف نحاول كشف هذا الاتساع واكتشافه من خلال هذه القراءة لقصيدته، التي مطلعها: (هام قلبي وضاع العقل من بايرده)^(٢).

اتساع المحب:

أعني باتساع المحب أنه يفتقد الثبات والتماسك والاستقرار في مكان وزمان واحد؛ بسبب ضغط الحب وثقل معاناته، وهو أمر يزيد من فنية الحركة في القصيدة، وهو ما نراه في هيام القلب وضياح العقل: (هام قلبي)، (ضاح عقلي)، وفي ذهاب الجسم عن ثباته واتزانه إلى كل اتجاه: (هايم بلا عقل نده)، وفي وجوده في أكثر من مكان: (سير في كل بلده)، وهذه كلها هي صفات المحب المجنون.



د. أحمد باحارثة



الأستاذ أحمد بارجاء

شخص آخر يحتاج للنداء والإشارة إليه عطفًا وحنانًا ومشاركة وجدانية للحالة التي يعيشها يؤكد ذلك بالتصغير: (مسيكين)!

تركز القصيدة في جزئها الأول بصورة واضحة على المتكلم وتجعله محور الحديث، أكان في حالته الأولى قبل الالتفات والتجريد أم بعدها، وهي حالة تجعل للوظيفة الانفعالية حضوراً واضحاً⁽³⁾، كما تجعل من الأحداث

المسندة للذات المتكلمة والكلمات الدالة

عليها أحداثاً مضاعفة الفعل والتأثير مرتين: مرة على سبيل (الخصوص)، ومرة على سبيل (العموم): (هام قلبي / ضاع العقل)، (في عيوني / في مشهدي)، (مكة / جدة)، (بن عمر بن مبارك / بن شيان)، (شبت اكيار حمرا / أشعلت ألف وقدة)، (ضيقة / سدة).

اتساع المحبوب:

في هذه القصيدة لا نجد جهة واحدة للمحبوب الذي يتجه نحوه خطاب الحب؛ بل نجد جهات مختلفة، كلها تجعل الحب أكثر انفتاحاً واتساعاً، يتجاوز الشخص إلى الزمان والمكان، ويتجاوز المحبوب إلى الآخر الإنسان، نجد المحبوب يكتسب بعداً دينياً (مكة / جدة)، فهما مهوى القلوب ومحط الأفئدة، ثم نراه يكتسب بعداً غزلياً جمالياً يأخذ من قاموس الغزل الحسني والعذري معاً، لكنه يفتحه على صور وكنيات ذات بعد كوني شامل ومتسع، فهو: (محبوب / منسوع جعده / تام الأوصاف / مدته يا خير مدة / البدور الطوالع كلها فوق خده / النجوم الزواهر لي تضي فوق عقده / السيول القوية من بروقه ورعه. ثم: كامل الزين / حبيب القلب)، ثم نراه يطلب

من المحبوب أن يفتح له الدار، ويفتح له فيه (ضيقة وسدة)، ثم أن (يفتح له الدار كله)، ثم لا يجعله يقتصر في فتحه على المحب وحده؛ بل يفتح داره على كل من جاء يقصده / (وافتح الباب كله من وصل لا ترده)، ثم يماثل ويقتدي في بابه بباب الرجاء في الله تعالى المفتوح دائماً على عباده / (تحت باب الرجا مفتوح والعبد عبده)، ثم لا يقتصر على الوصال من حبيبه فقط، بل يدعو لكل حبيب أن يجتمع مع من يحب وأن يقرب منه / (من بعد من حبيبه قرب الله بعده)، ثم يؤول الحب إلى المودة والتواصل والصفو والتآلف بين الناس في كل مكان / (كأس خمر الوفا به خضرت كل فنده). هكذا يتسع الحب والمحبوب في دوائر أكبر وأكبر؛ فالمحب يتصل بمحبوبه، وبكل محب، وبكل إنسان، والمحبوب كريم يتسع لمحبه ولكل محب، ولكل إنسان يقصده من أي مكان في وحدة واحدة على التواصل والقرب والوداد، ومن هذه الوحدة الإنسانية ينبع المعنى الصوفي في القصيدة، معنى وحدة الإنسان والزمان والمكان.

لقد وردت الإشارة إلى الحب بألفاظ مختلفة ومتسعة: الود / الزين / حبيب القلب / عذب / الحبيب / القرب / الوصل / الصفاء.



**أما قسمه الآخر في الشعر
العامي، وهو الذي يحتوي
النصيب الأوفر من الشعر،
فهو الشعر الذي يميز الشاعر
بحق، ويعطيه صفة المبدع،
وهو الشعر الذي أبدع فيه
وبرز بشكل يدهش القارئ،
ويستجلب اهتمامه وإعجابه**

فلعل فتح باب الدار يفتح باب الرجاء لهذا العبد الواقف
تحتة، وحينئذ يتحد المكان المطلق بالزمان المطلق في
معية متصلة بالله تعالى:

تحت باب الرجا مفتوح والعبد عبده

اتساع اللغة الشعرية:

تقوم اللغة في القصيدة على نظامين متآلفين: نظام التجاور
الأفقي، ونظام الاستبدال العمودي، في النظام الأول نجد
اللغة تتكامل وتترادف وتنسجم في دلالات متجاورة ومتقاربة:

العقل والقلب / الهيام والضياح / العيون والمشهد/
شبيان وابن عمر بن مبارك / شبت واشعلت / الأكيار
والوقدة / البدور والنجوم / الخد والعقد / البروق
والرعد / شدة وعدة / ضيقة وسده / باب الدار وباب
الرجاء / شنف واطف /

وقد تمت الإشارة إلى بعضها سابقاً من زاوية الخصوص
والعموم.

أما محل الحب ومكانه فقد وردت فيه ثلاثة مواضع:
القلب / والعقل / والكبد في مقامات مختلفة: فللقلب
الهيام، وللعقل الضياح، وللكبد الحرارة والنيران. أما
الجسم فقد صار نحيفاً ضعيفاً يتمايل، تحرّكه الأقدام
لتأخذه إلى كل مكان.

اتساع الزمان والمكان:

الزمان في هذه القصيدة زمن مفتوح بين المحب والمحبوب
ما دام الحب يجمع بينهما، وما دام اللقاء مفتوحاً على
التمني والرجاء، والزمن غالباً منضبط محدد بالساعات
والليالي والأيام، ومدرّك بالعقل، فإذا كان المحب قلبه
هائم، وعقله ضائع، وجسمه يذهب في كل اتجاه فهو إذن
زمن مفتوح ومطلق من كل قيد، زمن لا يعرف القيود ولا
الحدود، تلك التي يضبطها العقل، فهو يسير هائماً، يرتمي
في حركته في هذا الاتجاه وفي ذاك:

سير قد لي زمن هايم بلا عقل ندّه

ويتصل المكان بهذه الصفات المنفتحة والمطلقة للزمان،
فهو مكان ورد في البداية في كلمتي (مكة وجده)، وهما مكانان
ينتميان في تقاربهما وتجاورهما إلى خصوصية مكة
ومركزيتها وإلى زمنها القديم والمطلق والمستمر، وحين
نرى مكان المحبوبة هنا فإننا نجده مقترناً بالمكان العلوي
في السماء؛ فهي مرتبطة بالبدور والنجوم والبروق والعود
والسيول، فهو مكان سماوي مطلق كذلك.

حتى الدار التي ذكرها بوصفها مكاناً للمحبوبة فقد طلب
منها أن تكون مفتوحة أبوابها، التي عبر عنها بـ (ضيقة
وسده)، ثم طلب أن تفتح الدار كلها لكل من يقصدها
ويرد عليها محبوباً كان أم غير محبوب:

وافتح الدار كله من وصل لا ترده



نص القصيدة

وله رحمه الله في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ

هام قلبي وضاع العقل من بايرده
سير قد لي زمن هايم بلا عقل ندّه
في عيوني وفي مشهدي مكة وجده
والله أنا مهايم سير في كل بلده
(يا) مسيكن بن شيان لي به يسده
بن عمر بن مبارك لي ذكر أهل ودّه
شبّت اكيار حمرا كلها وسط كبده
واشعلت من مقابيس الهوى ألف وقده
من هنا هام قلبه عند منسوع جمعه
تام الاوصاف لي مدّته يا خير مده
والبدور الطوالع كلها فوق خدّه
والنجوم الزواهر لي تضي فوق عقده
والسيول القوية من بروقه ورعه
كامل الزين درّت به ضرور الموده
شدّوا الهجن ما ذا الحين شدّه وعده
فك لي يا حبيب القلب ضيقه وسده
وافتح الدار كله من وصل لا ترده
تحت باب الرجا مفتوح والعبد عبده
من بعد من حبيبه قرب الله بعهده
من هنا مدّ حبل الوصل يا زين مده
شّف الكأس با اشرب واطف نيران كبده
كأس خمر الصفا به خضرت كل فنده

الهوامش:

(١) ديوان عبدالقادر بن عمر بن شيان التميمي (الشعيرة)، ضبط وتحقيق: علي أحمد بارجاء، مراجعة وتدقيق: د. أحمد هادي باحرارة، الطبعة الأولى:

١٤٤٤-٢٠٢٣، مركز تريم للدراسات والنشر.

(٢) ينظر المصدر السابق ج: ١، ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧.

كما نجد التراكيب عبّرت عن المعاني بمجموعة من
الكنايات التي توسّع المعنى الواحد إلى دوائر مختلفة من
الدلالات التي تظل تتسع وتتسع:

- (بلا عقل ندّه) كناية عن الجنون والتمايل في الحركة
وعدم الاتزان.

- (لي به يسده) كناية عن الفقر والكفاف في العيش.

- (شبّت اكبار حمرا كلها وسط كبده) كناية عن حرارة
العشق وآلامه.

- (مدته يا خير مده) كناية عن الطول الكريم والجميل.

- (البدور الطوالع كلها فوق خده) كناية عن البياض والإضاءة.

- (النجوم الزواهر لي تضي فوق عقده) كناية عن جمال
اللمعان وزينته.

- (والسيول القوية من بروقه ورعه) كناية عن بياض
الأسنان وحسن الصوت وحلاوة الريق وعذوبته.

- (شدوا الهجن) كناية عن التأهب والتهيؤ والاستعداد.

- (فك لي يا حبيب القلب ضيقة وسده) كناية عن سعة
الكرم وحسن الاستقبال وكثرة الضيوف.

أما النظام الثاني نظام الاستبدال العمودي فتكون الاستعارة
أساساً فيه /

- (مقابيس الهوى) جعل الهوى ناراً تقبس.

- (درّت به ضرور المودة) المودة حليب أبيض يرضعه
المحبون من أم واحدة.

- باب الرجا / حبل الوصل / خمر الصفا.

وكلها استعارات على أمل الوصول وقوة الوصل ولذة

التصافي والاتصال الحميم بالناس.

وهكذا تتسم هذه القصيدة بخصيصة الاتساع في المحبة،

ووحدة في الزمان والمكان والإنسان، وصوفية في اتجاه

الإنسان موحداً نحو الله تعالى.



تشكيلات الحزن في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي وأبي فراس الحمداني، مرحلة الأسر أنموذجاً



دراسة مقارنة

بالجراح قبل أسره، وتكبد مرارة المرض في محبسه، وقد كانت مدة الأسر لكلٍ منهما متساوية، غير أن أبا فراس تم إطلاق سراحه، أما المعتمد فقد مات أسيراً في منفاه البائس. وقد كان لقصائدهما في تلك المرحلة تأثير بالغ في تشكيل الحزن، ورسم آلامه، واستقراء تنوع انكساراته، وتتابع زفراته المحرقة، هذا ما جعلنا نقارن بين تلك الأشعار، ونرصد تشكيلات الحزن فيها.

ونفتتح المقارنة بينهما من قول المعتمد بن عباد عندما هاجم المرابطون عاصمة ملكه، وحاصروه في قصره سنة ٤٨٤ هـ، وقد كان أشار عليه وزراؤه بالخضوع والاستعطاف، فخرج مدافعاً عن نفسه وأهله وأخذ يقول^(١):

ما تماسكت الدموع وتنبه القلب الصديع
وتناكرت هممي لما يستامها الخطب الفظيع
قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضوع على فمي السم النقيع
إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الجموع
لم أستلب شرف الطباع أيسلب الشرف الرفيع
ما سرت قط إلى وكان من أمني الرجوع
شيم الألى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع



شفيق علي القوسي

من يقرأ الأدب العربي القديم، يجد في قصائد الكثير من الشعراء تشابهاً كبيراً، سواء كان في صورهم الشعرية أو في موضوعاتهم المتنوعة، بيد أن هناك بعض الشعراء تساوت تجربتهم الشعرية من خلال محنة ما تجمع بينهم، ومن أولئك الشعراء، الشاعران الكبيران، والعلمان الشاخوان، الملك الشاعر / المعتمد بن عباد الإشبيلي المتوفى ٤٨٨ هـ، والأمير الشاعر / أبو فراس الحمداني المتوفى ٣٥٧ هـ؛ إذ نلمح في قصائدهما إبان مرحلة الأسر تشابهاً كبيراً، فكلاهما كان لهما المجد في موطنه؛ المعتمد ملكاً، وأبو فراس أميراً، وكلاهما وقع في الأسر، وقد خلفا عدداً من القصائد البديعة، والمقطوعات المؤثرة في وصف الأسر ومحنه المظلمة، فكل واحد منهما أنخن



هذا النص يتفق مع قول أبي فراس عندما وقع أسيراً في أيدي الروم بعد أن طالبه أصحابه بالفرار^(٢):

وقال أضحابي الفرار أو الردى

فقلت هما أمران أحلاهما مر

ولكنني أمضي لما لا ي عيني

وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

فلا خير في دفع الردى بمذلة

كما ردها يوماً بسوءته عمرو

نلاحظ تشابه المعاني بين النصين، فكلاهما تنضح منه النفس الأبية العريضة الراضية للتولي والفرار، بل حتى الاستسلام، وقد فضّل كل واحد منهما الموت على ذل الخضوع، وقهر اليأس، على الرغم من أن المعتمد أسرّ هو وأسرته، وخلع من ملكه وسلطانه، أما أبو فراس فقد تمّ أسره في سرية فرسان في إحدى ضواحي منبج، ومع ذلك تظل نفس العربي أبية جاحمة، لمحننا ذلك في النصين السابقين لكلا الشاعرين.

وقد جاء نص المعتمد على تفعيلات مجزوء الكامل المرفل "متفاععلن متفاعلاتن"، حيث بدا الإيقاع أكثر رونقاً، وأرقّ وقعاً من مقطع أبي فراس، الذي جاء على وفق تفعيلات البحر الطويل ذي النفس الطويل، والمقاطع الكثيرة، كما أن المعتمد استخدم تقنية الازدواج الصوتي عبر تناوب حري في القافية "الياء والواو"، ما أعطى النص بُعداً نفسياً، وتناعماً إيقاعياً، ينفصل النص بحركة دؤوبة تخلق القدر الكافي من الشعرية. وفي نص آخر يقول المعتمد^(٣):

بكيت إلى سرب القطا إذ مررت بي

سوارح لا سجن يعوق ولا كبل

ولم تك واللّه المعيد حسادة

ولكن حينئذ إن شكلي لها شكل

فاسرح لا شملي صديق ولا الحشا

وجيع ولا عينا يبيكيهما ثكل

هنيئاً لها إن لم يفرق جميعها

ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل

وإن لم تبت مثلي تطير قلوبها

إذا اهتزّ باب السجن أو صلصل القفل

لنفسى إلى لقيا الحمام تشوف

سواي يحب العيش في ساقه كبل

ألا عصم الله القطا في فراخها

فإن فراخي خانها الماء والظل

نلاحظ هذا النص يتماثل صياغة وإيقاعاً مع نص أبي فراس وهو يخاطب حمامة في سجنه، ويبتها همومه قائلاً^(٤):

أقول وقد ناحت بقربي حمامة

أيا جارتا هل بات جالك حالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى

وما خطرت منك الهموم ببالي

أتحمل محزون الفؤاد قوادم

على غصن نائي المسافة عال

أيا جارتا من أنصف الدهر بيننا

تعالى أقاسمك الهموم تعالي

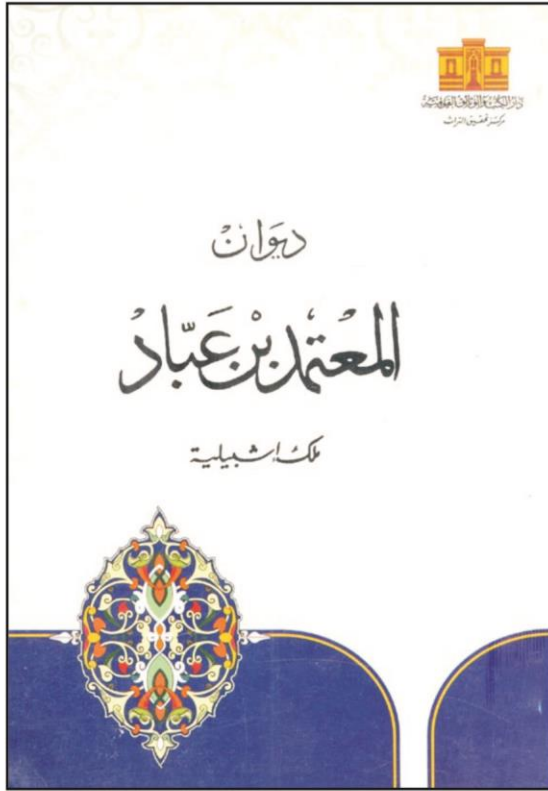
أيضك مأسور وتبكي طليقة

ويسكت محزون ويندب سال

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة

ولكن دمعي في الحوادث غال

ونجد التشابه إلى حد كبير بين النصين السابقين يكاد يكون جلياً، فالمعتمد يتمنى أن يكون كسرب القطا؛ كي ينطلق محلّقاً بلا أغلال ولا قيود، وأبو فراس يخاطب حمامة على غصن، ويريد أن يقاسمها همومه؛ لأنه كما يقول أولى بالدمع منها غير أن دمعه غال إذا دهسته الحوادث. بيد أن الحزن الراعف يتشظى بقوة في نص المعتمد؛ فقلبه يطير إذا سمع باب محبسه أو حتى



طلب من النجوم أن تبكي معه لفقد وكدّه، وهنا يبرز ما يسميه النُّقَّاد: (المعادل الموضوعي)؛ حيث سعى الشاعر إلى إضفاء ما يتباهى على ما يعادله أو يساويه في حزنه وشكواه، ولا يوجد مثل الطيور معادلاً لحالة شاعرنا، فهو حزين بائس أسير يتوق للحرية والانعتاق، والتحليق والانطلاق، كحال الطيور في جوّ السماء. والنص السابق يتفق مع نص أبي فراس (أراك عصي الدمع) وزناً وقافيةً، بل وحتى مضموناً وسباقاً، وهذا لا يُعدُّ غريباً إذا ما أخذنا في الاعتبار أن المعتمد متأخر زمنًا وأحدًا عن أبي فراس، ولا غرو إن تأثر المعتمد بأبي فراس في هذه القصيدة؛ لأنها قصيدة ذائعة الصيت، سارت بها الرُّكبان، وتحدث عنها الزمان، والمعتمد بائس حزين ولا بأس إن التمس من تلك القصيدة زاد الأسى وماء التفجع.

وقد أثار النصّان السابقان فينا انتباهاً عجبياً، لما فيها من وزن متناغم، ودفق إيقاعي لافت، ليكوناً معاً سلسلة متصلة الحلقات لا تنبؤ إحداها عن مقاييس الأخرى؛ لأن الكلام الموزون ذا النغم الإيقاعي المتدفق تشبّه القلوب قبل الآذان، وتحقق له المشاعر، وتطرب له الخواطر. لذلك كان الإبداع الفني في جانبه

قفّل الباب يتحرك!! حتى أنه تمنى الموت؛ لأنه لا يطيق العيش حبيساً، كما أن حُرْنه على ملكه وأهله كبير، بدليل قوله: (فإن فراخي خانها الماء والظل) كناية عن أبنائه واسرته التي باتت تعاني الأمرين في ظلمات سجن أعماق. وهذا يذكرنا بنص الخطيئة وهو يعتذر لسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه بقوله (٥):

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفرُ عليك سلام الله يا عمر

ولم يكتف المعتمد بذلك بل أخذ يصف قمريةً أمامها طائران يغردان في دعة وعدوبة (٦):

بكت إن رأت إلفين ضمهما وكر

مساءً وقد أحنى على إلفها الدهر

بكت لم ترق دمعاً وأسبلت عبرة

يقصر عنها القطر مهما همى القطر

وناحت فباحث واستراحت بسرّها

وما نطقت حرفاً يبوح به سرُّ

فما لي لا أبكي أم القلب صخرة

وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر

بكت واحداً لم يشجها غير فقده

وأبكي لآلاف عديدهم كثر

بني صغير أو خليل موافق

يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر

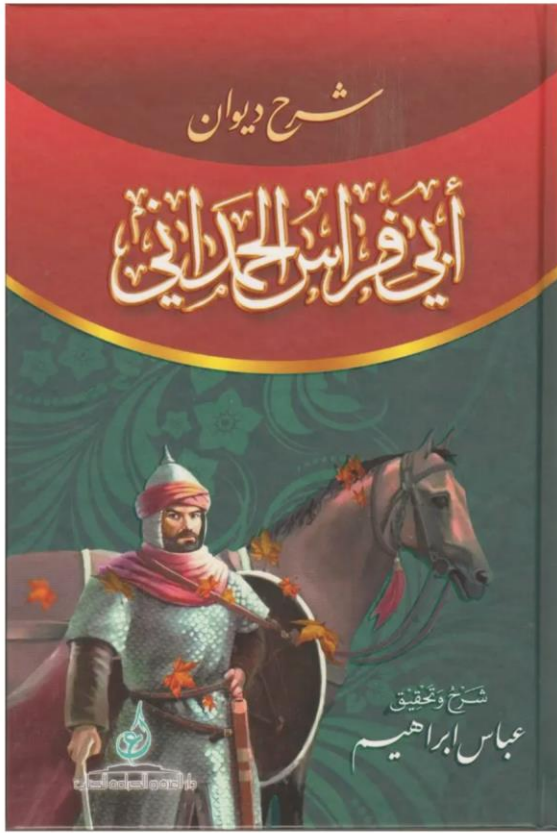
ونجمان زين للزمان احتواهما

بقرطبة النكداء أو رندة القبر

فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي

لمثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

إن الحزن يكاد يقفز من هذه الأبيات، كما أن الأسى يقطر حسرة، ونحن نقرأها؛ حيث وفق المعتمد في اختيار تفعيلات البحر الطويل التي تساعد على تصوير الحزن واستيفاء عناصره، ليتشكّل البكاء المر والجزع الشديد من هول الفاجعة وفداحة المصير. ذلك يتجلى من خلال: (وأسبلت عبرة، فما لي لا أبكي، وأبكي لآلاف)، وتصوير هول المصائب لفقد الأبناء، حتى إنه



الحدسي وجانبه التعبيري متصلًا بالحالات الشعورية والانفعالات والوجدان والعواطف؛ لأنه ما من عمل فنيٍّ يستجيب له الفكر إلا وله أصوله النفسية، بمعنى آخر: وجود منبه أو باعث أو مثير يثير الوجدان فيؤدي إلى الانفعال. وفي تشكيلات الحزن لدى الشاعرين نجد مشيرات متعددة، منها على سبيل المثال: مجيء العيد وهما مكبلان بالقيود، تعلوهما الحسرة، وتقطع كبديهما آلام الأسر؛ إذ يقول المعتمد عندما دخلت بناته ليهنئنه بالعيد، وآهن حسيرات بئسات، حافية أقدامهن، خاشعة أبصارهن، في موقف يطيش العقل منه حزنًا وألمًا^(٧):

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فساءك العيد في أغمات مأسورا

ترى ببناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكًا وكافورا

لا خد إلا تشكى الجذب ظاهره

وليس إلا مع الأنفاس ممطورا

أفطرت في العيد لا عادت إساءته

فكان فطرك للأكبـاد تفتيرا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً

فردك الدهر منهياً ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به

فإنما بات بالأحلام مغرورا

أما أبو فراس فيقول في حسرة وحزن، وقد أدركه العيد وهو في محبسه^(٨):

يا عيد ما عدت بمحبوبٍ على معنى القلب مكروبٍ

يا عيد ما عدت إلى ناظرٍ من كل حسن فيك محبوبٍ

يا وحشة الدار التي ربها أصبح في أثواب مربوبٍ

قد طلع العيد على ربها بوجه لا حسن ولا طيبٍ

مالي وللدهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيبٍ

والشاعران يتفقان في تصوير أحزانها، وبث آلامها، مع أول عيد يطل عليهما وهما يرسفان في القيود، فلا أهل ولا عز، لا مجد ولا سعادة. إلا أن نص المعتمد كان الأكثر حزنًا، والأشد وقعًا، فإذا كان أبو فراس وحيداً في الأسر، فإن المعتمد معه أهله!!، ويا لهول الصدمة، وفداحة الفاجعة، عندما يرى بناته في تلك الصورة البائسة الحزينة وهنَّ بئسات حسيرات، جائعات، خاشعات البصر، كأنهن لم يطأن المسك والكافور!!^(٩)، ولم يتمتعن بالخطوة والسرور!!!، وكم كان قوله: (فكان فطرك للأكبـاد تفتيرا) ملائمًا في استدعاء كل عناصر الأسى والندم، واستقصاء كل مناحي الوصف الدقيق لتلك الحالة المؤلمة.

كما اتفق الشاعران في شد انتباه القارئ عبر تقنية (الازدواج الصوتي)^(١٠) من خلال تعاقب حرفي القافية: الواو والياء، في نص المعتمد: مأسورا، قطميرا، مكاسيرا، كافورا...، وفي نص أبي فراس: مكروب، محبوب، مربوب، طيب، بالأعاجيب...، هذا أعطى النصين السابقين بُعدًا إيقاعيًا متناغمًا، وحقَّق لهما قدرًا كبيراً من الجمال الفني، على الرغم من أن قافية المعتمد رويها



الحضور الإيقاعي لدى الشاعرين في تصوير الانفعالات،
وتفسير عذابات الضمير الملتهبة.

ومن تشكيلات الحزن عند الشاعرين: رثاء الأقارب، حيث
ورد على أبي فراس وهو في الأسر نبأ وفاة أبي المكارم ابن سيف
الدولة سنة ٣٥٤ هـ، فاشتدَّ جزعه على ابن أخته، وأرسل
قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة، وقد استهلّها بالدعاء لسيف
الدولة بطول العمر ونعته بالصبر والجلد فقال (١١):

يا عمر الله سيف الدين مغتبطاً

فكل حادثة يرمى بها جمل

من كان عن كل مفقود لنا بدلاً

فليس منه على حالاته بدل

يبكي الرجال وسيف الدين مبتسمٌ

حتى عن ابنك تعطى الصبر يا جبل

لم يجهل القوم منه فضل ما عرفوا

لكن عرفت من التسليم ما جهلوا

ويُظهر أبو فراس على الأمير الفقيد شتّى ضروب اللوعة
والحزن والتفجّع، ولا غرو في ذلك؛ فالفقيد يمتُّ بصلة قريبة
إليه، كما أن أسر الشاعر وبُعده عن الأهل والوطن أضفى على
نفسه كآبة ووحشة، وفي ذلك يقول (١٢):

هل تبلغ القمر المدفون رائعة

من المقال عليها للأسى حلّ

ما بعد فقدك في أهل ولا ولد

ولا حياة ولا دنيا لنا أمل

يا من أته المنايا غير حافلة

أين العبيد وأين الخيل والخول؟

أين الليوث التي حوليك رابضة

أين الصنائع أين الأهل ما فعلوا؟

أين السيوف التي يحملك أقطعها

أين السوابق أين البيض والأسل؟

وقد جاء إلى أبي فراس وهو أسير نبأ موت أمه؛ فرتاها بقصيدة
تفيض لوعة وحزناً، تعبر عن ألمه العميق، وحزنه العميق، ويسدو
تأثره واضحا في ترديد الدعاء بالسقيا لجدتها حيث يقول (١٣):

راء متبوع بألف الإطلاق، وقافية أبي نواس رويها باء مكسور،
وكلاهما توحيان الحزن والألم، وحب التحرر والفكاك من الأسر.

وقد كان أبو فراس موفقاً في اختيار حرف الباء رويًا لنصه
السابق؛ فالباء حرف شفوي انفجاري، يأتي في حالة إغلاق
الشفيتين، ثم فتحتها فجأة، ومن المعروف أن الباء من حروف
القلقلة عند علماء التجويد والقراءات، والأصوات المتقدمة
في الفم توحى بالاستصغار والازدراء، أما الجر: فيفيد الانتقاد،
والإلحاق، ولعل هذا ما قصده أبو فراس من ازدراء الأسر،
والقلق من تأخر ردّ ابن عمه سيف الدولة.

كذلك نلمح توفيق المعتمد الذي اختار الراء المفتوح المتبوع
بألف الإطلاق رويًا لنصه، وما لهذا الحرف من صفات كالتكرير
والاضطراب، وهو ما يترجم تلك الحالة القائمة المرعبة التي
يعايشها المعتمد، من خوف دائم، وقلق مستفز، وخاطر مضطرب،
وما حضور ألف الإطلاق إلا دليل واضح على رغبة الشاعر
في التحرر والانعقاد، والانطلاق بعيداً من القهر والوصب.

ولما كان الشعر صناعة، فقد أجاد الشاعران في إقامة الوزن،
وتخير الألفاظ، وانتقاء المخارج المعبرة عن الحالة الشعورية،
بما يؤكد على أن الإبداع الفني يتصل في جانبه التعبيري
بالحالات النفسية للشعراء والمبدعين، عبر المؤثرات المتعددة،
التي تذكى العواطف، وتؤجج المشاعر، وهذا ما لمحناه في النصين
السابقين من تصوير المأساة في أول عيد يطل على الشاعرين
وهما في غياهب السجن.

كما أن التحول الإيقاعي في النصين السابقين سار وفق منظومة
من الحركات الإيقاعية المتناغمة، وهو ما خلق الحيوية والدينامية
في البنى السياقية بما يتفق مع الحركة الداخلية للنص، في تتابع
نسقي بديع، يسمح بتوليد دقات شعرية، تفيض عذوبةً
وجمالاً. وذلك نلاحظه من خلال تناوب التفعيلات في النصين
السابقين، فتفعيلات البحر البسيط: تتحول من مستفعلن إلى
متفعلن في نص المعتمد، وفي نص أبي فراس: تتحول تفعيلات
البحر السريع: مستفعلن أيضاً إلى متفعلن ومستعلن. بما يجسد



” إن أوجه التشابه بين المعتمد
بن عباد الإشبيلي، وأبي فراس
الحمداني في محنة الأسر، كان
لها الأثر البالغ في ظهور عددٍ
من الصور المتشابهة بينهما،
من خلال الموضوعات الشعرية،
وتشابه المعاني والمفردات
اللغوية، وتقارب الصور البيانية
والأساليب البلاغية، بل وحتى
الإيقاع وموسيقى الشعر “

أيا أمَّ الأسير سقاك غيثُ بكرة منك ما لقي الأسير
أيا أمَّ الأسير سقاك غيثُ تحير لا يقيم ولا يسير
أيا أمَّ الأسير سقاك غيثُ إلى من بالفدا يأتي البشير
أيا أمَّ الأسير لمن ت ربي إذا مت الذوائب والشعور

ويحرم على نفسه أن يكون هادئ البال، مرتاح النفس، بعد أن
لبت أمه نداء ربه، حيث يقول (١٤):

حرام أن يبيتَ قرير عينٍ ولؤم أن يلم به سرور
وقد ذقتِ المنيا والرزايا ولا ولدٌ لديك ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكانٍ ملائكة السماء به حضور

ويمزج بين البكاء على أمه، وبين الحديث عن مناقبها
كالساح، والتقوى، والأخلاق الكريمة، فيقول (١٥):

ليبيك كلُّ يوم صمتٌ فيه مصابرةٌ وقد حمي الهجير
ليبيك كلُّ يوم قمّت فيه إلى أن يبتدي الفجر المنير
ليبيك كلُّ مضطهدٍ مخوفٍ أجرتيه وقد قلَّ المجير
ليبيك كلُّ مسكينٍ فقيرٍ أغثتیه وما في العظم زير

ويرسل الشاعر ذوب نفسه، ونفثات حشاه الجريح،
وصبايات قلبه الراعب بالحزن والأسى، حتى نكاد نسمع
نشيح بكائه عندما يقول (١٦):

أيا أمّاه كم هم طویل مضى بك لم يكن منه نصير
أيا أمّاه كم سرّ مصون بقلبك مات ليس له ظهور
أيا أمّاه كم بشرى بقربي أنتك ودونها الأجل القصير
إلى من أشتكى ولمن أنلجي إذا ضاقت بما فيها الصدور

أما المعتمد، فقد بثَّ كل الحزن لديه وهو في أسره، في ضوء
الآلام التي سيطرت على خواطره، واستحوذت على أفكاره،
لذلك نجده يرثي ولديه: المأمون الذي قتل في قرطبة سنة
٤٨٤ هـ والراضي الذي قتل في رندة بعده بأيام، حيث يقول (١٧):

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
هو الكوكبان الفتح ثم شقيقه
يزيد فهل عند الكواكب من خبر
ترى زهرها في مآتم كل ليلة
تخمش لهفاً وسطه صفحةً البدر

ينحني على نجمين أكلت ذا وذا

وأصبر ما للقلب في الصبر من عذر

أبا خالد أورشثني الهم خالداً

أبا النصر مذ ودعت ودعني نصري

وقبلكما قد أودع القلب حسرة

تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو

وهنا نلاحظ الحزن الشديد، والتفجع الوبيل، والحسرة
المحرقة على وكديّه، وهذا أثار الحسرات الكامنة على فقد ابنه
أبي عمرو سراج الدولة الذي كان على قرطبة، وظل بها إلى أن
هاجمه ابن عكاشة سنة ٤٦٨ هـ، فدافع عنها، وخرج لملاقاة
عدوه، وقتل بعد أن سقط عن جواده.

وقال المعتمد في إثر ثورة ابنه عبد الجبار (١٨):

كذا يهلك السيف في جفنه
إلى هز كفي طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله
ولم تروه من نجيع يميني
كذا يمنع الطرف علك الشكيم
مرتقباً غرة في كمين



غير أن تأخر إطلاق سراح أبي فراس أثار تساؤلات عدة عند غالب المؤرخين، والإجابة عن الإبطاء في فداء أبي فراس تستدعي النظر في الحال التي كان عليها سيف الدولة بعد أسر أبي فراس؛ فلقد سقطت حلب بأيدي الروم، ونهبت أموالها وأسلحتها وأمتعتها، والفداء يتطلب المال الكثير، والروم كان في أيديهم فضل ثلاثة آلاف أسير من العرب، ولم يكن سيف الدولة - بافتداء أبي فراس وزمرة قليلة معه - ليبقي بين أيدي الروم هذا العدد الضخم من رجاله، لهذا ظل ينتظر الظروف المواتية التي تسمح بافتداء الجميع. وعندما سنحت الفرصة سنة ٣٥٥هـ، أقام الفداء بشاطئ الفرات، وأنفق عليه خمسمائة ألف دينار، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من سجون الروم، ودفع المال الذي لزمه لفداء الأسرى من ماله دون أن يعاونه أحد من الملوك ولا غيرهم، وقد بلغ به الأمر أن يرهن درعه الثمين المهدوم المثل لما نفذ ما كان معه من مال (٢٠).

وختاماً، يمكننا القول: إن أوجه التشابه بين المعتمد بن عباد الإشبيلي، وأبي فراس الحمداني في محنة الأسر، كان لها الأثر البالغ في ظهور عدد من الصور المتشابهة بينها، من خلال الموضوعات الشعرية، وتشابه المعاني والمفردات اللغوية، وتقارب الصور البيانية والأساليب البلاغية، بل وحتى الإيقاع وموسيقى الشعر. وما أعطى تجربة الشاعرين بُعداً صوفياً، أكثر فيه من الحكمة وشكوى الزمان، وذكر الموت والفناء، دخولها السجن بعد سن الأربعين، فقد كان دخول المعتمد السجن وهو في آخر عقده السادس، أما أبو فراس فكان دخوله للسجن في مستهل العقد الرابع من عمره، مع الأخذ في العلم أن تجربة المعتمد كانت الأكثر قسوة من تجربة أبي فراس؛ لأن المعتمد فقد كل شيء في محنته: الملك، والعرش، والسودد، والعز، وحياة القصور، وعظمة السلطان، وغدا أسيراً كسيراً قابلاً في سجن أغمات، حيث توالى النكبات على كاهله، مما جعل شعره يمتاز بالصدق العاطفي، ولا غرو! فالمعتمد يمتلك ثقافة شعرية واسعة مكنته من تصوير تلك المرحلة المرة القاسية. هذا

كان الفوارس فيه ليوث

تراعي فرائسها في عرين

ألا شرف يرحم المشرفي

مما به من شمات الوتين

ألا كرم ينعش السمهي

ويشفيه من كل داء دفين

ألا حنة لابن محنية

شديد الحنين ضعيف الأنين

يؤمل من صدرها ضمة

تبوؤه صدر كف معين

وعندما تم إخمادها، انقطع جبل الأمل الذي كان المعتمد متمسكاً به، وانطفأ بصيص النور الذي كان يُمني نفسه بأن يصبح شمساً ساطعة، فأكل الحزن قلبه، وسكنت الحسرة كل جسده، حتى أطلق ليأسه العنان صارخاً بكل قوة (١٩):

تؤمل للنفس الشجية فرجة

وتأبى الخطوب السود إلا تماديا

لياليك من زاهيك أصفى صحبتها

كذا صحبت قبل الملوك اللياليا

نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ

وبعدهما نسخ المنايا الأمانيا

من كل سبق نلاحظ أن الشاعرين شكلاً حزنيهما تبعاً للمثير، وتماشياً مع كل البواعث، وقد تشابها في وصف الألم، وتصوير المأساة، حتى أضحي للحزن تشكيلات متنوعة عند كل واحد منهما، يتشذر منها الشجن، ويقطر منها البوح البائس الحزين.

ومما يجدر ذكره في هذه الدراسة؛ هو أن أبا فراس كان يضع أمله وثقته في دولة قوية كدولة بني حمدان، وفي فارسٍ بطلٍ ومحنك كابن عمه سيف الدولة، لذلك كانت ملامح الانفراج والخروج من السجن تبدو أكثر قرباً، على عكس المعتمد الذي فقد الأمل واستسلم للأسر؛ لأنه كان تاج ملوك الطوائف، وبسقوطه انفرط عقد الأندلس في ذلك الوقت، لذلك نجده ينوع في تأصيل أحزانه ويقوم بتشكيلها بطرائق متعة ددة، حتى أصبحت مرحلة الأسر هي الأكثر إنتاجاً، والأغزر سبكاً، والأقوى عاطفةً، من كل مراحل حياته.

يجعلني أقول: إن المعتمد بهذا قد فاق أبا فراس في تشكيل أحزانه، مع أن أبا فراس كان يسبقه زمناً ونبوغاً!!، إلا أن المعتمد حلّق بعيداً في تصوير عواطفه، وأثبت أنه ملك كبير، كما أنه شاعر عظيم، فقد كان من أسرة تقررّض الشعر، وكان لا يستوزر إلا مَنْ كان شاعراً، وقد حاولت هنا إظهار بعض صور التشابه بينه وبين الأمير الفارس والشاعر أبي فراس الحمداني، من خلال تجربة الأسر التي كانت من أهم المحطات الأدبية عند الشاعرين، ويمكن أن نطلق عليها: أغنيات المعتمد، وروميات أبي فراس (٢١).

لقد كانت مرحلة الأسر عند كلا الشاعرين، بمثابة المحطة التي توقّف عندها الشاعران كثيراً، والجذوة الملتهبّة التي اصطلت بضوئها وجدان كل واحد منهما، حتى وإن كانت اللحظات صعبة، والساعات مريرة، فقد شكّلا إنتاجاً شعرياً مصبوغاً بالحزن والأسى، ونبرات التوجّع والتفجّع والكآبة، لتخرج إلينا قصائدُهما في تلك المرحلة ذات شجن عميق، وتوجّع راعف، على الرغم من أنها كانت قصيرة في الوقت، فإنها كانت طويلة من حيث غزارة الإنتاج، هذا ما أكّده المؤرخون، وشهدت به مؤلفاتهم (٢٢).

الهوامش:

- (١) ديوان المعتمد بن عباد، ملك إشبيلية، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط/١، ١٩٥١م، ص ٨٨-٨٩.
- (٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ابن خالويه، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م، ص ١٠٧.
- (٣) ديوان المعتمد، ص ١١٠-١١١.
- (٤) ديوان أبي فراس، ص ١٣٠.
- (٥) ديوان الخطيئة جروول بن أوس، شرح ابن السكيت والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، القاهرة، ط/١، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، ص ٩٨.
- (٦) ديوان المعتمد، ص ٦٨-٦٩.
- (٧) نفسه، ص ١٠٠-١٠١.
- (٨) ديوان أبي فراس، ص ١٤٥.
- (٩) ((في هذا إشارة إلى القصة المشهورة لزوجه اعتداد الرميكية، حين رأت الناس

يمشون في الطين، فاشتتت المشي فيه، فأمر المعتمد بأشياء من الطيب فسحقت وذرت في ساحة القصر، ثم صب ماء الورد على الطيب، وعجنّت بالأيدي حتى صارت كالطين، فخاضتها اعتماداً مع بناتها وجواربها)) ينظر: ديوان المعتمد، ص ١٠١.

(١٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٩٧.

(١١) ديوان أبي فراس، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(١٢) نفسه، ص ٢٧٦.

(١٣) نفسه، ص ٢٧٦.

(١٤) نفسه، ص ٢٧٦.

(١٥) نفسه، ص ٢٧٧.

(١٦) نفسه، ص ٢٧٧.

(١٧) ديوان المعتمد، ص ١٠٥.

(١٨) نفسه، ص ١١٦.

(١٩) نفسه، ص ١١٧.

(٢٠) ينظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للمحسن بن علي التنوخي، تحقيق: عبود الشالي، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م، ١/١٨٢، وزبدة الحلب من تاريخ حلب، لابن العديم، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م، ط/١، ١/٤٦، ونخب أدبية وتاريخية، ماريوس كنار، الجزائر، ١٩٣٤م، ص ٣١٥.

(٢١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م، ص ١٩٠. وجاء في المعجم: "الروميات: هي أشعار أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ)، التي نظمها في القسطنطينية حينما أسره الروم وسجنوه فيها أربع سنوات، وهي تفيض بعواطف الحنين إلى أمه العجوز وبنيتة الوحيدة، والحب لسيف الدولة".

(٢٢) تحدّث الأدباء والنقاد عن هذه الأشعار، فرأوا فيها صفوة إنتاج أبي فراس، فهذا النعالي صاحب يتيمة الدهر، يقول: "إنها غرر جادت بها قريحة الشاعر الأسير، وكانت أشعاره تصدر في الأسر والمرض، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه والتبرم بحاله ومكانه عن صدر حرج، وقلب شج، فتزداد رقة ولطافة وتبكي سامعها، وتعلق بالحافظة لسلاستها"، يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط/٢، ١٩٧٣م، ١/٦١. وقال التنوخي في النشوار: "ولأبي فراس كل شيء حسن من الشعر في أسره، ويروى عن أبي الفرج الببغاء قوله: وله (أي أبو فراس) في أسره مراثٍ يظهر فيها التعطّف لسيف الدولة، وله شعر كثير حافل بمعانٍ مخترعة لم يسبق إليها. نشوار المحاضرة، ١/١١٢.

ويقول ابن الأبار صاحب الحلة السيرة عن المعتمد بن عباد: "ومحاسن المعتمد في شعره كثيرة وخصوصاً مراثيه لأبنائه، وتفجّع لوزال سلطانه". الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط/١، ١٩٦٣م، ٢/٦٣. وجاء في مقدمة ديوان المعتمد، بتحقيق: أحمد محمد بدوي: "وكان عزاءه في محبسه، وغداؤه الروحي في أسره، إنها هو الشعر يبيّنه كامنٌ حزنه، وينفث فيه ذاهبٌ مجده، ويتوجّع فيه لمصرع بنيه، وفلذة كبده" مقدمة الديوان، ص ١٢.

أسلوب البناء فالهديم

في رسم ملامح الصورة الحضرية (أرضاً وإنساناً)

قراءة في سياق الوصف التصويري للمجتمع الحضري
عند (مايبل بنت)

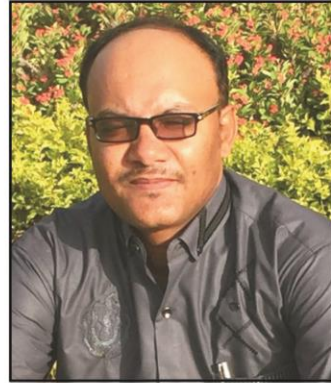
(١ - ٣)

المرسومة هي أعمق بكثير من أن تكون أثراً لسهو مترجم، أو إضافة أو إنقصاه.

وقعت حدود البحث في إطار رحلة الزوجين (بنت) من المكلا إلى مدينة شبام. كما سيتجنب البحث ذكر الأسماء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأن الغاية منه هي دراسة أسلوب البناء فالهديم، المتقصد لتشويه الصورة الحضرية، أرضاً وإنساناً، مجتمعاً وجغرافياً، والذي بدا نهجاً فنياً دقيقاً أظهرت فيه الكاتبة حساً عميقاً، وقدرة صياغية فائقة، في معالجتها لكثير من قضايا التشويه والإساءة لحضر موت أرضاً وإنساناً.

لم يكن الزوجان (ثيودور، ومايبل بنت) بدعاً من الرحالة الذين قدموا إلى حضر موت بهدف الاستكشاف والمسح، بل سبقهما قبل ذلك عدد من الرحالة الأجانب، فقد كان أشهر ممن استطاع منهم التوغل إلى حضر موت (فون فريده)، و(ليو هيرش)، وسواهما..

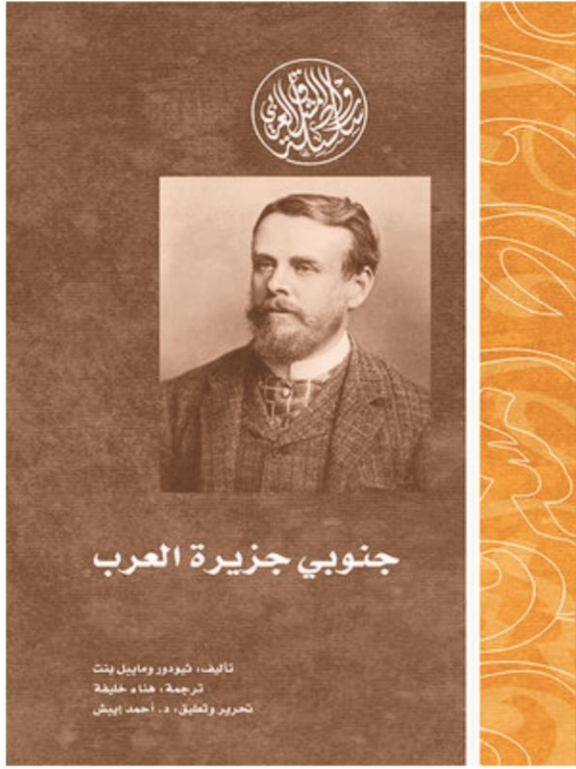
في تلك الأثناء كان الزوجان بنت قد حازا سمعة فائقة كمستكشفين؛ لذا في عام ١٨٩٣م اقترحت عليهما الحكومة البريطانية أن مسحاً لحضر موت بوساطة رحلة مستقل



د. زهير برك الهويل

مهاده:

لقد اعتمد البحث كتاب (جنوبي جزيرة العرب) - تأليف ثيودور ومايبل بنت، ترجمة: هناء خليفة - مصدراً رئيساً له، مسلماً بأن السياقات اللغوية الراسمة لملامح الصورة الحضرية، فنياً وسردياً، هي سياقات صادرة عن المؤلف الحقيقي للكتاب؛ وهو الكاتبة (بنت)، وسيكشف ذلك في أتون النقاشات الداخلية للبحث، ولن يتم الركون لإسهامات الترجمة في رسم تلك التصويرات، وإن كانت احتمالات ذلك واردة؛ لأن الصورة



كما هو جلي من العبارة الأخيرة أنها كانت كثيرة التدوين لأحداث الرحلة، وأنها مؤلفة لهذا الكتاب مثلها مثل زوجها، ولا يقتصر دورها على مجرد سرد ما كتب زوجها؛ ولأن ما يعني بحثنا هي الرحلة إلى حضر موت ومحاولة الوصول إلى الداخل حتى قبر نبي الله هود، وبئر برهوت، فإنه سيقف على دراسة السياق الوصفي التصويري للمجتمع الحضرمي في الكتاب بأنه خطاب صادر عن (بنت) الزوجة - وإن تضمن سياق زوجها الميت - حتى يتساق التحليل النقدي لسياقات الخطاب السرد في حضوره الحي لغة، بضائير الحاكي السارد وفواعله (مايبل بنت) فهي التي تقول، وهي التي تسرد، وهي التي تصوّر، وهي التي تمدح وهي التي تدمّ، وهي التي تحلّل وتناقش، كما جاء ذلك في ضائير شرحها وسردها للكتاب، حيث همّش فيه زوجها الكاتب الحي، وإن بدا فهو عنصر مسرود في سياقات سردها المعروف.

بعيداً عن السرد التاريخي للأحداث التي تضعف حركة التاريخ في حركة تدويرها، كلما دارت من لدن كثير من الأبحاث التاريخية التي تكتفي بالمسرد، وعرض تفاصيل الأحداث كما حدثت

سيكون ذا فائدة مشهودة^(١)، وكانا تواقين لرؤية البلاد التي يعتقدان أن سكانها قد أدوا دوراً مهماً للغاية في تاريخ أفريقيا، الذي كانا لتوهما يقومان باستكشاف غوامضه.

لقد سبقهما (فريدة) قبل ذلك بالتسلل إلى حضر موت بخمسين عاماً، متخفياً بشخصية إسلامية، فتم اكتشاف حقيقة نصرانيته فنجاً بأعجوبة؛ ربما ليس لتعصب الناس كما يحكى^(٢)؛ بل لأنه تقمّص ثوب ديانة وهو يدين بأخرى، الأمر الذي زرع شكاً كبيراً في نوايا مقدمه لدى القاطنين المحليين.

لقد فصلت رحلة الزوجين (ثيودور ومايبل بنت) إلى حضر موت في كتاب (جنوبي جزيرة العرب)، الذي ألفه الزوجان كلاهما، وإن كان الذي قام بسرد أحداثه هي (مايبل بنت) بعد وفاة زوجها، إلا أنها تقر بأن معظم مادة الكتاب قد قام زوجها بجمعها وتدوينها، وأنه المؤلف الحقيقي للكتاب كما تنص قائلة: «لو أن رفيقي في السفر قيّض له أن يبقى حياً، لكان في نيته أن ينشر كتاباً يستوفي جميع المعلومات التي قمنا بجمعها في جنوبي جزيرة العرب، لكن بما أنه قد توفي بعد أربعة أيام من عودتنا من رحلتنا الأخيرة هناك، فقد توجب علي القيام بهذه المهمة. ولكن ما شد أزرني على القيام به هو علمي بأن هذا الكتاب، حتى ولو كان غير فائق المستوى، سيقى بلا شك عوناً لكل من يريد أن يقوم برحلة مماثلة...»^(٣).

لكن هذا لا يمنع أن دوراً كبيراً قد قامت به بنت، وإسهاماً معلوماتياً قد قدّمته في تأليف هذا الكتاب، كما تقول: «إن العديد مما نرويه هنا في هذا الكتاب قد تم نشره مسبقاً، غير أن ثمة جديداً هنا؛ كان زوجي قد كتب عدة مقالات في صحيفة (القرن التاسع)، وبموافقة طيبة من المحرر أمكنني استخدام هذه المقالات، كما أنني أضفت أشياء من المحاضرات التي ألقاها أمام الجمعية الجغرافية الملكية، والرابطة البريطانية. وما تبقى من ذلك مصدره دفاتره الشخصية، ومن (اليوميّات) التي كنت أدونها دوماً خلال الرحلة»^(٤).



” إن من الإنصاف القول إن مثل ما للرحالة القادمين إلى حضرموت من دور في تشويه الصورة الاجتماعية الحضرية في كتاباتهم -وإن كان لغرض تسويقي لكتبهم- برسم لوحات عبثية مشوهة أحياناً تستقطب كثيراً من القراء، فإن لهم دوراً مهماً في كشف بعض المظمورات من الحقائق في تاريخنا الحضري الداخلي “

الدين والعرق والمكان، فنقبل بصحة ما أيّدته القرائن الملموسة والمنطقية والعقلانية، هكذا نستطيع دراسة تاريخ حضرموت دراسة علمية آيستيمولوجية.

من جانب آخر إن قراءات تنحو هذا المنحى من شأنها أن تكشف ما يحاول خطاب السياق السردى الأجنبي أن يلصقه بالصورة الاجتماعية الحضرية (في عمومها وخصوصها) من زيف وتشويه وتعال - وهو ليس منزهاً من ذلك - فكان اختيارنا لعنوان البحث تأكيداً على هذه الرؤية، ومحاولة قراءة لغة سياقات التوصيف والتصوير للحالة الاجتماعية الحضرية، وهي تتأرجح بين البناء والهدم؛ بقصد الهدم المترصد لخلق صورة مشوهة في نمطها الخاص والعام، في ماهياتها السردية والفنية التصويرية.

بزيادة هنا، أو نقصان هناك، فإن بحثنا سيحاول ما استطاع أن يحلل لغة السياق الوصفي والتصويري للكاتبة (بنت)، وهي ترسم صوراً وصفية، أو حتى فنية للمجتمع الحضري الواسع على نطاق عام (البلد)، أو خاص (القبيلة)، أو أخص على مستوى الأفراد.

حيث سيحاول البحث أن يكشف البعد الثقافي العميق المستتر خلف لغة تلك السياقات الوصفية التي تبدو بسيطة في تلقيها السطحي، لكنها قد تضمّر أبعاداً دلالية أعمق من المتبدّي.

إن من الإنصاف القول إن مثل ما للرحالة القادمين إلى حضرموت من دور في تشويه الصورة الاجتماعية الحضرية في كتاباتهم - وإن كان لغرض تسويقي لكتبهم برسم لوحات عبثية مشوهة أحياناً تستقطب كثيراً من القراء، فإن لهم دوراً مهماً في كشف بعض المظمورات من الحقائق في تاريخنا الحضري الداخلي، والذي يخص البنى الطبقيّة الحاكمة من سلاطين وشيوخ قبائل، ومرجعيات دين، وغيرها من أصحاب القرار، وتعرية بعض الحقائق التي لا يمكن لكاتب محلي أن يكشفها؛ لأن الرحالة ذو لغة مغايرة، ومجايلته لتلك البنى ذات القرار والحكم والمرجعية في حضرموت تكون مرافقة آنية في حدّ علمهم، ثم ستسافر تلك المعلومات المجموعة إلى بلدان بعيدة، بلغات أبعد عن هذه المنطقة المنفصلة جغرافياً ولغوياً عن أولئك الكرام السائحين المستكشفين، فدخلوا إلى قصور السلاطين وتعاملوا مع خصوصيات شيوخ القبائل، وعرفوا كثيراً من معاملات رجال الدين والسيادة، وخصوصيات المرأة الحضرية في داخل بيتها، وفي مجال بيتها الواسع والضيق، وهي تفاصيل لحقائق لا ينبغي علينا دحرجها وبطلانها، لمجرد أن الحاكي لها غير مسلم، بل علينا أن نتقبلها كباحثين كوقائع مسرودة، كتبها أياد كانت حينئذ أقرب إلى عمق تلك المكونات الاجتماعية، من بعض أفراد أسرها، فنحلّلها وندرسها بكل حيادية وموضوعية، بعيداً عن العاطفة النابعة عن علائق



المقصود بأسلوب البناء فالهدم:

معلوم أن الهدم فالبناء إعمارٌ، لكن البناء فالهدم خراب، وأن انتسال الشيء من نقيضه يجعله أجلى وأوضح رؤيةً وصورة، فأسماء القرآن بياناً بالفعل المضارع، حين يتبين البياض من السواد (النقيض من نقيضه): «...حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود...»^(٥)، لذا تبدو الكتابة باللون الأسود على السبورة البيضاء أكثر بهاء وجلاء، هكذا حين يتهدم الموجود يترك أثراً سلبياً، لكنه لا يُقاس بالأثر الذي يتركه هدم ما يقوم الإنسان ببنائه بيديه، فيبقى أثره الأليم الموجه في أقوى درجات إيلامه من جهة، ومن جهة أخرى يصل ذلك المعنى الأليم أو المضحك أو المزري - على حسب حالات تأثر المتلقي لذلك الأثر - فيبلغ مداه، ويحقق أسمى غاياته، لعله القانون الفيزيائي الذي يزيد من سرعة سقوط الجسم ووصوله لنقطة سقوطه كلما ازداد ارتفاعاً؛ كما هي الحال في قصة المؤتفكات - التي جعل عاليها سافلها - في النص القرآني، وهي معلومة لكل متدبر^(٦)؛ أي الارتفاع من أجل الوصول إلى عمق الدنوّ. ويمكن الاستشهاد عليها كذلك بقانون الفعل ورد الفعل الفيزيائي الشهير، وقد حرص البحث على اختيار (الفاء) حرفاً عاطفياً بين البناء والهدم؛ حفاظاً على التوالي التراتبي في الحدث.

تبني لغة سياقات السرد والوصف هراً من الأوصاف الجميلة، المادحة للإنسان أو المكان أو سلوكيات المجتمع، هذا هو المعنى بقولنا (البناء)، في أسلوب المدح ونماء الوصف الجميل، ثم يلتفت ذلك الأسلوب مباشرة بهذا الهرم المبني نفسه - مكاناً أو إنساناً - في شكله أو سلوكه فتهدم صورته الجميلة السابقة، وتقوِّض خصاله السردية والفنية الرائعة بأخرى سيئة قبيحة، وهو المعنى بقولنا: (الهدم). فتكون الكتابة فيه كالتّي تنقض غزها من بعد قوة أنكاثاً. فقام هذا النهج عندها على مجابهة البناء الشكلي (السطحي) بالهدم الباطني من الداخل.

”
قراءات تنحو هذا المنحى
من شأنها أن تكشف ما
يحاول السياق السردى
الأجنبي أن يلصقه بالصورة
الاجتماعية الحضرمية
(في عمومها وخصوصها)
من زيف وتشويه وتعال،
فكان اختيارنا لعنوان البحث
تأكيداً على هذه الرؤية“
“

إذن ممكن أن نسمي ما سبق بالهجاء والقبح - في السرد والتصوير - بعد المديح والثناء، فلم يكن تقدّم البناء على الهدم في العنوان تقدماً عبثياً، بل هو تقدّم تراتبي متوالٍ، وهو النهج الذي سلكته الكاتبة الرحالة (بنت)؛ وهي تمارس رسم صورة اجتماعية لحضر موت مشوّهة بكل ما أوتيت من لغة، ستتبع هذه الآلية في سياقات وصف تصويراتها السردية والفنية، فأسلوب المؤرّخ السردى لم يعد مجرد تقارير يكتبها، كما ترى ليلي فاضل حسن^(٧) حين قالت: «تحوّلت الرحلة إلى وثيقة اجتماعية وثقافية، يسعى فيها الرحالة إلى وصف عادات وثقافات المجتمعات الأخرى، ونقلها فابتعد أسلوبه عن الأسلوب التقريرى، واقترب من الأسلوب الأدبي»^(٨). وليس معنى ذلك أننا ندحر كل عيب ألصقه سياق الكاتبة بالمجتمع الحضرمي، بل نحاور ونحلل سياق العرض لديها، وهي تستمتع بتفصيل الحديث عن كل (مُشاه) اتسم به المجتمع الحضرمي في بنائه الإنساني، أو الجغرافى أو حتى العمرانى، والأيدىولوجى، فضلاً عن العادات والأعراف المتعلقة



إن ما تقدم يرسم هرمًا وصفيًا تصويريًا إيجابيًا عاليًا للسلطان وعائلته، وهو ما عنيناه بـ (البناء) في هذا الأسلوب السردى للكاتب، ولكن حين نكمل الوصف السياقي لهذا الموصوف الممدوح نرى أن السياق يرمي بالموصوف من أعلى ذلك المكان المرموق، والمنزلة العالية إلى أسفل الهجاء، والذم في الوصف، فيتجسد مفهوم (الهدم) لذلك الهرم العالي المبني أنفًا بالوصف الجميل، والتصوير الأجل للعام (العائلة)، والخاص (السلطان)، يتبدى مبدأ (الهدم) في قول السياق: «... يعتبر أكثر الأشخاص نفوذًا في البلدة أولئك السارقون للنقود، العابرون من بومباي،... تقع حكومة البلد الآن تحت السيطرة شبه الكاملة لعائلة القعيطي، التي تعتبر حاليًا أكثر العائلات نفوذًا في المنطقة...»^(١٠) (هدم). لقد تجاوز القدح مجرد الهجاء إلى اتهامات خطيرة بالسرقة لعموم العائلة، وهو ما يدفع بحثنا أن يكون على يقين من وجود مكون باطني ناغم وكاره، يغذي خبر سياقات الكتابة لرسم تلك الصور السردية والوصفية، التي تنقص من خلالها تشويه الصورة الحضرمية؛ بمفاصلها الأساسية المتمثلة في رمزياتها وقديسياتها، حيث ضربت النمط السطحي (جمال مظهر السلطان وفخامته)، بالنمط الباطني السلوكي العميق (السرقة العامة عبر القارات). والأسرة القعيطية من الركائز الحضارية السيادية، التي سادت وحكمت في حضرموت، الأمر الذي يجعل كل ناغم أو حاقد لحضرموت أن يكيد ابتداءً من بوابتها، قد يقول قائل: ألا يمكن أن يكون قولنا هذا نابعًا من مناطقية، وغيره حضرمية؟ نقول: إن في لغة السياق الوصفي للكاتب ما يدحر الذهاب إلى هذا المذهب؛ كون لغة السياق ألصقت الاتهام بصيغة العموم، وهو أمر ينافي الحيادية والمنطقية في تناول الاجتماعي والتاريخي، الأمر الذي يجعل من في قلبه أدنى قبول تصديقي للخبر أن يدحر قبوله، بيقين القول بالمبالغة القادحة في صميم الحيادية السردية.

بالمجتمعات الحضرمية، في شتى مشاربها المتنوعة والمتعددة. لكننا ونحن نحاور ذلك السياق الوصفي التصويري، ونحلل لغته بمستوياتها: السطحية والعميقة، لا يغيب عن بالنا أن ثمة دوافعًا شكّلت ذلك الصوت الخطابي لدى الكاتب، ونحتّ به نحو ذلك المنحى، سنتعرف عليها في خاتمة البحث.

أولاً: التصوير البشري:

(أ) التصوير الرجالي:

ونعني به تبدّي صورة الرجل الحضرمي في أسلوب البناء فالهدم، في لغة السياق السردى في توصيف الكاتب (بنت)، وهي ترصد رسم صور ولوحات مشوّهة لهيئة البشر في حضرموت، بعدما تبني وصفاً جمالياً لهم، تنحدر بتلك الصورة وتتحول فجأةً ومن دون أية مقدمات نحو الوصف السيئ، فتوحي بانتقال عن وصف إلى وصف، في أسلوب يؤكد آلية الترصد لاتباع هذا النهج الذي أضحي رتيباً في كتابها، لا سيما في المحور المستهدف بالدراسة من الكتاب؛ الرحلة إلى حضرموت.

الصورة الأولى (السلطان القعيطي في المكلا):

من هذا النسق التصويري للصور البشرية توصيفها للسلطان القعيطي في المكلا، قائلة: «هذا ويحكم المكلا سلطان من آل القعيطي، حيث إن صلة العائلة بالهند جعلت منها إنكليزية جداً في حالاتها الوجدانية، ويميل شكل فخامته العام بسترته المخملية وخناجره المرصعة بالجواهر إلى أن يكون هندياً...»^(٩) (بناء). إن هذا السياق الوصفي للسلطان وعائلته يعدّ وصفاً إيجابياً مادحاً من جهتين؛ الأولى: أنه صور هذه العائلة عائلة منفتحة ومتقبلة لحركة التطور الحاصلة في العالم، على خلاف كثير من القبائل والعوائل التي طالما يصفها سياق الكاتب (بنت) بالتعصب؛ سواء عنت به تعصباً دينياً أو عرُفياً، ومن جهة أخرى أظهر الوصف السلطان في هيئة فخمة بسترته المخملية، وخناجره المرصعة بالجواهر، وهو تصوير وصفي خاص بمظهر فخامة السلطان.



الصورة الثانية (أفراد من قبيلة الحلبي):

ومن نهج البناء فالهدم الوصفي في سياقات الكتابة، في تجسيد الصورة الحضرمية البشرية، قول الكاتبة تصف أفراداً من قبيلة الحلبي: «... ووجوههم صافية وهادئة، وكان يمكن ظنهم نساء؛ بسبب وداعتهم وجماهم...»^(١١) (بناء).

ستحسن قراءة الظن في وصف السياق، وتشبيه الرجال بالنساء هنا بالمديح والوصف الحسن للمظهر الجمالي لأولئك الرجال، مثلما تحدد الوصف في جمال الوجوه، وهذوئها وصفائها، ووداعتهم وجماهم، بهذه الكلمات جاء وصف جمال الوجوه فأخذ السياق بُعداً جمالياً، يرسم بناء الوصف الإيجابي الجميل هؤلاء الرجال، الأمر الذي أسماه بحثنا بـ (البناء) السياقي الوصفي، حيث يرتقي الموصوف مكانة عالية في الوصف المدحي، ثم ينسف سياق الكاتبة هذا البناء مباشرة بهدمه وتقويض إطلالته الجميلة؛ حين قالت الكاتبة بعد السياق السابق مباشرة دونما فاصل أو تحوّل كلامي: «... كان لونهم الأسمر طبيعياً وازداد سُمرة؛ بسبب الاتساخ واللون النيلي، وقد جدل شعرهم الأشعث الطويل إلى الأعلى بعقدة، وتم تثبيته بحبل مضفور طويل يشبه رباط الحذاء...»^(١٢) (هدم).

يتحوّل السياق هنا من سموّ الوضاءة والنور والصفاء والوداعة والجمال لوجوه الرجال أنفسهم، إلى ظلمات الوصف وققامته، أي من أسلوب البناء إلى أسلوب الهدم التصويري، فتتجلى تلك الوجوه إلى اللون النقيض تماماً (الأسود)، وبالتأمل في لغة السياق الوصفي يتجلى أمامنا سماران أو سوادان، سواد طبيعيّ وسواد طارئ؛ بسبب الاتساخ: (كان لونهم الأسمر طبيعياً، وازداد سُمرة؛ بسبب الاتساخ واللون النيلي)، في نسف للملامح الصورة المشرقة التي رسمها السياق السابق (مرحلة البناء)، وكأنه يتحدث عن موصوفين آخرين سوى السابقين، على الرغم من أن الموصوفين هم أنفسهم، يعدّ هذا النهج من أقوى أنماط الهدم، حين تتحوّل الصورة من حالة إلى نقيضها تماماً.

لو لم يسبق هذا الهدم بناءً مغايراً، ولو لم يتحدث أسلوب

الوصف عن السمار بسبب الاتساخ، وظل يشرح السمار الطبيعيّ، لأعطى السياق القارئ حضوراً منطقيّاً وواقعياً أقرب للقبول والتصديق؛ لأن البيئة العربية بيئة حارة مقارنة بالبيئة الأوروبية، الأمر الذي يخلق بوناً واسعاً، في لون البشرة، الذي يدركه الأوروبي جلياً قبل سواه، لكن السياق على الماهية التي ورد عليها، يخرج التصوير الوصفي عن توصيف لحالة مرئية من لدن الكاتبة إلى صورة مختلفة، أو لنقل: مبالغ في رسم ققامتها وسارها من لدن الكاتبة، وليس أدلّ عل ذلك من توالي ألفاظ تحمل دلالات السمار والسواد مثل: (لونهم) / الأسمر / ازداد سُمرة / الاتساخ / اللون النيلي...).

إن هذه اللغة تكشف عن مدى القتامة، والسواد الذي يشكل الفكر المكتنز عند الكاتبة، والمغذي لسرد الحياة الاجتماعية الحضرمية في شتى مناحيها، من دون التصريح به، فتغلّت في سياقات لغة الوصف والتصوير.

وإذا أكملنا قراءة السياق الوصفي للكاتبة، نستطيع أن نتبين ما هو أعمق من مجرد التصوير الوصفي، من خلال اللجوء إلى التصوير الفني؛ (التشبيه)، لمدّ جهة عمق الدنوّ التي وصل إليها ذلك الهدم، كعادة السياق في مجابهة البناء الشكلي، بالهدم الباطني، وهي آلية تضع الهرم البنائي الشكلي مجسداً للصورة مموّهة ووهمية غير حقيقية، يتم نسفها من الداخل والباطن، حين يكون الهدم في صفات باطنية غير مسطحة، هذه الرؤيا يمكن استكناه حقيقتها إذا تتبعنا اكتمال سياق الهدم السابق حين قال: (وقد جدل شعرهم الأشعث الطويل إلى الأعلى بعقدة، وتم تثبيته بحبل مضفور طويل يشبه رباط الحذاء).

تظل الصورة محافظة على الطابع المظلم بالسواد بالحديث عن الشعر، إضافة إلى ما ترسمه لفظاً (الأشعث + الطويل) من ترصّد وامتداد تكميلي لإبداء الصورة الشكلية المكبرة لسطح ذلك السواد التي قد تكون حقيقية، لكن السياق هنا يخلق صورة فنية أخرى، حين شبه الشعر المعقود برباط الحذاء، فيتراءى أمامنا مكوّنات لطرفي هذه المماثلة أو المشابهة؛ الأول:



تُعدُّ هذه الشريحة من المجتمع الحضرمي أشدَّ مجابهةً لمحاولات الاستكشاف الأجنبية للعمق الحضرمي، فقد أسهمت - بسعة نفوذها الاعتباري والديني لدى السلطات الحاكمة والقبائل - في تعطيل محاولات عدد من الرحالة الأجانب وإفشالها لتحقيق بغيتهم الأسمى؛ المتمثلة في الوصول إلى عمق حضر موت شرقاً؛ حيث قبر النبي هود، وبئر برهوت؛ وعلى وجه الخصوص الزوجين (بنت)؛ لذا تقرأ ثقافة كره شديد لدى الرحالة (بنت) في سياقات تعبيرها، وسرد أي نمط من أنماط التوصيف لهذه الطبقة الاجتماعية الحضرمية، لعل هذا التفسير يكشف للقارئ ما كان جلياً من علامات الهدم المبثوثة في لغة تشييد ذلك البناء، الراسم لهذه الطبقة الاجتماعية.

لكننا سنمضي مع نهج البحث باعتبار أن الفقرة السابقة هي فقرة بناء وصفي لطبقة الأشراف، وأن الكاتبة ترسم منزلة عالية من التوصيفات الجمالية المادحة لهذه الطبقة، لكن المكنون العدائي الباطني يتفكك نسقاً في بعض الألفاظ التي تصنع ثلمات وكلوماً في جدران ذلك البناء أحياناً؛ لذلك لم يقرأ أسلوب البناء صامداً حتى بلوغ نهاية اكتماله، والتحول إلى أسلوب الهدم، وليبان الصورة البنائية نلمحها في رسم منزلة السادة (الأشراف) على النحو الآتي: لفظتنا السادة والأشراف بلفظين يدلان على مدلول واحد في العرف الحضرمي / وصفها بـ (الأرستقراطية) / تمتعها بنفوذ (هائل) / هيمنتها على الناس بمعتقد الدين / أن نسبها أنقى الأنساب / أن السلاطين وهم (الطبقة الحاكمة) يقبلون أياديهم / يتمتعون بنطاق خاص من السلطة... الخ.

هذه السياقات ترسم بناءً وصفيًا يرتقي بهذه الطبقة إلى منازل عليا من الوصف، لكن في صميم هذا البناء نقرأ بعض الجمل والألفاظ الكيدية التي توجه الاتهام لهذه الطبقة بالتمالي مثل؛ قولها: (تتفاخر على أي سيد آخر...)، وهو فعل يقود جملة ترسم مبدأ ديمومة التفاخر على الآخرين بهيئة الاتهام لا المدح، وقبلها قالت: (تهيمن على الناس...) على الآلية نفسها، من رسم صورة الاستعلاء بوصفها جهة راجحة لكل شرائح المجتمع، بفوقية يرسخها الحرف (على) في المرتين، في الأولى

رؤوس مربوطة بحبل. والآخر: حذاء مربوط بحبل. أو بمعنى آخر؛ (الرؤوس = الحذاء) + (حبل العقد = خيط الحذاء)، ليس ثمَّ قيمة من إبداء ملمح الخيط والحبل؛ إذ لا وجه شبه مشترك يمكنه الربط بينهما، لكن القيمة وكل القيمة في تشبيه رؤوس أولئك القوم بالحذاء، بقصد تحقيري، يفرغ تلك الرؤوس من محتوى الفهم والفكر، ويمدُّ في إهانتها، بجعلها حذاءً يُداس بأقدام، هي أقدام المستعمرين، فتحضر الذات الأنائية المضمرة، في نسق خفيّ تغياً السياق إضماره، وإن لم يصرَّح به التشبيه جلياً، إلا أن ما وراء الجملة كان بادياً^(١٣). إن الهدف هنا هدفٌ باطني؛ هو ترسيخ صورة (الجهل) و(الإذلال) معاً من دلالة التصوير التشبيهي الحاضر في السياق، وهو ما عنينا من قولنا: إن أسلوب البناء عادةً ما يجسّد الجانب الشكلي، على التقيض تماماً من صورة الهدم التي تأخذ في تبدلها منحىً باطنياً أعمق وظيفية، وأرسخ دلالة. هذا الأمر يجعل بحثنا يرسم رؤيته القرائية القائمة على أن أسلوب البناء الوصفي الذي يسبق أسلوب الهدم، في كل مرة ما هو إلا نسق هدمي يتراءى في صورة بناء في وجهة مغايرة، وما تشكيكه السطحي في ملامح صورته إلا دليل على تلك الهلامية، والوهم الذي يشكّل لبنات جدرانه، فتكتشف حقيقة تلك الجدران بأنها لا تعدو صورةً علوية معكوسة لصورة الهدم قبل حدوثه.

الصورة الثالثة: صورة السادة (الأشراف):

تقول الكاتبة واصفة إياهم: «توجد طبقة السادة الأشراف، نوع من تسلسل هرمي أرستقراطي، ترجع أصولها إلى ابنة النبي وأسباطه. وتمتع هذه الطبقة في حضر موت بنفوذ هائل، وتهيمن على الناس بالمعتقد الديني الذي تدين بوجودها إليه. تتفاخر هذه الطبقة أن نسبها أنقى من عائلة أي سيد آخر، حتى بالنسبة لأسياد مكة والمدينة... حتى أن سلاطين العرب يظهرون لهم احتراماً واضحاً، ويقبلون أياديهم عندما يلجون إحدى الحجرات. ويتمتع هؤلاء بنطاق من السلطة خاص بهم، حيث تحال معظم نقاط الخلاف على الملكيات وحقوق المياه وما إلى ذلك إليهم؛ لكي يصدروا قراراتهم فيها»^(١٤) (بناء).

على نمط الأسياد الآخرين من سواهم، وفي الثانية على جميع الناس، حيث يتجلى هدم في صميم البناء؛ الهدف منه بيان أن ثمة شرخاً اجتماعياً في الصورة المرسومة، بقصد التشويه.

وإن كان الوصف السياقي لا يبتعد عن الحقيقة كلها في كثير من سمات الوجاهة والمكانة (السلطانية) التي تتبوأها طبقة الأشراف في العرف الحضري، إلا أن السياق عرضها هنا ببغية مغايرة، وغاية مجابهة مانحاً إياها هيمنة الفاعلية السردية في الوصف؛ كما تجلّى في قوله: (تفاخر... + تهيم... حتى يقوّي حجته في نسق الإقناع للمتلقّي بفحوى المسرود.

إذا اعتبرنا السياق الوصفي السابق راسماً ملمح أسلوب البناء، فإننا نراه يلتفت بلامقدمات - فجأة - إلى آلية الهدم الصريح، لرسم الأسلوب المتبع من لدن الكاتبة، حين قالت: «ينظر هؤلاء بارتياح خاص إلى أي سلطة خارجية، يتم دخولها إلى بلدهم المقدّس، وهم يمثلون العقبات في حضر موت...»^(١٥) (هدم). هنا ينسلخ الهجاء والوصف الهرمي المقلوب لصورة طبقة الأشراف العالية السابقة؛ الذين أساهم السياق السابق بلفظتين (السادة/ الأشراف). في أسلوب الهدم انبنت سياقات الوصف على جملتين ترتكبان إلى مسانيد إليها مبهمة في ذاتها؛ (هؤلاء): اسم إشارة للجمع، و(هم): ضمير غائب مجموع، وكلاهما مبهمان في ذاتيهما، تحيلان على السادة (الأشراف) حين قالت الكاتبة: - ينظر هؤلاء بارتياح خاص إلى أي سلطة خارجية، يتم دخولها إلى بلدهم المقدّس.

- وهم يمثلون العقبات في حضر موت.

إن هذا الإبهام الذاتي في اللفظتين اللتين تلعبان دور الفاعلين الحقيقيين في الجملتين - أعلاه - رسمتا - لغة - طابع الإبعاد والتجاهل لمكانة السادة (الأشراف)، في أسلوب هدفه التقليل والانتقاص من تلك الرتبة السامية المرسومة سابقاً بأسلوب البناء، الأمر الذي يعقبه التصريح بذلك الانتقاص، بإلقاء التهم التالية لهاتين اللفظتين السابقتين، فالتهمة الأولى: الارتياح من أي سلطة خارجية، تدخل إلى بلدهم المقدّس.

والريب من السلطات الخارجية الدخيلة، يستوجب أن يكون لدى السادة (الأشراف) ما يخشونه من دخول تلك السلطات، هذا الشيء الذي يحاول السياق بيان سبب الارتياح منه، ليس خوفاً على الدين كما هو مَشيع، بل هو حب السلطة، لم يصرّح بذلك السياق بل يكشفه نظم الوصف مضمراً، في سياقات مثل: (إلى أي سلطة خارجية/ بلدهم المقدّس...) في حدّ تعبير الكاتبة. وإذا عدنا إلى نهاية فقرة أسلوب البناء السابقة: (ويتمتع هؤلاء بنطاق من السلطة خاص بهم، حيث تحال معظم نقاط الخلاف).

يتجلى مفهوم السلطة مطلباً ملحاً للسادة (الأشراف) في سياقات الكاتبة، لتظهره هدفاً سامياً يسمو حتى على البعد الديني الذي يمثلون رمزاً.

أما التهمة الأخرى التي ألصقتها سياق الوصف بالأشراف في أسلوب الهدم، تعدّ أخطر التهم، حين وصفهم بأنهم يمثلون العقبات في حضر موت. إن القارئ لهذا الوصف المنفتح على كل أشكال العقبات ترسم في ذهنه صورة سيئة جداً، فهم عقبات في وجه التطور الاجتماعي الحضري بشتى مجالاته؛ لأن تجريد لفظة العقبات من نعت يحجّم حدودها يفتح دلالتها على كل العقبات التي تقف أمام كل إيجابي، من شأنه أن يسهم في نهوض المجتمع الحضري، هذا التعميم يضع المتأمل أمام مبالغة، تحيل على ضعف في التصديق والتسليم بهذه الرؤية؛ وتكشف ميل الكاتبة عن جادة الإخلاص لمصادقية المعلومة المسرودة، وتكشف عن مضمّر من الامتناع المكتنز لديها تجاه هذه الطبقة السيادية اجتماعياً في حضر موت (الأشراف)، بل إن سياق التعبير المكمل لتلك العبارة الاتهامية، يكشف سرّاً ذلك الامتناع وحقيقته إلى حدّ الكره تجاه الأشراف، صحيح أن لأشراف مثلاً عقبات لكن أمام طريق الأجانب المستكشفين في حضر موت، القاصدين بلوغ العمق منها.

ليس بحثنا معنيّاً بتأكيد الحقائق المسرودة في كتابات الزوجين (بنت) وسردهما، من حيث الصدق والكذب، بقدر ما يحاول أن يعيد قراءة تلك الكتابات وفقاً لمستويات عميقة،



93

العدد (29)

يوليو
سبتمبر
2023م

هذه التساؤلات ظلت منذ ذلك الحين إلى اليوم تراوح مكانها، في حاجة إلى دراسات تحييب عن غامضها وتفتح مغاليقها، وإن كان بحثنا يدرس أسلوب البناء والهدم في رسم ملامح الصورة المشوهة للمجتمع الحضرمي وحضر موت، فهو يؤمن أن الواعر الأقوى لتلك الحملة التشويهية تنطلق من هذه القضية الرئيسية؛ الحيلولة دون وصول الزوجين للنقطة التي بذلا جهوداً مضنية، وأموالاً طائلة لبلوغها، فتعسر عليهم ذلك، إضافة إلى دوافع أخرى سيكشف عنها البحث في حينها، وإن حاولت الكاتبة الاستخفاف بعقول البسطاء بتبريرات واهية، تصل إلى حد الكذب والسذاجة، حين ادّعت أن هدفها وزوجها من القدوم إلى حضر موت هو قضاء وقت الشتاء في مكان دافئ؛ لأن بلدها بلد بارد^(١٨) فهي تجسّد أعداءاً أقبح من ذنوب.

الهوامش:

- (١) جنوبي جزيرة العرب، ثيودور ومايل بنت، ترجمة هناء خليفة، تحرير وتعليق، د. أحمد إيش، ط (١)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، ص ٩.
- (٢) السابق: ٩.
- (٣) السابق: ٢٣.
- (٤) السابق: ٢٣.
- (٥) سورة البقرة: ١٨٧.
- (٦) ينظر، سورة هود: ٨٢.
- (٧) أكاديمية عراقية، جامعة بغداد.
- (٨) بحث الرحلات الأندلسية والرحلات الأوروبية في تقارب الثقافات، ليلي فاضل حسن، كتاب النقد الحضاري في الوطن العربي، ط (١)، ٢٠١٨م، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن: ٣٣٣ / ١.
- (٩) جنوبي جزيرة العرب: ١٠٩.
- (١٠) السابق: ١٠٩.
- (١١) السابق: ١١٢.
- (١٢) السابق: ١١٢.
- (١٣) ينظر، التحليل البنوي للقصص، رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، ط (١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، ص ٢٣.
- (١٤) جنوبي جزيرة العرب: ١١٤ - ١١٥.
- (١٥) السابق: ١١٥.
- (١٦) الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، د. محمد عابد الجابري، ط (٥)، ١٩٩٤م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ١٠.
- (١٧) ينظر، جنوبي جزيرة العرب: ٨٨.
- (١٨) ينظر، السابق: ١٣٣.

ترسمها لغة تلك السياقات جملاً وألفاظاً، كاشفاً زوايا تشير إليها تلك الكتابات كانت مطمورة في التعاطي التاريخي التقليدي المدور لحرّة التاريخ، فليس للكاتب سلطة على آلية القراءة والتأويل للخطاب الذي ينتجه، كما يرى د. محمد عابد الجابري: «والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب. فالارتباط بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص... الكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقارئ يتلقى هذه الفكرة أو الوجهة من النظر كما يستخلصها هو من النص وبالطريقة التي "يختارها" (بفعل العادة أو بوعي وإرادة)، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له. هناك إذن جانبان يكونان الخطاب: ما يقوله الكاتب وما يقرأه القارئ»^(١٦).

وبالعودة إلى التساؤلات المطروحة: هل جسّدت تلك العقبات التي أسهم في رسمها الأشراف - وكل مكونات المجتمع الحضرمي - وإن كانت نابعة عن حسن نية تقوم على عدم السماح بتدنيس المقدس، كما هي نظرة الوعي الجمعي الحضرمي تجاه من ليس على دين الإسلام، سواء كان كتابياً أم غير كتابيٍّ أمام وصول المستكشفين الأجانب فعلاً في تأخر كشف المكوّن الحضاري الحضرمي، وإعاقته عن مواكبة حركة التاريخ الحضاري في الجزيرة العربية، والعالم أجمع؟، كما تحاول الكاتبة أن تقول من خلال نسقها غير الحميد تجاه الحضارمة على وجه العموم، وطبقة السادة (الأشراف) على وجه الخصوص، أم أن ذلك التحامل على هذه الطبقة؛ كان وليدًا لتلك المجابهة لقيادة الرأي المجتمعي الحضرمي للحيلولة دون وصول المستكشفين الأجانب إلى أماكن تجسّد رمزية خاصة لدى التيارات الدينية السائدة آنذاك في حضر موت؟

لكن في المقابل ترى الكاتبة أن في وجهة نظر السادة (الأشراف)، ومن اتبع نهجهم من المشائخ والفقهاء، في قضية عدم السماح بدخول الأجانب حتى عمق حضر موت، أنها كانت نابعة عن تعصّب، بل تغالي في الوصف بأن وصفهم بالحماقة، التي قادتهم إلى تكفير السلطان نفسه، الذي يحاول أن ينهض بالوضع الاجتماعي الحضرمي؛ لتتنع القارئ بأن ذلك الرفض لم يكن مصدره خوفاً من تدنيس مقدس، بل هو نابع عن تعصّب وحماقة^(١٧).

التناقل البحثي في مجال الأبحاث

(٢ - ٢)



وهذا هو بنفسه تكرار للفكر التناقلي الذي يهدف كله إلى إبعاد فكرة النقد عن الواقع المتناقل، وهذا ليس حلاً لمشاكلنا التي ندعي أن سببها عدم تسليمنا لما جاء عمن سبقنا، لكن الإطار الذي نريده من هذا البحث هو نقد المحتوى والتحقق منه، وبخاصة أن بعض هذه المراجع بها متناقضات، لا تستقر في نسقها البحثي؛ لفقدائها الكثير من المرتكزات، ولغياب قنوات النقد من وقت مبكر عليها، فالنقد لهذه المراجع من وجهة نظر الباحث لا ينبغي بالضرورة أن يقدم نسقاً للحقائق السابقة، أو يبدلها بجديدة، وإنما قد يؤكد على صحتها، وقد يتيح لها رؤية جديدة قد لا تسرُّ في بعض الأحيان خصوصاً عندما يمس الأعمال الباطنة، التي أخذت كمسلمات، وهي بذاتها تنقلات لم نخضع لعملية التفحص، وبهذا فهي عاجزة على أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام، وبهذا فإن اقتحام أنفسنا في سبيل الظفر بشيء من الأمل في نقد التنقلات المحلية، وبعض المعلومات التاريخية، أو الكميات المقاسة تنتج مقارنة أفقية تحمي نفسها بالعقول التي يؤمن بها من شيوخ علم في المفهوم المحلي وأساتذة بعض الجامعات وأبحاث مجازة في المفهوم العلمي، في الوقت نفسه تحسر الجهات الناقدة المحلية كثيراً من قوتها، خصوصاً إذا جاء النقد من الباحث الأجنبي وفي زمن غير متوقع، فتصبح عملية التصحيح واجبة وحتمية تفرضها البيئة الضاغطة، وهكذا يختفي حدث الإغلاق وتفتح بعض المراجع من صناديقها



م. محمد سالم مصباح*

من خلال ما تم عرضه يتبين أن الفكر الثقافي المحلي بهذه الكيفية مغلق تماماً، ولا يفكر أصلاً في إصلاح ما يجب أن يتم إصلاحه؛ لكونه يؤمن بأن الأقدمين أتقياء وأكثر معرفة بالعلم، وحتى النقل بالتواتر في القضايا الدينية المصاحبة للكثير من العادات التي غُلِّقت بغلاف كثيف من التراث الإسلامي المتناقل وصارت ملزمة كعادات غارس بحرص، وهي عناوين لقضايا مرشحة للبحث.

إن الجيل الذي يحاول نقد الواقع هو من يدعو إلى إثارة الفتن والنعرات، وهذا بنفسه سورٌ جديدٌ آخر نبنيه خارج هذه الصناديق؛ حتى لا يرى للباحثين شيء منها، وللأسف يتم بناء هذه الأسوار في أروقة الجامعات التقليدية التي تتفاخر في منح الشهادات العليا في المنقولات النصية، وتزيد من أسوار النقولات غير المفحصة دون أن يتم تفحصها كخطوة أولى،



الإطار الذي نريده من هذا البحث هو نقد المحتوى والتحقق منه، وبخاصة أن بعض هذه المراجع بها متناقضات، لا تستقر في نسقها البحثي؛ لفقدائها الكثير من المرتكزات، ولغياب قنوات النقد من وقت مبكرٍ عليها، فالنقد لهذه المراجع من وجهة نظر الباحث لا ينبغي بالضرورة أن يقدم نسفاً للحقائق السابقة، أو يبدلها بجديدة، وإنما قد يؤكد على صحتها، وقد يتيح لها رؤية جديدة قد لا تُسرُّ في بعض الأحيان ،

شديدة الحساسية والتعقيد أو تلك القضايا التي يخاف الاقتراب إليها، وأن نتحلى بالشجاعة لفحص المسلمات والتناقضات، لا لنسخر منها أو نكذبها؛ لكون الواقع الفكري اليوم يمنعنا ألا نكون باحثين ساذجين، فالابتعاد الفكري والانغلاق على ما في الصناديق الفكرية من مراجع يساعد بين طرفي المعادلة النقاشية؛ لأن النظرة الساذجة لم تعد مفيدة اليوم، ويجب أن نعي مدى العمق في يقيننا بأننا متورطون في عدم الشك في المنقولات التاريخية والحقائق الأخرى التي نعدها ثابتة، يجب علينا أن نطرحها بوضوح تام، وأن نباعد عن الخوف الذي ترعرعنا عليه، وهو الخوف من إشعال نار الفتن التي ستأكل الأخضر من وجهة نظرنا وخصوصاً فيما يتصل ببعض القضايا الدينية. إن عجلة التاريخ تتحرك ولا أحد يستطيع إيقافها حتى تتقدم الحضارة، يقول المفكر الألماني هيجل^[٨]:

ليتبين ما فيها من الصبح، وابتعد الحرس عنها ويستسلمون دون مقاومة تذكر وتفسر حالة فتح المراجع من صناديقها بأنها محاكمات معاصرة لأفكار العولمة التي غزت العالم، ولي أن أضرب مثالا عن ذلك حتى يكون كلامي جلياً لما أقول كان الناس يؤمنون علم اليقين بحسب التنقلات التاريخية أن قبر عباد بن بشر الأنصاري يقع في حضر موت في موضعه الحالي وعاشت على ذلك أجيال واعتمدوا على هذا على النقل التاريخي دون أن يعلموا أن لهذا الشخص قبراً في بلد آخر، واستمر الأمر يتناقل بين الأجيال وفي الكتب البحثية ويُغلف بشيء من القداسة الدينية، وتشدد الرحال إليه وتحرق لأجله البخور، وفي وقت ليس ببعيد بعد التواصل البحثي والتقصي لشخصية الرجل تبين أنه من شهداء اليمامة^[٧] ولم يكن قد جاء إلى حضر موت أصلاً. ونحن هنا لا نريد أن نصدق أو نكذب الواقعة ولكننا نضربها أنموذجاً لمادة نقلية بحثية كان يتم تناقلها تاريخياً على أنها أمر مسلم به دون تفحص وذلك لقصور البحث الشامل فتم تقبلها كمادة مسلم بها تم تصديقها وتناقلها في المراجع. وبهذا فلا ينبغي التنازل عن محاولة إدخال الفكر الناقد إلى عقول الباحثين حتى يتصدوا للمشكلات والمتناقضات التاريخية المختلفة التي يدعون لبعضها الثبات بدافع من أهل الخطاب النقلي المسلم، من هنا يشرق وميض جديد لفعالية الفكر المتداخل الذي عجن محتوى هذه المراجع ومحاولة فهمها في مفاهيم افتراضية تتيح لهم فهم ذاتية جديدة.

إن تحفظنا عن نقد الواقع النقلي البحثي في الأبحاث العملية يؤكد مدى قدرة العجن الذي حدث للمراجع خلال حقبة وسنوات مضت استنفرت قوى عدة تعاونت ضد أية احتفالية ولو اسمية تحاول الإشارة أو التشكيك في أي بحث نقلي وتقبله على أنه مسلم به، وهنا علينا أن نؤسس مراكز بحثية علمية منزوعة العاطفة توجب عليها أن تسبح في مناح منفتح حتى تقدم لنا أفكاراً ذات مقدرة كبيرة على تشخيص القضايا



علينا أن نؤسس مراكز بحثية علمية منزوعة العاطفة يتوجب عليها أن تسبح في مناخ منفتح حتى تقدم لنا أفكاراً ذات مقدرة كبيرة على تشخيص القضايا شديدة الحساسية والتعقيد أو تلك القضايا التي يخاف الاقتراب منها، وأن نتحلى بالشجاعة لنفحص المسلمات والتناقضات، لا لنسخر منها أو نكذبها؛ لكون الواقع الفكري اليوم يمنعنا ألا نكون باحثين ساذجين

(إن الحضارة تتقدم بالتكرار للتاريخ)، ولهذا فعلينا أن نؤمن أن القضايا التي نتحفظ عليها لا بد أن تظهر للجميع، وأن ظهورها مبكراً وتصحيحها في الوقت الحاضر يكون أفضل من ظهورها في فترة متأخرة من الزمن؛ لتتخلص مبكراً من تداعيات التصحيح الختامية، التي ستم عليها، في الوقت نفسه، علينا ألا نستحي من إظهارها؛ لأن ما كان قوياً منها هو الذي سيصمد أمام المتغيرات، أما الذي فيه من الزيف علينا أن نبعده؛ لأنه تاريخنا المحلي ليس كله مبحوثاً بحثاً معمقاً مدققاً، وليست كل قضايا واقعنا المحلية وحتى التاريخية موضوعة على الطاولة، ولكن الموضوع هو ما اتفق عليه في وجهة النظر الجماعية الفكرية، فمثلاً أصبحت عملية صناعة الأبحاث اليوم، ومنها التاريخية والأدبية مجرد إعادة إنتاج، ونجد الباحث ملزماً هنا بالرجوع إلى المراجع المصبوغة بصبغة واحدة، ويصبح بحثه في نهاية المطاف مشوباً بعاطفة أهل زمانه، ولا يمكن أن يجيد عنها؛ وذلك لكثرة المراجع المتكررة وغير المراجعة، وكلها مؤيدة في هذا الإطار، هذه الأمثلة وغيرها ما هي إلا انعكاس لحالة الفكر الثقافي، الذي يعيشه الواقع المحلي البحثي الذي يُبحر في عصر المسلمات، ويستلذ بإعادتها كما هي، وهو إعادة الإنتاج الذي اعتادت عليه الجامعات التكرارية، التي تنتج المنتج نفسه، وخاصة في الأبحاث الأدبية والدينية، وتدريب الطلاب على إنتاج الكتب التكرارية، التي إذا تم وضعها بالمنهج العلمي الحديث لصارت بضعة كتب، فعلى سبيل المثال وليس إنقاصاً منها أن ما يدرسه طلاب الدراسات الإسلامية في غالبها كتب مكررة، من الرؤية البحثية، فمجال الدراسات الإسلامية يحتاج إلى توسيع أفق الباحث، وتوسيع الأبحاث في الاتجاه الرأسي لا في الاتجاه الأفقي السطحي العاطفي، المنطلق من تقديس الأشخاص، بمعنى أن طالب الدراسات الإسلامية يفترض أن يدرس لغات أجنبية أخرى؛ حتى يُغني تفكيره، ويسهل تعامله مع غير المسلم؛ لأن اقتصاره على اللغة العربية التي يدعيها ويدافع عنها ويضفي لها شيئاً من القداسة كلغة

للقرآن لا تنفي في مواجهة غير المسلم، وتجعل بحثه مقتصرًا على الناطقين باللغة العربية فقط، فالبيئة العربية نراها لا تحتاج إلى عدد كبير من المختصين أو الوعاظ، وهذا ليس بهدف الإقلال منهم، ولكنها مؤشر في مكوّن الجودة لافتقار المتخصص إلى لغة التواصل مع العالم، وماذا عسى أن يكون زيادة العدد الكبير من الوعاظ الذين يتلقون لغة واحدة فقط، هل سيخلق ذلك كله مجتمعاً ملائكياً! أو نشر للدعوة الإسلامية لكل العالم! بالتأكيد لا؛ لأن الفهم وحاجة الجامعات المحلية يتأثر بقوة الفكر الثقافي والبيئة المحيطة، فمثلاً حينما انضوت حضرموت تحت الفكر الصوفي صارت أعلى درجات الباحثين في كتبهم ومراجعهم تكون في إشباع التغذية الروحية، وكانت النتيجة النهائية بلوغ المرام النفسي والرضا العاطفي، وهو ما انعكس على المجتمع في أعلى صورة له في ظهور علوم دينية، مثل (المكاشفات، والمنامات)، والتمسك بالأقدمين، ولا نريد أن نصل إلى خلافات معهم، ولكننا نرصد المحصلة النهائية على



من المؤكد أن التعليم اليوم قد انتقل من سلطة المعلم والكتاب الأوحـد إلى الفضاء الإلكتروني ولم تعد طريقة التربية التبعية الوعظية بدون سؤال تنفع بشيء، وأن الحقيقة التاريخية والوقائع التي نتحفظ عنها ونخاف عليها من المناقشة أو الظهور أو إعادة النظر فيها هو اختيار ظالم لنا وللأجيال القادمة، فالجيل القادم لن يترك شيئاً إلا وتفحصه، وسيعرف أن هناك كثيراً من الحقائق غير صحيحة، كنا نخفيها عنه يجب الاعتراف بها وتصحيحها ،

تريم بها ٣٦٠ مسجداً^[٩] في زمن القرن الثالث عشر الهجري، ولم يعد ينظري على أحد قداسة عادات وتقاليده ساذجة نعيد تكرارها، فهذه سطحية كنا نغلف بها خوف الاعتراف، وما نعمله وننقله في كثير من الأبحاث الحديثة ما هو إلا إعادة تثبيت الخطأ، مستأنسين بقداسة الجيل السابق، الذي أوصل من عاش فيه إلى مرتبة أبعد من القداسة في بعض الأحيان من كثرة المبالغات في الطرح، الذي نجده بكثرة في الأبحاث الأدبية الوصفية، وحتى ما يأتي ملتصقاً بالتراث الإسلامي، ووجدنا أنفسنا لم نستطع أن نبلغ شيئاً منها، كالقدرة على العبادة المستمرة لقصورنا كبشر، وهي صناعة شكلية للبحث على العبادة.

لقد أصبح اليوم من غير المستبعد أن تفلتر الكثير من المراجع والكتب، وتوضع تحت بعضها خطوط حمراء؛ لتكون مادة للمراكز البحثية؛ للنظر فيها، وتصويب ما يمكن تصويبه، وحتى التاريخية منها التي بها متناقضات مختلفة أن نقلل قدر

الرغم من أن الفكر الصوفي عاش قروناً من الزمن وإلى الآن لم يخلق لنا مجتمعاً ملائكياً! كما يُظنُّ منه، بل خلق لنا جيلاً قليل عنه إنه اشتغل بالآخرة وترك حطام الدنيا.

إن النظرة العامة للعالم هي السبب في تشكيل الفكر الإنساني، فقد اشتغل هذا الجيل بالآخرة ولكن جيل اليوم يعيش متناقضات وقضايا متتابعة، ولا زالت تُصدَّر للجيل الجديد عبر تكرار الأبحاث، فلم تخلق تلك الفترة مفكراً أو عالماً، يصور سلبيات توجهات عصرهم الفكرية، باستثناء بعض الشعراء والمفكرين القلة، الذين نعدهم علامات التميز في التاريخ المحلي، وأصبح الفكر المتحصل عنهم إعادة تمجيد هؤلاء، ومنحهم هالة مجانية من العلوم في شكل استنتاجات وتنبؤ آراء قالوها بأنها امتداد لهم، وهذا المفهوم في الاتجاه البحثي يُعد دوراً حلزانياً، يهدف إلى تعليب آراء الماضويين، وإضافة شيء من القداسة لها، والأرشفة وإخراجها في شكل أبحاث حديثة؛ حتى يتم اعتمادها أبحاثاً مضافة عنهم للجيل الجديد.

أعتقد أنني بهذا الطرح قد اقتربت من حيز شديد الحساسية لدى الأوساط الفكرية والثقافية، وأعلم أنني قد أتهم بالانفصال أو الانفلات أو غيرها من القيم، التي اعتادت عليها النخبة المثقفة أن تطلقها على من يحاول التأمل في الفكر المحلي، ولكنني أدعو الباحثين وخاصة الجيل الجديد إلى التبصر والتأمل العميق في الثورة العلمية الحديثة التي لن تترك لنا شيئاً إلا وتحققت منه، وهي إشارة يجب أن تصل اليوم قبل أن تصل في الغد؛ لأنه من المؤكد أن التعليم اليوم قد انتقل من سلطة المعلم والكتاب الأوحـد إلى الفضاء الإلكتروني ولم تعد طريقة التربية التبعية الوعظية بدون سؤال تنفع بشيء، وأن الحقيقة التاريخية والوقائع التي نتحفظ عنها ونخاف عليها من المناقشة أو الظهور أو إعادة النظر فيها هو اختيار ظالم لنا وللأجيال القادمة، فالجيل القادم لن يترك شيئاً إلا وتفحصه، وسيعرف أن هناك كثيراً من الحقائق غير صحيحة، كنا نخفيها عنه يجب الاعتراف بها وتصحيحها، فلم يعد ينظري على أحد اليوم أن

غالب هذا المنتج المحمول على أكتافنا به الكثير من القضايا والمتناقضات نخشى عليها من التفحص، والذي هو جهاز المناعة لها، وأن الاستمرار في إخفائها سيكون وبالاً علينا إذا لم نتحرر المصادقية فيها، ونلغي فكرة الانتماء لتوجهات المذهبية الفكرية، ونسلط الضوء على التحقق من الأبحاث بعين الناقد، لا بعين العاطفة التي نكرر وجودها بسطحية أفقية، متخذين من تقنية النسخ واللصق خير أداة

وهي درجة من درجات التفحص تمت في زمنها، أمّا اليوم فإن الحاجة ملحة إلى تحديث مراجعنا وتفكيكها، وأن نكون قادرين على الوقوف وسط الحقيقة في الواقع، وأن جمع المعلومات والمعارف التي يتم تجميعها بصورتها الحالية تظل لا ترقى إلى مرتبة المعرفة حتى وإن كانت هذه المعلومات ضمن متطلبات الامتحانات التي تركز وتحشد لها المعلومات والمعارف بطريقة تجعل منها ذات أهمية كبيرة، لذا يبقى الباحث مرتبكاً ومحتاراً في حضرة الواقع الحقيقي، والذي يظهر مختلفاً؛ لأنه لا يملك المعرفة التي تؤهله لأن يكون قادراً على تحدي بعض المسلمات، التي يرى أن بها خطأ، وذلك لأن المعرفة في بعض القضايا سبق أن تم إسنادها للسابقين الذي يرون أن المعارف منهم هو الذي يجب أن يخلد رأيه حتى وإن تبين خطأ ما عنده طالما أن رأيه منقوش على المراجع، وأن على الباحث اليوم مواصلة التكرارية على أساس هذا الفهم، وهكذا تكون المعرفة غير عملية في تأثيرها وامتلاكها للقوة؛ لكونها مملوكة من سابق، ولا يجب ادعاء

الإمكان منها؛ لأن أماننا ملصقات فقدت قوتها على الالتصاق، وبعضها في طريقه إلى فقد الالتصاق. فنحن بحاجة إلى أن ننقل الحقائق الصحيحة، وأن نعترف بأن المدارس التي تؤسسها ونعقد عليها الأموال الكثيرة، ونسميها بحسب ردة فعل التوجهات الفكرية^[١٠] هذه كلها محاولة للبقاء في الطابور، والخوف من سحب بساط الاعتراف؛ لأن غالب هذا المنتج المحمول على أكتافنا به الكثير من القضايا والمتناقضات نخشى عليها من التفحص، والذي هو جهاز المناعة لها، وأن الاستمرار في إخفائها سيكون وبالاً علينا إذا لم نتحرر المصادقية فيها، ونلغي فكرة الانتماء لتوجهات المذهبية الفكرية، ونسلط الضوء على التحقق من الأبحاث بعين الناقد، لا بعين العاطفة التي نكرر وجودها بسطحية أفقية، متخذين من تقنية النسخ واللصق خير أداة، ومع هذا كله فإن هدف الباحث العام من هذا البحث هو رصد حالة جزئية من نافذة الفكر النقلي، واستشراف الرؤية المتوقعة للغد من خلال اليوم، وهي بمثابة اختبار الأدوية التي لم تعد صالحة للاستعمال اليوم، ولا يعني أن من استعملها نعهده مذنباً، أو أنه سقط من مفهومنا الفكري، بل نعهدها دواءً تم تناوله وفق وصفة كانت مفيدة في حينها، أمّا اليوم فقد ظهرت أمراض أخرى علينا أن نحصن مراجع كتبنا منها بفلتر الصحة منها، فلو أن خبراء الطب والصيدلة بقوا على الأدوية نفسها التي استخدمت قبل ٥٠ سنة لما تمكّنوا من الحصول على علاجات ناجعة، وحتى إذا تم التصحيح لم يعد الذي ابتكر الدواء في بداية التعرف على المرض منقوصاً من شيء، ولكنه يعد درجة في سلم طويل، ربّما نحن نكون درجة فيها، وسيأتي آخرون يرتفعون عنّا درجات، وهذه طبيعة العلم؛ فالعلم ينمو أفقياً ورأسياً، وليس كما نعتقد عاطفياً، وهكذا فإنه حينما نعظم من شأن معلومات في مراجعنا وهي خطأ وأثبت العلم ذلك فما الخوف من تصحيح الخطأ، ولا يعني ذلك إنقاصاً من قيمة هذه المراجع، لكن الأداة التي استخدمت في تلك الفترة كانت لا تكشف عن كل الصورة، ولم تخترق الجلد لتصل العظام، فكان فحص الأداة في ذلك الزمن بدايئاً سطحيّاً،



الخلاصة:

استعرض البحث رؤية عامة لما عليه واقع التناقل البحثي، وهذا البحث لا يعد كافياً للعبور إلى المستوى الناضج للتحقق من معلومات المراجع، ولهذا كان على الباحث أن يقدم سؤاله في شكل مبحث يجرب فيه صيغة جديدة، يصعد بالقراء من الأسفل إلى الأعلى، وفي كل درجة من الصعود يتحقق من ماهية ما يقصده من عملية التحقق من التناقل في المراجع وجوهره، وبحقيقة الأمر فقد كانت الدعوة للتحقق من معلومات المراجع هي بذاتها مشكلاً أكبر مما تم رسمه ذهنياً للتوصل فيما يقصده، فقد اتضح أن هناك علاقات تشابكية معقدة، وحالة من الغموض معقودة بين الباحثين التقليديين وأبحاثهم التي قد تفهم في ميدان المعارضة أو الضد، ولكنها حالة أراد الباحث منها توضيح التباينات التي تحوّل دون التحقق من معلومات المراجع في الأبحاث التي يجب أن تكشف وتحقق، فهي تظهر في شكل تقاطعات متناوبة من التناقض في المراجع البحثية وتقريبها من المحك هو بيت القصيدة؛ حتى تكون الأبحاث المقدمة رصينة، وغير متذبذبة، وغير مهتزة بمجرد نقد جزء منها، وهذا في معناه يمثل حالة من عدم الرضا نسوقها ونحن نعلم أنها محاطة بشيء من عدم القبول لدى كثير من المثقفين، وقد تلقى بعض المعارضة أو ردة الفعل المعاكسة، وهي حالة يجب أن نقبلها كما هي لأن شعبية التفكير التقليدي هي الضاغطة على واقعنا المحلي، وقيود عدم التحرر فرضه نفسها، في الوقت نفسه، نحن ننظر إليها خطوة أساسية أولى مبكرة للعلم الحديث في خطوطها الرئيسية، ويريد الباحث في كل الحالات أن يطفو ببحثه في ظل تنامي طالبي الدراسات العليا، وهي حالة متقدمة يحتاجها مجتمعنا في حضرة موت بولادة الجامعات الجديدة، ومع ذلك يظل هذا الانجذاب متوقفاً على نوع الجودة في المنتج البحثي والجديد فيه، وهو معيار نادر للحالة الصحية فيه تكون ناتجة عن تصادمات معلوماتية وتحقيق المغامرة في مراجع عتيقة تشاهد كمسلّمات، وهي مليئة بالأخطاء المقصودة وغير

أحد من تلك جديد نؤوّل به متطلبات الباحث. ونحن نرى كباحثين في جيلنا أن مهمتنا تطوير السؤال المهم للباحث، وهو لماذا لا نطور فكرة النقد المعرفي السابق؟ وبأي معنى من المعاني يمكننا فهم المعرفة المسبقة؟

في الواقع إن طرح هذا السؤال يثير لبساً كبيراً ينبثق من تحدي بعض المراجع، بما فيها مراجع التراث الإسلامي^[١١] الذي سيتم سحبه من السجل؛ لأن الجميع يسعى جاهداً بصيغة صارمة إلى أن أي خطوة إلى الأمام في هذا المسار هي فتنة في نظرهم، ومن يتولّى هذا الفكر هو شخص غير عقلاني، ويذهب بعيداً، ويفتح على نفسه باب التهم والإساءة، والواقع أن هذا هو غلق التفكير الحر الذي ستؤدي خطواته إلى معرفة أوسع، وعلى أساس هذا الاعتبار علينا أن نشطب من فكرنا الكلمات الدالة على السببية والبحث كيف؟ ولماذا؟ وهذا في الواقع هو الحال الذي به أن المغالطة لا تبدو أمراً عرضياً، بل إنها تضرب بجذورها في تاريخ موغل في القدم، وهذا هو الإخفاق الحقيقي الذي سوف يؤدي إلى دفع فاتورة مضاعفة من الجيل القادم ويصبح من الصعب جداً أن يتم تفكيك الأخطاء بسهولة. فالباحث الذي يرغب بالصدق في الحيادية في الطرح العلمي يتعذر عليه الوصول وبلوغ الهدف الممكن، وهذا يعبر عن سوء التفكير المحرز بطريقة صارمة بنصوص وروايات قدس قدمها الزماني وجودها في المراجع، وأصبحت رقماً يجب عدم مخالفتها حيث تمضي قدماً إلى تجميد صيغ علمية وقوالب دينية؛ لأن المفهوم المجتمعي يرى أن التفسير الديني المقدس يسبق العلم، وتصبح عملية السؤال أو التجديد أمراً مرعباً ورهيباً ولا معقولاً بالنسبة للفكر في الوقت الحاضر. ومع أنه بصرف النظر عن نوع الباحث الذي يرغب في التحقيق التاريخي أو الديني فإنه يتطلب منه أحياناً أن يعمل بدون قواعد صارمة معتادة، وذلك بسبب أن المركب المبحوث في مراجع التراث الديني أو التاريخي هو مركب بهذه الكيفية، مما يستدعي أدوات تفكيك أخرى غير أدوات التركيب المسبقة؛ لكي تتم عملية التحقق من المراجع.



” ينتهي بحثنا هذا بوضع الأصبع على الجرح وضعاً مؤقتاً، مطالبين بإنشاء مراكز التصحيح للمراجع السابقة، والفرز قبل النشر، ريثما يأتي الوقت المناسب للتصحيح باقتحام المراجع، وإزالة عقد النقص والخوف، التي يُقيد بها أساتذة الجامعات المحلية طلابهم نتيجة انغلاق الفكر الذي تربوا عليه، واقتصره على ما قدمه الأقدمون، وإراحة الطالب من التفكير الحرفي والاكتفاء بترديد عبارات منقولة عن المراجع “

الهوامش:

- (٧) ينظر الى كتاب الكامل في التاريخ، ٢، صفحة ٢٤٧.
 - (٨) فريدرش هيجل مفكر وفيلسوف ألماني عاش في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.
 - (٩) ينظر إلى كتاب فان دانيال و ميولين در. ص ١٦٣.
 - (١٠) بعض المؤسسات التعليمية تطلق على نفسها (الوسطية الشرعية).
 - (١١) يقصده الكثير من القصص التي تتكرر عن تاريخ التراث الإسلامي التي رسخت في الفكر المجتمعي كعادات لدى السذج من الناس والتي بها من المتناقضات ما تنفيها وما تبين خطائها ويتم تناقلها كمسلمات.
- المراجع العربية:
- الشاطري، محمد احمد. [١٩٨٣]. ادوار التاريخ الحضري، دار المنهاج ط٢.
 - بامؤن، أكرامة مبارك. [٢٠٠١]. الفكر والمجتمع.
 - الحارثي، فهد العرابي. [٢٠١٠]. المعرفة قوة. الدار العربية للعلوم، الرياض. ط١.
 - الصبان. محمد عبد القادر. [١٩٩٨]. زيارات وعادات نبي الله هود. المعهد الأمريكي للدراسات اليمينية
 - مؤسسة الفكر العربي. [٢٠١٨]. الابتكار أو الاندثار في البحث العلمي العربي واقعه وتحدياته وآفاقه، التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية.
 - فان دانيال و ميولين در. [١٩٩٨]. حضر موت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة القدال محمد، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١.

المراجع الأجنبية:

1. Engsen Ho, C. [2018]. The Graves of Tarim, Genealogy and Mobility across the Indian Ocean, Pag22.

المقصورة، كما لا يمكن أن نتجاوز مقولة (إن التاريخ يكتبه المنتصر)، هذا الزخم الكبير من المعلومات غير المراجعة هي التي تواجه الفكر اليوم، وتحدد مساره دون أن نشعر بها وهي المسبب الأبرز لحدوث النزعات، وإن كنا قد بالغنا هنا، لكن شيئاً حقيقياً يجب أن يكون في حالة ما إذا ما روجعت هذا المراجع، وتم انتشالها مما بها ولو بنسبة ممكنة من الشوائب الواضحة كحد أدنى يمكن أن يرى طافياً على السطح بدون نظارة طبية أو مكبراً يدوياً، وقد تستمر هذه الحالة لفقد مثقفينا التفكير في إنشاء قسم في مراكز النشر الكبرى كحالة إسعافية قبل نشر الكتب والأبحاث؛ لأننا نعيش اليوم في مرحلة زادت فيها المساحات المخصصة للقُرّاء، وبالتالي زادت رقعة التناقل للمعلومات منذ ظهور النشر الإلكتروني، وتحول القارئ إلى شريك متفاعل إيجابي لا يمكن حجبهِ عن الواقع، وقبل هذا كان من المفترض انتزاع عقدة الأنا، التي تقود إلى عدم الاعتراف بما هو مشاهد في بعض معلومات مراجعنا من أخطاء لكي تصحح، والإشارة موجهة إلى أعلى من في السلم الثقافي وهم أساتذة الجامعات.

وينتهي بحثنا هذا بوضع الأصبع على الجرح وضعاً مؤقتاً، مطالبين بإنشاء مراكز التصحيح للمراجع السابقة، والفرز قبل النشر، ريثما يأتي الوقت المناسب للتصحيح باقتحام المراجع، وإزالة عقد النقص والخوف، التي يُقيد بها أساتذة الجامعات المحلية طلابهم نتيجة انغلاق الفكر الذي تربوا عليه، واقتصره على ما قدمه الأقدمون، وإراحة الطالب من التفكير الحرفي والاكتفاء بترديد عبارات منقولة عن المراجع وبعبدة عن الحقيقة، والتي فيها من علامات الاستفهام الشيء الكثير، وهي حالة مؤلمة تحتاج إلى مشروع نهضوي كبيرة لإزالتها، ورفع الستار عنها حتى نسهم في النضوج الفكري.

* ماجستير عمارة وتخطيط جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.



الذي يتزوجك.. ما له جزاء

قالتها سيئونية

تحنّ وترنّ وتضحك المشتحنّ

تعالوا نسلو مع جلسة الشاهي السيئونية

من أمتع اللحظات وأسعدها الجلسة الرومانسية السيئونية
مع الزوجة، وعلى عدة الشاهي، بعد تناول الغداء، فوسادتان
عن يميني وأخريان عن شمالي وبالمثل من خلفي، وأم البخاري
ماثلة أمامي، فإن كنت سلطان زماني؛ فهي ملكة الأماني بعد أن
أغلقت أبواب النوافذ السفلى خشية العيون، وتسربّ روائح
معسلة السري والدخون، أما صحن الحنظل وما يرافقه من
لوز كوشان وبالدجر والحبيبة والصمبره مليان والباطاسة
شمملت كل الألوان أمامك بنت العم هي الحبيبة الأم، فهي
الإنسان وحبّات الحنظل، كل كبيرة منها تنشدني أن آخذها
الأولى ليتطاير قشرها ليصل قرب من أهوى متجاوزاً عدة



غالب صالح بن علي الحامد



الشاهي، وهنا لي تعليق لذكريات الشاهي (الفن وأبو ولد)، وهي تشغل نفسها لتمسح الرماد، وتسرق النظرات؛ لتراقب ما يدور، علماً أن وضع جلستها على الأرض والرجل اليسرى معطوفة ومسددة على الأرض في حين أن الرجل اليمنى معطوفة ومرتكزة، وتحدث من الحديث ما لطف وما خف روحه وما كان ملائماً مع جوّنا الرومانسي، فكل شيء حولنا جميل، ويقطع البخاري صمتنا ليعود فائراً معربداً؛ ليعطيها خبراً أن تبعد المنشقة، وتكرّس الشاهي، أي: تسكبه مراراً بفنجان وتعيده إلى وضعه بالبراد وعلى البخاري على يمينها ليرسخ الشاهي. ما أروع تلك اللحظات! فهل رسخ الشاهي أو شبع رسوخ، يأتيني الفنجان منتصفاً بالشاهي، ويحمل ملعقة كعصا راقص الشبواني، وبجواره قصعة التعبور بحلاوتها كطاسة عدة الشبواني، وأول فنجان شاهي أول صبة من القاطع تحمل وإياها لدعة الشاهي وكسرة الخرمة، وتشعر بذوق نقول عليه: طلع بالرأس، فيصدر عنك صوت لا إرادي أم، وتشعر هي بإعجابك بها وبشاهيها، وما لمعان عينيك إلا رسول بينك وبينها، فتعود هي راغبة في تلطيف الأجواء وتتساءل ما هو

الشاهي التي تفصلنا، والبخاري بيننا يعطي خبر يهدر (يتغنى) يفور ويتحرك ويهتز كرسي البخاري من أطرافه على نغمات الدان. حتى تُقدم هي على إسكات صوت البخاري بأن تغمر ذرات الشاهي الممزوجة ذات الشعرة الطويلة والحبات الصغيرة والعطري والشاكر التي بالبراد بالماء الفائز من البخاري بعد غسله منه أيضاً وتعيد فتملاً البخاري من جديد، أي تزيده ماءً، وتحمله وتقربه منها، وتقرب منه وتنفض البخاري بأيديها، وبقوة يهتز معها جزء من جسدها وصوت احتكاك أذني البخاري مع ما تلبس بأصابعها، وليتخلص الجمر الذي بالبخاري من الرماد الذي اكتساه، ويعود أحمر لتغطيه هي بفحم صخر جديد، وتنفض في البخاري من قبل ومن بعد بفمها وبصوت مسموع أف، وتعمد أن يصلني رذاذ الرماد وهي ضاحكة؛ لتقول رذاذ الرماد مقابل قشر الخنظل المتطاير، وكلما زاد نفخها قوة أغمضت عينها، فأداعبها قائلاً: احذري (لي تحن وترن وتضحك المشتحن)، فتقف مباشرة وبابتسامة لاحياء في الدين، وتهدي الأمور لتضع البراد على قمة البخاري، وتغطيه جزئياً بقطعة منشقة، وقد بدأت أنا أشم نكهة



جواب (الحازب احزبك يحن ويرن ويضحك
المشتحن؟) وهنا أخذت الأجواء أكثر فكاهة
ورومانسية، تتعمد فيها المرأة الإثارة، إما بكسر
الضحكة الممدودة، أو حركة الرأس مع الشعر
إلى الخلف، ومنهن من هي أكثر جرأة تتعمد
تغيير هيئة جلستها لإظهار شيء من فتنها.
ها هو الجو غداً مهياً لأروي حكايات عادةً يرويها
الأزواج لزوجاتهم، كحكاية المرأة السيثونية
ومقولتها المشهورة: (من يتزوجش ما له جزاء)،

غنياً بما لذ وطاب يفتح الشهية؛ حباً في رجولته، حباً في الحياة،
وما عرف عنها من خفة الروح، وتتعمد المرأة لإضحاك الآخرين
وتسليتهم، فانتشرت تلك الحكاية: (من يعرّس عليك ما له جزاء)!
لماذا ما له جزاء؟ لكونه يقوم بالواجبات الزوجية المرجوة منه
وأكثر، فالمرأة لا تستغني عن رائحة الرجل، ولا الرجل عن
روائح المرأة، فهو كثير الاشتياق لها.

وهنا تقاطع الزوجة الحديث وتدير الشاهي من جديد بشيء
من الغنج والتهتك، قال (أبو بكر التوي:

خَلِي قَتَلْنَا بِالْتَهْتَكْ)، وتمد الشاهي بيدها
(ولي بالتقي يده بيدي) (بدير لي شاهيه
بالقانون) (وبالكفوف الراوية يعطي
نسيتنا أهلي)، وكلما رمد جمر البخاري
زادته فحماً؛ حتى يصير كل جمرنا
مخموداً، ويتغسل البخاري مع عدة
الشاهي ونضعه مقلوباً أعلاه أسفله؛
لنضمن خلّوه من قطرات الماء. أما (غثر)
الشاهي مروراً بالمتفلة المزهرية وما بها
من ماء فمن النافذة نجد له طريقاً،
وليعلم الجيران أننا قد طفيئنا البخاري!
وما أدراك ما البخاري؟!

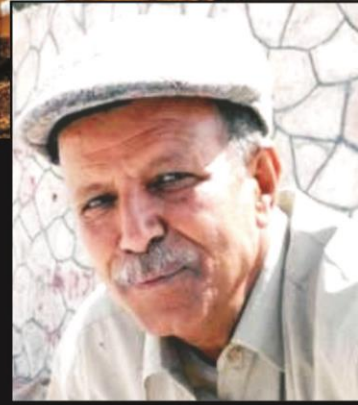
ونتساءل معاً لماذا ما له جزاء؟! ولكن ليس من باب الفضول
وإنما بهدف الإثارة تطول فتقول هي وبابتسامة مخفية: هل
كانت باصليه الله يرحمها المرأة السيثونية صاحبة المقولة من
يتزوجك ما له جزاء! هل بقيت بسيئون أو غادرت إلى الحجاز؟
ومن تزوجته هل كان متزوجاً؟ فأجيبها بأنها تزوّجت السيد
حسين قبله السقاف، وأنه كان مزوجاً ليس غنياً، في حين
وجد في باصليه من تقدّر العلاقة الزوجية، تغدق عليه غذاءً



ليلة غالب هلسا بالمكلا



ليلة على بحر المكلا برفقة الروائي والمفكر الأردني غالب هلسا، وكانت عدن قد احتضنت هذا الكاتب الأردني مع خروج رجال المقاومة الفلسطينية من بيروت عام 1982م، وكان حينها موجوداً في بيروت، ثم غادرها نحو عدن.



علي سالم اليزيدي

كنا في المساء على لقاء في منزل أستاذنا صالح سعيد باعامر، بل سكن غالب هلسا وكمال الدين في بيت صالح باعامر، فقد كان الظرف لا يساعد بالسكن في فندق، ولا تكفي المصاريف التي بحوزتهم، ولهذا فقد اقترحت أن يسكننا عندي أو عند صالح باعامر، مثلما كنّا نستقبل سعدي يوسف، وغيرهم في منازلنا، وفور انقضاء النهار اتجهنا إلى بيت باعامر، ثم تركتُهما على أن نعود في المساء، وخلال هذا الوقت هاتفَتُ أخي الأديب القاص سالم العبد الحمومي: إننا على موعد مع ضيفينا الأردني غالب هلسا وكمال، وأن يمر عليَّ بدراجته النارية المستعملة حينها.

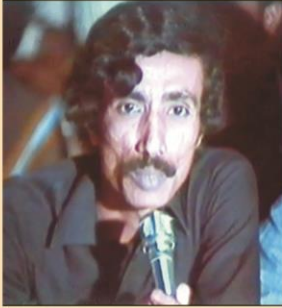
كان اختيار منزل صالح لإطلالته على البحر مباشرة، وفي وسط المكلا، وهو رحب كمعاقته، وكان سعيداً باستضافتهما والسكنى عنده، حتى أننا اصطدنا سمكاً من شُرْفَةِ صالح باعامر طازجاً، ثم أضفناه لمائدة عشاءنا ليلتئذ.

في ليلة لا تنسى، في بيت الأديب والروائي صالح سعيد باعامر، كنّا على موعد مع هذا الروائي المناضل، وكان الأديب العدني كمال الدين محمد قد أرسل لي برقية بشأن وصوله إلى المكلا برفقة غالب هلسا، وأعطى فرصة لهذا الكاتب العربي للتعرف على حضر موت وأدبائها وتراثها الثقافي من خلال زيارة اقتصرت على المكلا والشحر. وقضيت النهار أطوف بهم بين المكتبة والمتحف، وتجوّلنا في السوق، وتناولنا الغداء في أحد المطاعم الشعبية؛ فقد كانت رغبة غالب هلسا أن يتعرف ويلتصق بحياة المدينة، وكان يقول لي: تكرم أخي خُدي وين ما بدك، خلّني أشوف المكلا كما تعرفونها أنتم. تناولنا الشاي الأحمر الحضرمي في مقهى بازهير، تحت مسجد عمر، وتفرّس في ملامح المنازل، وتحدّث إلى الناس، وحاول أن يبسط كلامه بهدوء معروف عنه، وباقترابه من كلّ ما يراه، وأن يفهم من هم الحضارم، وأعطيتاه -أنا وكمال الدين- ما يريد من حُرّيّة ورغبةٍ يحتاج إليها.



الأديب غالب هلسا

كُنَّا موجودين أنا وسالم العبد، وقضينا ليلةً ساحرة بين موج البحر وشريط قصائد محمود درويش، منها أحمد العربي ومديح الظل العالي. وحديث شائق من غالب هلسا عن أيام بيروت وحياته في المنفى، وقصص رواياته، وأيضاً - وهو ما لم نكن نفهمه حينها - أن الرجل في أثناء حديثه معنا وكان سالم العبد ينظر إليه بدقّة، كان يُبدي قلقه عن أزمة العرب، التي بدأت بخروج المقاومة من بيروت، وأن انصياع قادة المنظمة للحلول والضغوطات الأمريكية لها دور خطير قادم، كان يقرأ ما لم نكن نفهم بحاسنا هنا وعَفَوَيْتَنا في بلد مُنزَوٍ صغير، وحتى عنّا قال: إذا ما تخلصوا من هالفقر هيك ما بظلوا على طول شعارات. ومن حالة الشّتات التي طاف بها غالب هلسا قال: كان بعض العواصم لا تُعجبه، فحضرنا ضيق، والبعض دور بعض السفارات فيها أكبر من القصر الجمهوري بها. قال: غادرت



الأديب القاص سالم العبد الحموي



الأديب القاص صالح باعامر



الأديب كمال الدين محمد

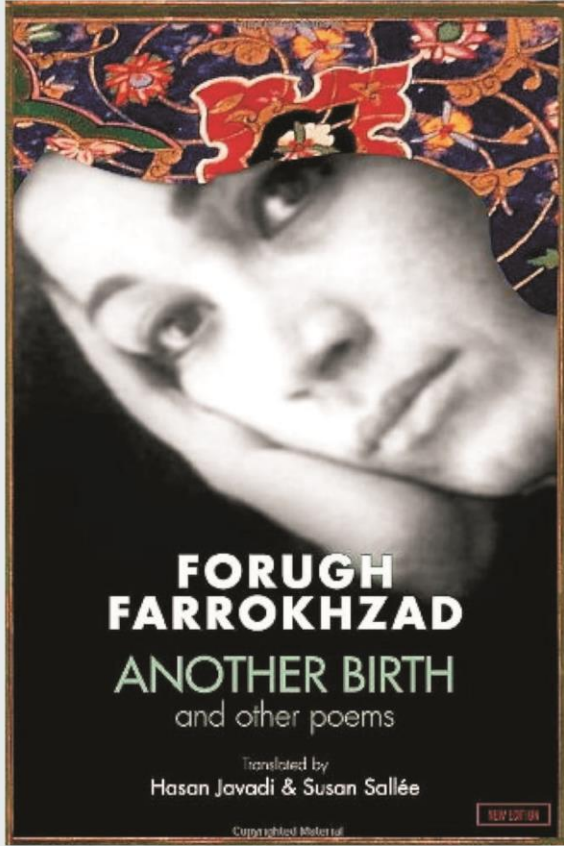


كاتب المقال علي اليزيدي

تحت مسجد جامع الشرح، فأركبُتهم سيارة أجرة مع الرُكَّاب، وأوصيتُ أحدهم بالعناية بهما: غالب هلسا وكمال الدين محمد، الذي نجح أن يكتب في هذه الزيارة قصة أبي سعيد طبيب الأسنان اليوناني، الذي عاش بالملكلا، وأحبّها، وعن بيته الذي يشبه السفينة في منطقة خلف، ونشرها في صحيفة الثوري فورَ عودته إلى عدن، أمّا أنا فاعتذرت لهما عن الذهاب إلى الشعر؛ حتى لا أثقلَ عليهما مؤونة الذهاب على حسابهما، ولأني ربّما أسافرُ إلى عدن عصراً، ولكنني التقيتُ كمال الدين محمد بعد ذلك حين أتينا لزيارتي هو وفاروق علي أحمد ذات ليلة إلى داخلية جامعة موسكو الداس في ١٩٨٤م.

بيروت وأنا أعلم أنها لن تعود إلينا بعد الآن، وأخاف أن تتبعها بيروت أخرى، هل استوعبنا ما تحدث به ليلتها لنا أنا وصالح باعامر وسالم العبد وكمال، لا أدري؟!، ما زال سالم العبد إلى اليوم يحاول أن يربط ما جرى ليلتها من قامة أدبية عربية ومُجرب، ويذكرني كلّما التقينا بها، أجمل ما حكى عن الناس معاشته للناس في مدن مختلفة، وأنه يعيشُ المُدن البسيطة، والتي لم تلمسها يدُ العصر، أو الاغتيالات والملاحقات، الملكلا أتمنى أن تظلّ بسيطة كما عليّ والتفت نحوي وهو يضحك، وبعدها أشبعنا نكات أضحكنا كثيراً. في الصباح الباكر انتظرُهم في محطة سيّارات الشعر، وكانت

يا أرضاً مرصعةً بالجواهر



حققتُ فتحاً

حزتُ وثيقة التسجيل

فارتاح بالي من جميع النواحي

في صدر وطني الحبيب

رضاعتي: التقاليد التاريخية المجيدة

تهويدي: الحضارة والثقافة ...

ارتاح بالي من جميع النواحي

شعر: فروغ فرخزاد

ترجمة من الفارسية إلى العربية: فكتور الكك.

إيمان العولقي

فإن ما يتعلق ببدايات القرن العشرين، حيث سطعت أسماء لامعة في مجالات الشعر والقصة والسينما، وبما أن الشعر هو الأب الفعلي لجميع الفنون فقد كان ولا زال الحظ الأوفر لأدباء إيران من بقية الأجناس الأدبية.

القراءة الأولى للنص الشعري تمثل قراءة استطلاعية عن قرب؛ إذ يقرر بعدها القارئ هل يعيد تكرار ما سبق أم يجعله طي النسيان.

وعن الشعر الفارسي في المجمل لم يسبق لي أن قرأت بتمعن أي ديوان فارسي فضلاً عن أعمال شعرية كاملة، فقررت في مطلع هذه السنة أن أطلع على شعر فروغ فرخزاد؛ إذ يمثل الشعر الفارسي بطابعه الحدائي المعاصر، وأذهلني بعدها ما تكشف

اقتبست تلك الأبيات من القصيدة الهجائية الشهيرة «يا أرضاً مرصعةً بالجواهر» للشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد في ديوانها الرابع «ميلاد آخر»؛ إذ تكشف من خلالها عن قلق دائم، وترخي العنان لشفافيتها الصادقة في سرد مشاهد تصويرية للشعب الإيراني في عهد الحكم البهلوي (١٩٢٥ - ١٩٧٩ م). في عصر إيران الحديث، يرسم المشهد الثقافي لها كأنشط عصورها وأعزرها إنتاجاً وأصالة إبداعية باستقلالية فكرية ملحوظة، وحاضرة بقوة في بلدان المشرق والعالم.

ولطالما عرفت إيران، بلاد فارس، بشعرائها الغنائيين، أمثال حافظ الشيرازي، وعمر الخيام، والفردوسي صاحب الملحة الفارسية الشهيرة «الشاهنامة».



فروغ فرخزاد

لي من وراء تلك القصائد المكثفة المشاعر والدقيقة الوصف.

وفي اعتقادي الراسخ تجاه نصوص الحداثة وما بعدها، أن الكاتب، رجلاً أو امرأة، له مغزى محدد وواضح، وأن لا سبيل لفهمه أو في الأقل لإتاحة المجال لمقاربة التفسيرات المفاهيمية لمعاني نصوصه إلا بتتبع إشارات النص ورمزياته إن وجدت، وفي بعض الأحيان ربطها بشواهد من تجاربه الحياتية.

ولحسن الحظ، بالنسبة لفروغ فرخزاد، وقعت على كتاب الناقد الأمريكي في الآداب الفارسية مايكل هلمان المخصص لها ولقصائدها بعنوان: «امرأة وحيدة، فروغ فرخزاد وأشعارها».

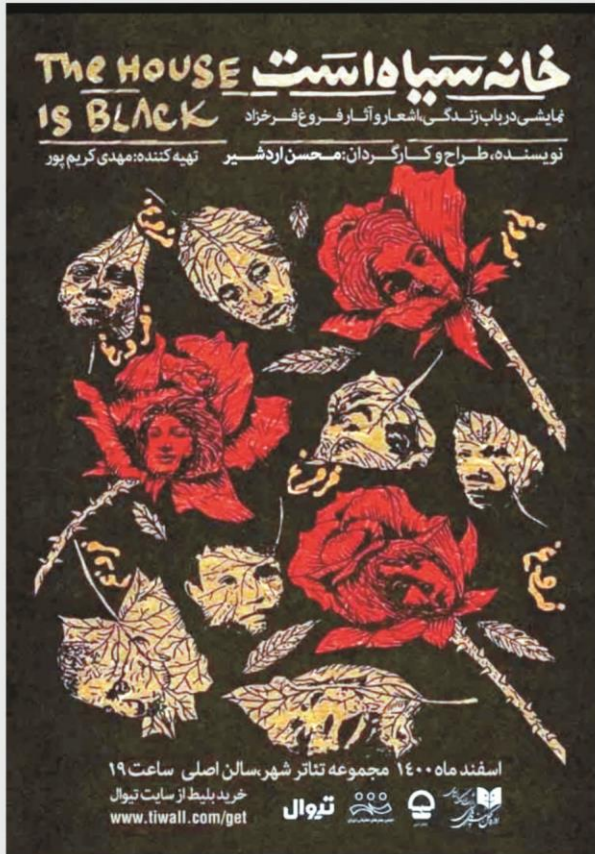
يستعرض الكتاب حياة فرخزاد استناداً إلى أبياتها الشعرية، كقصيدة غنائية من لحظة الميلاد إلى الصبا والشباب وبدائيات قرظها للشعر، ثم زواجها المبكر بقريب العائلة «برويز شابور»، وثمره هذه الزيجة المكلفة بطفله «كاميار»، ثم الطلاق وانخراطها الفعلي في المشهد الثقافي، وخلال تلك الأحداث تتابعت إصدارات دواوينها الشعرية.

وحازت أشعارها استحسان عدد من النقاد في الوسط الإيراني. فقد أكد الناقد رضا براهنی أن شعر فرخزاد قد وضع أسس «الثقافة الأنثوية» في الشعر الفارسي.

ومن ناحية أخرى ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ إذ يعزّون نجاح شعر فرخزاد يأتي من كونها امرأة فحسب.

وتوضح فرخزاد القيمة الحقيقية لشعرها بقولها في إحدى المقابلات الإذاعية:

إذا كنت أعتقد أنه بصفتي امرأة يجب أن أتحدث عن أنوثتي طوال الوقت؛ فإن هذا سيشير إلى نوع من الركود وقلة النضج، ليس فقط كشاعرة بل كإنسانة؛ لأن هنالك اعتباراً مفاده أن الفرد يحضن الأوجه الإيجابية من وجوده أو وجودها بطريقة ما ليتمكن أو يتمكن من الوصول إلى مستوى محدد من القيم الإنسانية. الأساس هو أن نكون بشراً.





فروغ فرخزاد في شبابه

فروغ فرخزاد في الطفولة

ويعد عام ١٩٥٩م نقطة تحول في نشاط فرخزاد الثقافي، بالإضافة إلى استمراريتها في الإنتاج الشعري، سافرت إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية وإنتاج الأفلام. وكان فيلم «حريق» أول تجربة إنتاجية لها بعد عودتها إلى طهران. وسافرت أيضاً عام ١٩٦٢ إلى ألمانيا للمشاركة في دورات تدريب سينمائية.

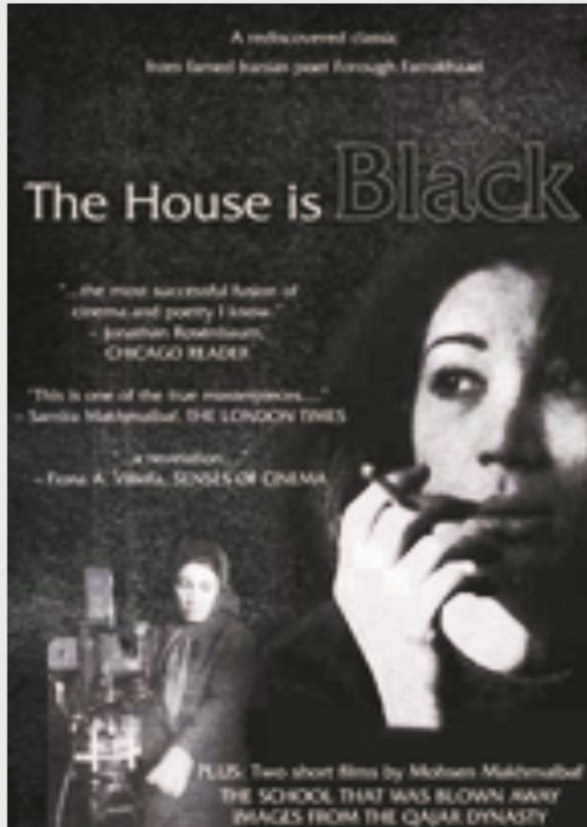
أنتجت بعدها عدداً من الأفلام الوثائقية القصيرة، وكان أشهرها فيلم «البيت أسود - The house is black»، الذي نقلت فيه

مشاهد حية من مستعمرة الجذام من منطقة تبريز، ومن ثم قررت تبني الطفل حسين بموافقة والديه من المقيمين في المستعمرة.

وفي عام ١٩٦٥م، أنجز المخرج الإيطالي برناردو برتولوشي فيلماً مدته ربع ساعة عن حياتها.

توفيت الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد في الثانية والثلاثين من عمرها، جراء جروح في رأسها بعد حادث أليم لسيارتها سنة ١٩٦٧م. وقد تركت أثرها الذي لا يمكن محوه في الشعر الفارسي الحديث.

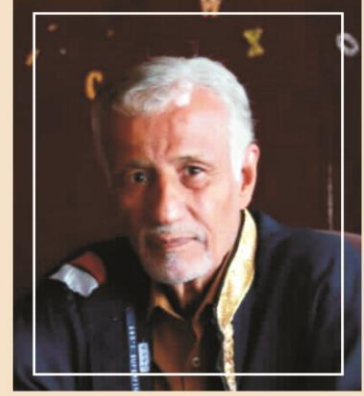
وفي عام ١٩٧٤م نشرت مجموعتها الشعرية الخامسة والأخيرة: «فلنؤمن بقدم فصل البرد».



الكُنْ!



ربّاه! نسألك الرضا ربّاه!
فإذا رضيت، فكلُّ شيءٍ عامر،
أو بعد أن ترضى ترومُ خواطري،
مرّت سنون العمر، أشحذُ همّتي،
واليوم أنظر للوراء، يهزّني،
فأكادُ ألقى "الكُنْه" سرّ حياتنا،
لكن روعي بالحدود مقيد،
والروح حد. والتخيّل قاصر.
الله أعطانا الحدود لنجتلي،
ألحد "كنه" العمر، حكمة خالقي،
فلحكمة نسعى لسرٍّ وجودنا،
سوّاك. ثم براك، أحسن صورة،
لاهمّ أنت وليّنا فتولّنا،
وتولّنا فيمن تولّيت المدي،
ربّاه! هذا الموج يجرفُ كُؤخنا!
إنّي دعوتُك يا قريب، وغوتنا!
ولأنت أهل العفو فاعفُ عن الذي،
فلأنت من نصبو، لكسب رضاه!
والقلب يرقص. والوجود صдах!
شيئاً، وأنت الكل. أنت مناه!
في كُنْه هذا العُمُر، في مغزاه!
همسُ الجمال، وللجمال شفاه!
وأكادُ أسمعُه، أكادُ أراه!
والروح لا يستطيعُ كشفَ سماه!
تلك الحدود! وسرّها، أخفاه!
بعد الحدود، وما الحدود مدااه!
بشر حدودك! لست أنت الله!
ولسرّ هذا الكون، كيف برااه!
عبداً، تقرب ساجداً. ناجاه!
إنّ الطريق مُلغَم، أشباه!
وتولّ قوماً في التشّت شَاهُوا!
بعض الزوارق في العواصف تَاهُوا!
غوتاه! يا ربّاه! واغوتاه!
سلبتُه أشواط الحَيَاة، صفّاه!



شعر:

د. أبو بكر محسن الحامد

نقحز



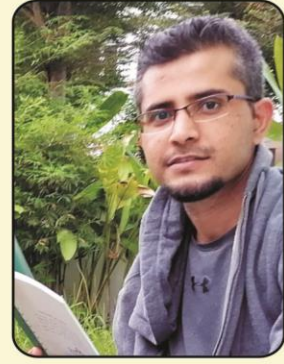
عمر علوي بن شهاب

لَا كُلَّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ قَصِيدِي
عِيدٌ لِفَطْرٍ ثُمَّ حَجٌّ ثُمَّ يَوْمٌ
أَنْتَ الْجَمَالُ وَفِيكَ يُحْصَرُ حَدُّهُ
أَنْتَ الْحَيَاةُ نَسَائِمًا أَشْتَمُّهَا
خَلَدْتُ حُبَّكَ فِي سَفُوحِ جِبَالِنَا
صَلَّيْتُ شُكْرًا إِذْ حَلَلْتَ بِخَافِقِي
أَهْدَيْتَنِي سِرَّ الْمَحَبَّةِ لِمَحَبَّةٍ
مَاذَا أَقُولُ؟ وَمَا أَرَانِي قَائِلًا؟
حُبٌّ وَلَا كَالْحُبِّ يَجْتَازُ الْمَدَى
لِلَّهِ حُبٌّ بَعْدَ رَبِّي أَنْتَ مِنْ
حُبِّ تَمَاهِي فِي الْعُلُومِ فَصُرْتُ أُمَّ
فَتَحَشَّدْتُ نَحْوَ الْمَعَانِي ثَرَةً
فِيكَ الْإِثَارَةُ جَسَدَتْ أَيْقُونَةٌ
يَا كُلَّ مَا عِنْدِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَدٍّ
مِنْ فَضْلِ رَبِّي لَمْ أَدْنَسْ مَلْبَسِي
شَرَفِي مَصُونٌ وَهُوَ مَا يَرَعَاهُ مِنْ
وُورِثَتِهِمْ مَجْدًا كَذَاكَ عِدَاوَةٌ
يَا جَذْوَةً قَدَحْتَ قَرِيضِي مَشْعَلًا
وَإِلَيْكَ أَبْعَثْهَا حَمَامًا زَاجِلًا
فَافْعَلْ كَمَا تَهْوَى وَتَرْغَبُ إِنَّنِي
تَهْمِي عَلَيْكَ وَلَا تَكْفُ شَاعِرِي
أَهْوَاكَ عَشْقًا قَبْلَهُ مَا لَمْ يَكُنْ
وَتَغَارُ فِيكَ الْحُورُ سَحْرًا صَارِخًا
لَيْتَ النُّجُومَ إِلَيَّ تَدْنُو لِحِظَةٍ
مَا أَنْتَ تَمَثَّلْتَ خَلَقْتَ وَإِنَّمَا
أَوْهَمْتَنِي بِالْوَصْلِ حَتَّى إِنَّنِي
نَقَشْتُ يَوْثَقَ سِرْمَدِيًّا حَبْنًا
أَنْتَ الْمَتَوَجِّ لِي حَبِيبًا فِي السَّمَاءِ
أَنْسَابُ فِيكَ حَقِيقَةٌ تَبْدُو فَلَا
فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ كُنَّا تَوَأمًا

إِنِّي لِأَكْتُبُ مِنْ دِمَاءٍ وَرِيْدِي
مَلَقَاكَ لِهَوَا ثَالِثُ عِيدِ
حَطَّمْتُهُ فِي طَارِفٍ وَتَلِيدِ
يَا سِحْرَ أَزْهَارِي وَعِطْرَ وَرُودِي
تَرَوِي الدُّهُورَ لِدَوْرَهَا وَالْبِيدِ
وَضَرَعْتُ فِي شُكْرِي وَفِي تَحْمِيدِي
أَخْفَيْتَهَا سِرًّا كَرَمِزٍ بَرِيدِي
لَا رَدَّ حِينَ تَهَمَّتَنِي بِجَحُودِ
كَلاَّ وَلَا يَلُوي لَأَيِّ حُدُودِ
أَفْرَدْتُ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ
زَجَّهُ بِدَرْسِ النُّحُوِّ وَالتَّجْوِيدِ
فِي أَوْجِهِ الْإِعْرَابِ وَالتَّوَكِيدِ
لِتَدُلَّ مَفْرَدَةً عَلَى التَّفْرِيدِ
خَرِي وَمَا أَوْدَعْتَهُ بِرِصِيدِي
مِنْ نَافِلَاتِ حَرَمَتِ وَنَقُودِ
نَسَبِي لِخَيْرِ أَبْوَةٍ وَجَدُودِ
فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ زَمَانٍ يَزِيدِ
فَغَدَا لِرُوحِي مَا حَيَّيْتُ وَقُودِي
يَشْدُوكَ مَخْتَزًا لِبَعْضِ رَدُودِي
مَحْيَايَ فِيكَ كَذَاكَ فِيكَ لِحُودِي
مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ سَابِقٍ وَرَعُودِ
مِنْ عَصْرِنَا هَذَا الْبَعْثَةِ هُودِ
تَفْدِيكَ يَا رُوحِي جَمِيعُ الْغِيدِ
أَهْدِيكَهَا مَا شِئْتُ مِنْ عُنُقُودِ
بَشَرِ كَفَى مِنْ قَسْوَةٍ وَجُمُودِ
أَتَلَفْتُ ذَاكَرَتِي بِزَيْفٍ وَعُودِ
كَنَقُوشِ عَادٍ أَوْ رَسُومِ ثُمُودِ
مِنْ غَيْرِ حَسَكٍ يَسْتَحِيلُ وَجُودِي
مِنْ مَشْبَهٍ أَرَوَّاحِنَا وَنَدِيدِ
بَعْضُ الْقَدِيمِ مُحَدَّثٌ كَجَدِيدِ

ترميم - ٢٨ / ٤ / ٢٠٢٣ م

يوميات الفارس الجديد



عبدالله سالم زين

معذرة يا مزارع الزيتون؛
يا غابات البن اليمني..
معذرة
يا بساتين النرجس
والسوسن
والليلك
والزيزفون..
يا نخيل العراق؛
يا دهايز الكنانة
والبيضاء وريسون..
إن كان غرني في داخلي الإحساس..
والشعور بروعة (الإنسان)
حين يلقي بعضه؛
دون أن يחדش النجوم والأبراج
مقتنعاً بغمزة النجمات
يتكئ السحاب
وحيث كنت أجري دونما تكلف
وكنت أضحك دونما تطرّف
وكنت أستلقي على البحار
وأكتب الشعر مع الأشجار؛
أحاول الرقص
مع الغزلان، والعزف مع الطيّر..

معذرة
يا كل (جدول) رقراق؛
قد ربت كفاي فوق مائه؛
إن كنت في تونس أو كنت في العراق
فقبل أن تجري على الأرض
على اليباس
فأنت تجري داخلي
فأنت في الأعماق؛
معذرة
إن كنت نمت في جفنيك يا حجاز
من دونها استئذان!

صحراؤك، والنسيم في المساء
نصف الليل؛
أشعري الأمن..
.. لقد نسيت أني عابر؛
علي أن لا آلف المكان!
أو أؤلف الوداد بين الزهر والأغصان
علي أن لا أطلق السحبة الصادقة البريئة
وأصنع القهوة أو أحتمي الفنجان
حتى بناري الأنيقة التي
ليس لها دخان!!



الوحش

علي سالم الشرفي



يأكل ما تبقى من الجسد... / الوحش يقذف بالجمجمة في النار... / الوحش يربط خصلات من الشعر الذهبي على قمة رمح... / الوحش يقبض على الناي... / الوحش يجري أنفاسه في الناي... / الوحش يتأمل الناي متعجباً... / الوحش يعزف بالناي وهو يغادر المغارة... / الرمح وحده... / الوحش يلتقط الصور الفوتوغرافية للرسومات... / الوحش يكتب هذه القصة... / والوحوش تقرأها الآن..

"في حقبة غابرة هرب البشر الأوائل من صنفٍ جديدٍ سائر، آتٍ من وراء الظلال، كان صنفًا شديد الوحشية، أكلوا الصغار، وامتصوا دماء النساء، وسلخوا الرجال ورموا رؤوسهم لكلاب الجحيم السائرة معهم... وخلال ألف عام كانوا قد اجتاحوا الوديان والسهول، وأبادوا البشر... كان الصنف الآخر أبناء الأرض الحقيقيين، لم تتنفس رئائهم هواء الفردوس من قبل، وكانوا يرون أبناء الهابطين من السماء

ليسوا أكثر من حيوانات متعالية شبيهة..

أنهت ألف عام من المطاردة الوحشية أبناء آدم السماويين، ولم يتبق من آثارهم ما يدل على أنهم خطوا يوماً على وجه الأرض، واندثرت أصواتهم ولغتهم الناعمة، وانطفأت تلك العيون الماسية إلى الأبد، تحت ضربات هراوات الحديد والنار..

في إحدى رسوم تلك الحقبة قبل ستين ألف سنة، يظهر أحد الوحوش وهو يمسك بأداة غريبة بيده اليسرى، كانت ناياً، وبيده اليمنى يدق عنق آخر امرأة سماوية، كانت آخر من بقي من سلالة الجنة.. ثم تتوالى تلك الرسوم / الوحش



" لا تروِّي البدوي دارك "

أو في أسواقها، والقراءة السطحية للمثل تقدم صورة سلبية للبدو من زاوية نظر الحضر، الذين لهم أيضاً مقولات، يصل بعضها إلى السخرية من تصرفاتهم وهيئاتهم، وفي المقابل نجد للبادية ثقافتها الخاصة، التي تستهين بأهل الحواضر، وتزدرى مهنهم، وهكذا نحن أمام كتلتين اجتماعيتين (جغرافيتين)، لهما مفاهيمهما الثقافية والحضارية التي يعتزون بها، ويحافظون عليها، "وكل فريق بما لديهم فرحون".

وعلى خلاف كثير من الأمثلة الشعبية العابرة للزمان فإن مثل (أذية البدو) ارتبط بالمرحلة التاريخية التي كانت البنية الاجتماعية التقليدية هي السائدة في حضر موت، واستمرت (فاعليته) إلى أربعينيات القرن الماضي قبل ما عرف في الأدبيات التاريخية بصلح انجرامس الشهير، الذي نجح إلى حد بعيد في القضاء على ظاهرة الاقتتال البدوي (الثأر)، وكانت أهم نتائجه تخفيف الهوة الجغرافية الحضارية تدريجياً بين الأرياف والمدن.

وبهذا فإن للمثل دلالات قبل معاهدات السلام (صلح انجرامس) وما بعدها، فقبل عصر السلام الحضري كانت المدن بالنسبة لرجال القبائل (البادية) منطقة عبور مؤقتة، لا يستطيع الإقامة فيها لأسباب تتعلق بأمنه الشخصي،



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعيدي

النص الكامل للمثل بحسب نطقه باللهجة الحضرية العامية: "لا تروِّي البدوي دارك ياديك ويادي جارك"، ويعني: لا تجعل البدوي يرى أو يعرف موقع دارك حتى تتجنب وجيرانك أذيته أي مشاكساته المتوقعة، وأصل المثل نصيحة (مدنية) من حضري إلى زميله الحضري، يقصد بها ألا تتعدى العلاقة بين ساكن المدينة (الحضري) مع أفراد البادية الوافدين إليها علاقة تعامل المصالح المشتركة المباشرة في وسط المدينة،



114

العدد (29)

يوليو

سبتمبر

2023م

فعليهم أن يغادروا المدينة، ويستعيدوا أسلحتهم قبل غروب الشمس، أي قبل إغلاق بوابات المدن الرئيسة، كما كانوا ينظرون للمدن بوصفها بلاد (أهل الحضر)، لهذا كانوا يشعرون بالغربة فيها، ويجدون ذاتهم ومنعتهم في المناطق المفتوحة، وهذه الوضعية تساعد على فهم النصيحة الضدية تجاه البدو، التي تشتغل في جوهرها على الحذر (الثقافي)، وليس على الفعل (الجنائي) كما قد يبدو للبعض، فالمدينة تحترم في البدوي التزامه بكلمته، وأمانته، وشجاعته، لكن طبيعة الإقامة (النهارية) للبدو تجعلهم في عجلة من أمرهم، لهذا إذا لم ينجز البدوي اتفاهه مع الحضري أو تأجل، تصرف على عفويته، وقد ينادي (غريمه) الحضري تحت بيته بصوت مرتفع دون مراعاة للتوقيت المناسب، كما أنه إذا اضطر إلى المبيت في المدينة فاحتمال أن يصطحب زملاءه بحسب العادات البدوية، فتتداخل ثقافتان شبه متنافرتين.

وكما يعد (الحضري) سلوك البدوي المتعجل في أمره نوعاً من التصرف الأرعن، فإن (البدوي) تدفعه عزة نفسه لإنجاز عمله في المدينة، والخروج منها حتى لا يكون عبئاً عليها، ولا على أهلها، لاسيما وأن الفنادق لم تكن موجودة في المدن الحضرية وقتئذ، وهكذا إذا بحث (الحضري) في داخل المثل عن سكينته، ففي خارج المثل تتحرك عند البدوي روحه الأبية، التي لا تتسق أحياناً مع رتبة المدين وقوانينها.

لكن الأمور تغيرت بعد أن نجحت معاهدات السلام في وضع حد للصراع القبلي في حضر موت، وتهيأت فرص لاستقرارهم التدريجي في ضواحي المدن، وصارت بيوت المستقرين السابقين منهم المتواضعة بمثابة ترازيت للراغبين من معارفهم للمكوث في المدينة لفترة طويلة، أو الاستقرار فيها، وهكذا تزايدت هجرة الأرياف إلى المدن،

وتغلغت ثقافتها فيها، وهذه الوضعية الجديدة أحدثت تحركات في دلالة المثل (أذية البدوي) داخل المدن، من دور النصيحة الحضرية البينية الضدية القديمة، إلى الاستعارة الرمزية بغرض إنتاج الطرافة المقبولة اجتماعياً، فصار سكان المدينة -بدوها وحضرها- أحياناً يرددون المثل عندما يصير صديق منهم على ضيافة صديق له في بيته، فيحضر المثل بلسان (الضيف) بنبوة مشوبة بالألفة، والحياء، تختصر صيغة الاعتذار المشهورة (لا أريد أن أثقل عليك)، أو بلهجة العراقيين (لا أريد أعمل عليك زحمة)، واستدعاء المثل في ذلك الموقف يزرع البسمة المشتركة، وتدخل لفظة (البدوي) في المشهد التصويري للمثل دخول الكرام المرحب بهم.

لكن ما تزال قصة الصراع الثقافي بين البدو والحضر مستمرة في داخل المدن، التي اختلط فيها الحابل بالنابل، بعد أن فتحت أبوابها، وهُدمت أسوارها، لهذا نجد المثل يتسلل إذا حضرت المناسبة، لاسيما عندما يتخطى فيها (بدو المدن) الخطوط الحمراء، من ذلك التباهي بحمل السلاح، وإطلاق الرصاص الحي من فوق ديارهم، ومن تحتها، في مناسباتهم الفرائحية معلنين في ذلك تمسكهم بثقافتهم البدوية (المؤذية)، فتشهد المدين وضعا مشوهاً، فلا بدو المدينة قبلوا بثقافة الحضر، ولا المدينة تمكنت من ترسيخ قيم الحضر فيهم...



المصنعة
في حضرموت
جائزة أفضل فيلم تسجيلي 2023

جائزة أفضل فيلم تسجيلي لعام 2023م
موضوع الجائزة:

المصنعة في حضرموت



المصنعة صرح معماري فريد، امتازت به حضرموت ويعود تاريخه إلى مئات السنين.. حرص مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على أن تكون جائزته لأفضل فيلم تسجيلي يعنى بهذا المبنى المنتشر في كثير من مناطق حضرموت، ولصناع الفيلم اختيار الزاوية التي يجدون فيها المحتوى القيم فيما يخص المصنعة.

المستهدفون من هذه الجائزة:

المختصون والمهتمون والهواة في مجال العمل السينمائي والتلفزيوني (فرقاً وأفراداً).

المعايير الفنية للأفلام التسجيلية المشاركة:

- وضوح فكرة العمل وتميز المعالجة الفنية.
- جودة السيناريو وتماسكه فنياً وتاريخياً.
- دقة التصوير والإضاءة والمونتاج.
- نقاء الصوت (تسجيلاً وتعليقاً وحوارات).
- تنغم المؤثرات الصوتية مع المشاهد التصويرية.

لجنة التحكيم:

سيشرف على التحكيم لجنة فنية مكونة من أساتذة مختصين بصناعة الأفلام.

الشروط العامة للتقدم للمسابقة:

- لا تقل مدة الفيلم عن 5 دقائق ولا تزيد عن 15 دقيقة.
- ألا يكون العمل قد فاز في مسابقة محلية أو خارجية.
- لا يحق للمتقدم المشاركة إلا بعمل واحد فقط.
- يتم تحميل الفيلم بدقة عالية على الوسائل المتاحة كاليوتيوب وغيره على رابط مغلق للاطلاع الخاص فقط وإرساله عبر الإيميل الآتي (hadcenter1@gmail.com)، أو تسليمه على (ذاكرة USB) في مقر المركز على العنوان الآتي (حضرموت- المكلا - حي الشهيد - عمارة باشريف)
- الأفلام الفائزة بجوائز المسابقة تصبح ملكاً حصرياً للمركز.
- آخر موعد لاستلام الأعمال 15 سبتمبر 2023.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز ديسمبر 2023م (في حفل خاص)

جوائز المسابقة:

تُمنح الجائزة سنوياً باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

الثالث

300.000
ثلاثمائة ألف
ريال يمني

شهادة
الجائزة

الثاني

400.000
أربعمائة ألف
ريال يمني

درع
الجائزة

الأول

600.000
ستمائة ألف
ريال يمني

درع
الجائزة



مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

@hadramoutcenter

برعاية

وكيل محافظة حضرموت لشؤون مديريات الوادي والصحراء الأستاذ عامر سعيد العامري

ينظم

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالشراكة مع جامعة سيئون

المؤتمر العلمي الخامس:

(التاريخ والمؤرخون الحضارمة في النصف الأول من القرن العشرين)

سيئون / ديسمبر / 2023م

محاور المؤتمر



الصحافة
والتعليم.



بدايات بناء
المؤسسات
الرسمية الحديثة.



الحركات
الشعبية
والقبطية.



السياسة
الاستعمارية
البريطانية.



المناهج التاريخية
في مؤلفات
المؤرخين الحضارمة.

شروط المشاركة

- آخر موعد لاستلام عنوان البحث وملخصه (10 أغسطس 2023م)
- يسلم البحث كاملاً ومستوفياً شروط المشاركة في (10 نوفمبر 2023م)
- ترسل الأبحاث كاملة بصيغة word وبصيغة pdf مشفوعة بنبذة مختصرة عن الباحث مذيلة بعنوانه ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني.
- ترسل جميع المراسلات الخاصة بالمؤتمر على البريد الإلكتروني hadcenter1@gmail.com أو الواتساب +967776017491
- يتكفل المركز بتكاليف الإقامة والإعاشة والمواصلات الداخلية مدة أيام المؤتمر.
- للاستفسار التواصل مع الأرقام الآتية: +9675304546 - واتساب +967772570159

- أن يكون موضوع البحث مطابقاً لمحاور المؤتمر.
- أن يمتاز البحث بالأصالة وسلامة المنهج العلمي.
- أن يقدم البحث خلاصة مبتكرة تدل على الغاية المرجوة من البحث.
- التركيز على جزئية دقيقة وجديدة في إطار محاور المؤتمر.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في مجلة أو قدم لمشاركة في مؤتمر آخر.
- ألا يقل عدد صفحات البحث عن 20 صفحة ولا يتجاوز 30 صفحة.
- أن يرتقي البحث بلغته العربية من حيث الأسلوب وقواعد النحو.
- أن يكتب البحث بخط حجمه 16 وحجم خط الهامش 14 ونوع الخط: Simplified Arabic.